الأهرام





علية توفيق



يوسف صديق وجمال عبد الناصر وأنا


علية توفيق
يوسف صديق
وجمال عبد الناصر
وأنا

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة
تليفون : ٥٧٨٦٠٨٣ ـ فاكس : ٥٧٨٦٨٣٣

تصميم الغلاف
الفنان/ هشام بهجت

المحتويــات

الصفحة



مقدمــــة

عزيزى القارئ ..

اسمح لى بأن أعرفك بنفسى ، فأنت عبر صفحات هذا الكتاب ستصحبنى عشـــرات السنين .. منذ كنت طفلة حتى تجاوزت الثمانين .. عبر ما لايحصى من الأحداث التى شاء لى القدر أن «أتفرج » عليها حينا .. وحينا أدلو فيها بدلوى .. وأحيانا كثيرة أشارك فى صنعها إلى جوار أحد أبطال هذا الشعب .. رفيق عمرى وكفاحى : يوسف صديق .

أيها الأبناء والأحفاد الأعزاء على امتداد الوطن العربى ..

ليس هذا الكتاب تجنِّيا على أحد ، ولا انحيازا لأحد ، فكل ما به من وقائع هى أحداث عشتها وتفاعلت معها ، رأيت الآن من واجبى أن أسجلها ، كما هى بلا رتوش ، وأتركها بين أيديكم قبل أن أغادر هذا العالم بحسناته وسيئاته .

إنها شهادتى للتاريخ .. مجردة من كل هوى

عليـة توفيـق

مصر الجديدة، يونيو عام ٢٠٠٠



الفصل الأول

الطفولة والشباب

البيئة التى نشأت فيها

اسمى تهانى محمد توفيق على، وشهرتى: علية محمد توفيق .

ولدت يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٩١٤ بسراى جدى لأمى محمد بك يوسف بميدان الرحبة بمدينة بنى سويف، وكان جدى مفتشا لأوقاف مديريات بنى سويف والفيوم والمنيا، وهو ينتمى لأب مصرى وأم تركية من إسطنبول، لهذا كانت والدتى مصرية تركية .

أنتمى إلى قرية جميلة صغيرة تقع على ضفة نهر النيل الخالد.. هى قرية زاوية المصلوب، مركز الواسطى، محافظة بنى سويف .

وإذا كانت والدتى مصرية تركية، فإن والدى مصرى عربى صميم، هو محمد توفيق بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن محمد بن الخضر بن عامر العسيرى العباسى. والعسيرى نسبة إلى قبيلة العسيرات التى نزل قسم منها من الجزيرة العربية إلى صعيد مصر، والعباسى نسبة إلى العباس بن عبدالمطلب.[1] وهكذا تكون الدماء التى جرت فى شرايين أبى دماءً عربية خالصة، وكان مولده عام ١٨٨٢م فى قرية زاوية المصلوب، مركز الواسطى بمديرية بنى سويف .

---

(١) راجع مقدمة المجلد الثانى ـ ديوان التوفيق ـ للشاعر محمد توفيق على ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٦.

بدأ والدى حياته الدراسية بكتّاب القرية، الذى كان أول نافذة أطل منها على ساحات العلم والدين، ثم أتم دراسته الابتدائية بمدرسة «القربية» بالقاهرة، وبعدها التحق بمدرسة الفنون والصنايع ببولاق التى كانت تعلم طلابها إلى جانب ما خصصت له، معارف أخرى، منها الأدب العربى، وهى نفس المدرسة التى تخرج فيها الشاعر على محمود طه. بعد ذلك التحق أبى بالمدرسة الحربية، وتخرج فيها ضابطا سنة ١٨٩٩ ليلحق بالجيش المصرى بالسودان.[٢] كان السودان آنذاك تابعا لمصر، وكلاهما تحت الاحتلال البريطانى .

ولعل نشأة والدى بين أحضان الريف المصرى، وما شب عليه من طباع أهله كان لهما أثرهما الكبير على تفكيره ووجدانه، لذلك كانت أشعاره تتغنى بجمال الطبيعة وروعة الوجود، فى ديوان كامل بعنوان «تسبيح الأطيار فى العظات والحكم ومدائح المختار[٣]» .

أما جدى (الحاج أحمد على) فكان من أثرياء «عائلة على»، إذ كان يملك ما يزيد على خمسمائة فدان، ومن ثم ورث عنه والدى ثروة زراعية كبيرة .

كان جل اهتمام عائلتى بالزراعة وزيادة ما يملكونه من أراضٍ زراعية. وكانوا لا يهتمون كثيرا بالعلم والمناصب الحكومية، عدا حالات قليلة، مثل والدى الذى كان ضابطا بالجيش، واللواء بحرى أحمد عبد العليم وغيرهما .

أما عائلة «الأزهرى»، ومنها أخوال أبى وهى عائلة زوجى وابن عمتى يوسف صديق، فقد كانت تهتم بالعلم والثقافة أكثر من اهتمامها بالأرض والزراعة وجمع المال. كان كثير من أفراد الأسرة ينتمون إلى الأزهر الشريف.. يدرسون به.. يتخرجون فيه، ويعملون فى مجالاته المختلفة، لذلك لقبوا بعائلة «الأزهرى» .

عندما تخرج والدى فى المدرسة الحربية وعين بالجيش المصرى بالسودان، تزوج من والدتى وسافرا إلى القطر الشقيق، حيث عاشا حياة جديدة غير التى اعتادا عليها فى

(٢) راجع مقدمة المجلد الأول ـ ديوان التوفيق ـ للشاعر محمد توفيق على ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٦.

(٣) راجع مقدمة المجلد الأول ـ ديوان التوفيق ـ للشاعر محمد توفيق على ـ ديوان تسبيح الأطيار ـ ص ٢٣٧ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦.

قريتنا الصغيرة. وكان ابن خاله وزوج أخته الضابط منصور صديق (والد زوجي يوسف صديق) ضابطا بالجيش المصرى بالسودان أيضا فى ذلك الوقت .

وإذا كان شاعر النيل حافظ إبراهيم لم يستمر فى السودان سوى عامين أحيل بعدهما إلى المعاش، فإن والدى كان أكثر صبرا. فقد قضى ثلاثة عشر عاما بالقطر الشقيق، وتنقل بين كثير من أرجائه، واشترك فى الحملات العسكرية الخاصة باسترداد السودان فى مراحلها الأخيرة، كما أشرفت وحدته العسكرية على مد خط السكة الحديد بين مدينتى حلفا وأبى حمد عبر صحراء العطمور القاحلة، حيث أصيب بمرض الكبد .

وخلال فترة خدمة والدى بالسودان اكتشف المهازل التى كانت ترتكب فى حق الجيش المصرى، وتسلط الضباط الإنجليز على مقاليد الجيش المصرى هناك، واستعلاءهم على ضباطه وجنوده .

سمعت والدى يوما يحكى أن الإنجليز كانوا يأتون بالجنود المصريين ليكلفوهم بنقل تل من الرمال من مكان إلى آخر، وبعد أن يتموا العمل يأمرونهم بإعادة تل الرمال إلى مكانه الأول. وقد وجد والدى أن ابن خاله اليوزباشى منصور صديق يحمل داخله نفس الثورة على الأوضاع الفاسدة وعلى الإنجليز، بل إن هذا السخط كان يستولى على جميع الضباط والجنود المصريين. وقد شجع هذا السخط أبى على أن يلتقى بالتجمعات السودانية، ويخطب فيهم ويحضهم على مقاومة المحتل الغاصب. وذات احتفال بالمولد النبوى الشريف، ألقى أبى فى الجمع الحاشد قصيدة سياسية تناولت الأوضاع فى السودان، وكان للخطبة تأثير كبير فى نفس الأشقاء السودانيين. وفى نفس الليلة حاصر الإنجليز مسكن أبى وطالبوه بتسليم القصيدة، فأجابهم بأن القصيدة كانت من وحى الخاطر واللحظة، أى مرتجلة، فقاموا بتفتيش المنزل بصورة همجية وقلبوا كل شىء رأسا على عقب. وأخذت العلاقة بين أبى وبين الإنجليز تزداد سوءا يوما بعد يوم، إلى جانب حنينه الدائم إلى وطنه وأهله فى مصر، فقدم استقالته من الجيش فى عام ١٩١٤، وعاد إلى مسقط رأسه. مناجيا وطنه الحبيب بقصيدة «كعبة الدنيا[٤]». بيد أن

(٤) راجع المرجع السابق ـ ديوان السكن ـ ص ٢١٧، قصيدة «كعبة الدنيا».


السيدة علية توفيق عام ١٩٥٢.


السيدة علية توفيق عام ١٩٩٥.

فترة خدمته بالسودان لم تكن كلها سوءا، فقد تعرف هناك على رفقاء المهنة والشعر الضباط الثلاثة : حافظ إبراهيم، وعبدالحليم حلمي المصرى، ومحمد فاضل، وتوثقت أواصر الصداقة بينهم .

عاد والدى من السودان إلى قريته الآمنة الوادعة على شاطئ النيل، محققا بذلك حلمه بالتفرغ للقراءة ونظم الشعر .

وهكذا نشأت فى بيئة ريفية جميلة تطل على نهر النيل بكل ما يحمله من خير وجمال واقتدار، كم رأيته عندما يفيض مأوه فيكتسح بيوت فقراء الفلاحين المبنية بالطوب اللبن.. ويغرق محاصيلهم ومنقولاتهم، وكثيرا ما استيقظت من نومى فزعة على أصوات صراخ وعويل الفلاحين ينادون بعضهم بعضا للتكاتف فى وجه طوفان النيل الهادر الهائل .

نشأت فى بيئة ريفية قائمة على الترابط والتلاحم والتراحم، حتى علاقات أبى مع مزارعيه كانت علاقة الأسرة الواحدة. كان أبى يشعر بأن هؤلاء المزارعين هم أسرته وأهله، وأنه مسئول عنهم كما هو مسئول عن أهل بيته تماما .

وهكذا نشأت لأب ضابط شجاع ثائر غيور على وطنه وأمته، وفى نفس الوقت كان شاعرا رقيقا يرى الجمال فى كل ما حوله(٥) .

كما نشأت لأم رقيقة طيبة لا ترى فى البشر إلا كل ما هو خير وطيب، لديها من الحب والحنان ما يكفى البشر جميعا، مما أضفى على طفولتى المبكرة أنساما متوالية من حب الحياة والناس والجمال .

مرحلة الطفولة

ما إن بلغت من العمر نحو ثمانى سنوات، حتى وجدتنى ألازم أبى أينما جلس.. فى شرفة «فيللتنا» المطلة على النيل، أو فى مكتبه، أو عندما يجلس فى الحديقة فى مكانه المختار الذى يرى منه أى قادم من أى اتجاه. حتى عندما كنت أتخلف عن مجلسه لسبب ما، كان يرسل فى طلبى. كان يرى فىّ شيئا لم أكن أدركه، فيتلو على مسامعى القصيدة التى ينظمها، ويشرح لى ما استعصى علىّ فهمه ويناقشنى فيها، ثم يطلب منى قراءة الصحف، مما وسع مداركى وزاد معارفى، ورقّق إحساسى، حتى وصل بى الأمر إلى أن بدأت أقترح عليه تغيير شطرة من بيت، والغريب أنه كان أحيانا يأخذ برأيى. أذكر ذات يوم أننى كنت أجلس معه كعادتنا، فأخذ يُسمعنى قصيدة كتبها عن النيل أذكر منها :

صَفَتْ مرآتُه وجلاه جالٍ
فلاح كأنه ذوب اللآلى
وغازلت الحدائقُ شاطئيه
وألقت فوقه خضر الظلال

(٥) راجع المرجع السابق ـ ديوان السكن ـ ص ١٨٤ ، قصيدة «مصر وغروب الشمس».

فناحية برمانٍ تحلت

وناحية أُظلت بالدوالي

ونخل باسقاتٌ كالعذارى

تتثنى فى غدائرِها الطوالِ

أراد أبى أن يغير كلمة ما فى القصيدة، فأعترضت بشدة، وكان يوسف صديق حاضرا معنا (وهو يكبرنى بحوالى خمس سنوات) وأخذ موقفا مؤيدا لخاله (والدى) فى التغيير، وصممت أنا على عدم التغيير. احتدم النقاش بينى وبين يوسف صديق، فانصرفت غاضبة منفعلة، فلحق بى يوسف صديق وشرح لى وجهة نظره فى عدم التغيير، واستطاع أن يقنعنى .

وكان والدى يدربنى على استخراج معانى الكلمات الصعبة من القاموس، فمثلا كنت أقرأ له ذات مرة معلقة عمرو بن كلثوم، ووقفنا عند بيت فيها يقول :

كأن ثيابنا منا ومنهم .·. خُضِبْنَ بأرجوان أو طُلينا

فقال لى أبى: يبدو أن كلمة «أرجوان» ليست من أصل عربى. فسألته : وكيف نتأكد من ذلك ؟ فطلب منى إحضار قاموس «تاج العروس» والبحث فيه عن هذه الكلمة. وفعلا استخرجتها، فوجدت مكتوبا أمامها أنها كلمة فارسية معربة، وكثيرا ما كان يحدث مثل هذا .

كانت أشعار أبى تتناول شتى الأغراض. وكان الشعر الوطنى السياسى يحتل جزءا كبيرا من قصائده، فعشقه لمصر كان جارفا بقدر رفضه للظلم والاستعمار. وله قصائد نشرت بجريدة الأهرام وفيها انتقاد شديد للأوضاع ولنظام الحكم، منها قصيدة نشرت بصدر جريدة الأهرام تزيد على المائة بيت كان اسمها «آلام الأمة وآمالها[٦]» .

هكذا نَشَّأنى أبى على كراهية الاستعمار ومقاومته. أذكر أننى عندما كنت طفلة فى المدرسة الابتدائية، صدر قرار من سلطات الاحتلال البريطانى بإيقاف الدراسة بمدارس

(٦) راجع المرجع السابق - ديوان قفا نبك - ص ٣٥ - قصيدة «آلام الأمة وآمالها». قيلت بمناسبة استئناف الحياة الدستورية (أول برلمان مصرى).

البنات تمهيدا لإغلاقها، فاندلعت المظاهرات فى كافة أنحاء البلاد، كما اندلعت فى مدرستى بمركز الواسطى. وكانت ناظرة المدرسة سيدة متفتحة ووطنية اسمها «فاطمة الشريعى»، حثتنا على الخروج فى مسيرة احتجاج على إيقاف التعليم، وكانت تتقدمنا المدرِّستان عزيزة صالح، ودولت الطحاوى، وصنعت لنا أوشحة خضراء مرسوما عليها علم مصر. وأخذنا نهتف ضد الاستعمار الإنجليزى ونتوجه إلى مدرسة البنين، فينضمون إلينا ويتقدمون صفوفنا ونجوب أرجاء المدينة ونحن نردد الهتافات، وكان يخرج خلفنا الأهالى يرددون الهتافات التى نرددها. وقام والدى بنظم قصيدة(٧) سرعان ما حفظتها ورحت أرددها فى تلك المسيرات، أذكر منها :

قطِّعوا هـذه السلاسـل عنـى

إننـى لا أطيـق ثقـل الحـديـد

معصمى ناعم ونحرى لطيف

آه لا تقطعوا حبـل وريـدى

وذات مرة أثناء إحدى مسيراتنا الطلابية، وكان طلبة مدرسة البنين يتقدموننا ويهتفون، ألقى البوليس القبض على بعض الطلبة وكان منهم شقيقى يوسف توفيق، وابن عمتى يوسف صديق، ولم يفرج البوليس عنهما حتى ذهب والدى إلى مركز الشرطة وقام بتسلمهما .

هكذا علمنى أبى الشجاعة والإقدام وكراهية الظلم والاحتلال. وقد انعكست مبادئه هذه على علاقته بالفلاحين الذين يعملون فى أرضه، فكان يعتبرهم أسرته، ولا يبخل عليهم بشىء. كان يعطيهم أجورا عادلة، وفى الأعياد كان يذبح لهم الذبائح، ويرسل الأقمشة صيفا وشتاء لهم ولزوجاتهم وأولادهم، وعندما يمرض أحدهم كان يلقى منه العناية الكاملة. وفى الكوارث مثل فيضان النيل الذى كان يهدم بيوت الفلاحين، كان أبى يبذل قصارى جهده لمساعدتهم .

(٧) راجع المرجع السابق - ص ١٩٩ - قصيدة «أسيرة الاستعمار» ، نظمت لتلقى بلسان تلميذة صغيرة بمناسبة إغلاق مدارس البنات أثناء بعض الاضطرابات السياسية.

أذكر على سبيل المثال أننا كنا نملك أرضا مزروعة بالنخيل وكان يطلق عليها «نخل أبو شاهين»، أنشأ فيها جدى لأبى عزبة للفلاحين وشيد لهم بيوتا. وبعد وفاة جدى آلت تلك العزبة إلى أحد أعمامى بالميراث، وكان عمّى هذا يهدد الفلاحين بأنه سيطلق المياه على الأرض لتهدم بيوتهم .. كى يخلى الأرض من شاغليها ويتمكن من زراعتها. فقام والدى بالتفاوض مع عمى وقايضه العزبة بأرض أخرى، وهكذا ظل الفلاحون آمنين مستقرين. وعندما كان يجد أحدا منهم بلا عمل كان يوفر له موردا للرزق ينفق منه على أسرته .

أذكر أيضا أن تقدم أبى لاستئجار أرض زراعية فى المزاد لزيادة مساحة أرضه لكى يوفر فرص عمل للفلاحين. فى ذلك الوقت كان ثمن قنطار القطن خمسين جنيها، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية هبط سعر قنطار القطن إلى ثلاثة جنيهات، ولك أن تحسب حجم الخسارة الناجمة عن زراعة ٥٠٠ فدان قطنا، وكان إيجار الفدان ١٩ جنيها غير تكاليف الزراعة، مما كبد أبى خسارة مالية فادحة. وكانت هذه الأرض موزعة على كثير من الفلاحين بنظام المزارعة أو المشاركة. وذات يوم كنت جالسة مع أبى وجدتى لأبى، وسمعنا طرقا على الباب، فتحنا الباب فدخل بعض الفلاحين، وقال أحدهم لوالدى: نحن نشعر بالمصيبة التى حلت، سنسلمك المحصول الذى لدينا والمواشى ومع ذلك سيتبقى لك فى رقبتنا دين كبير. رد والدى قائلا: عودوا إلى بيوتكم ولْيُدْخِلْ كل منكم محصوله وماشيته إلى بيته ولتكونوا مطمئنين. انصرف الفلاحون وهم يرددون الدعاء له، أما جدتى فاتهمت أبى بأنه بتصرفه هذا سيتسبب فى خراب البيت. فقال لها والدى : خراب بيت واحد وهو بيتى، أفضل من خراب بيوت عشرات المزارعين الفقراء .

هذا هو والدى الذى عشت بين أحضانه وتعلمت منه وأخذت عنه ما شكل مبادئى وأفكارى ووجدانى .

لم أشعر يوما بأننى طفلة كغيرى من الأطفال، ألهو وألعب وأقفز هنا وهناك مثلهم، فمعظم أيام طفولتى قضيتها إلى جوار أبى الشاعر أو إلى جوار أبى المريض. ما زلت أتذكر حتى اليوم تلك الأحداث القليلة جدا التى كانت تُشعرنى بأننى طفلة. فمثلا كان شقيقى الأكبر يوسف توفيق يلعب كثيرا مع أقرانه من أبناء عماته، ومنهم يوسف

صديق وسعيد الأزهرى وغيرهما، لعبة التسابق فى الجرى، وكان يوسف صديق أطولهم قامة وأكثرهم سرعة، لذلك كان يتفوق عليهم دائما. وذات مرة لكى يثبت تفوقه عليهم، قرر أن يسابقهم وهو يحملنى على كتفيه، وفعلا حملنى وتفوق عليهم بالرغم من العبء الإضافى الذى يثقل كتفيه .

أتذكر أيضا أن والدى وضع نظاما بمقتضاه يبيت واحد من أبنائه وبناته ليلة مع جدتى فى منزلها. وكانت جدتى - لكبر سنها - تنام فترات قليلة من الليل، وباقى الليل تقضيه فى قراءة القرآن وتلاوة الدعوات المتعلقة بالموت والقبر والآخرة. وكانت هذه الكلمات تفزعنى فى تلك السن الصغيرة، علاوة على خوفى من أن تموت جدتى وأنا معها. كنت أحسب ألف حساب لموعد مبيتى الأسبوعى مع جدتى، وكلما اقترب الموعد ازددت رعبا واكتئابا، ولا أستطيع أن أقول لأبى إننى لا أريد أن أبيت مع والدتك. وذات مرة حل علىَّ الدور لأبيت مع جدتى، وتملكنى الفزع والهلع لدرجة أننى أخذت أبكى، وشاهدنى يوسف صديق - ابن عمتى - فسألنى عن سبب بكائى، فرويت له ما أشعر به، فابتسم فى رقة وقال لى: «لا تذهبى، سأذهب بدلا منك للمبيت مع جدتنا» .

كان يوسف صديق يمتاز برقة وإنسانية بالغتين، وفى نفس الوقت كان ذا إرادة وعزم وتصميم إلى أقصى حد. عندما تنظر إلى قسمات وجهه تأسرك طيبته وهدوؤه ووداعته، ولا تستطيع إلا أن تثق به، فنظراته وقسماته تنم عن شجاعة وشهامة وعزم وتصميم .

هذه الصفات لم يكتسبها يوسف صديق من فراغ ولم تكن وليدة المصادفة، بل إنها صفات ورثها عن أبيه وجده. كثيرا ما كان والدى يروى على مسامعنا - خاصة فى وجود يوسف صديق - تاريخ جد يوسف صديق ووالده فى مقاومة الاستعمار والفساد، وهو تاريخ حافل مجيد يبين صلابة الجذور التى أنبتت يوسف صديق. حكى لنا أبى أن يوسف صديق الجد كان من علماء الأزهر الشريف، وكان شديد التمسك بالحق، وأثناء عمله بسلك القضاء، زار الخديو توفيق المحكمة التى كان يترأسها يوسف صديق الجد، فحاول أحد أفراد حاشية الخديو إيقاف عمل جلسة المحكمة، فرفض القاضى يوسف صديق قائلا «إن وجود الخديو فى المحكمة يجب ألا يعطل سير العدالة»، واستمر فى مباشرة أعمال الجلسة .

وفى رواية أخرى طلب الخديو من يوسف صديق الجد، بصفته من علماء الأزهر، فتوى معينة تهدف إلى اصطناع قرابة بين الخديو والنبى عليه الصلاة والسلام. إلا أن يوسف صديق رفض إصدار تلك الفتوى، مما أثار حفيظة الخديو عليه وقرر معاقبته، لكن حاشيته حذرته من غضب علماء الأزهر واستياء الناس، مما قد يسبب قلاقل لا مبرر لها. وتفتق ذهنهم عن أن يعاقبوه بطريقة خبيثة تتمثل فى منح يوسف صديق الجد درجة الباشوية ثم تعيينه حاكما عاما للقوات المصرية فى مقاطعة «كردفان» بجنوب السودان، وكانت حرب الدراويش[8] على أشدها فى تلك المنطقة .

وفعلا نفذوا خطتهم الجهنمية وتوجه يوسف صديق الجد إلى «كردفان» مصطحبا زوجته وطفليه، منصور ومحمود، وتسلم عمله الجديد الذى لا خبرة له فيه على الإطلاق. وبعد فترة وجيزة هاجم الدراويش معسكر القوات المصرية ومقر الحاكم يوسف صديق، فقتلوه هو وزوجته، أما الطفلان منصور ومحمود فقد أنقذتهما العناية الإلهية؛ إذ ادعى البستانى الذى يرعى حديقة «فيللا» يوسف صديق أن الطفلين من أبنائه، وساعد على تصديق روايته لون بشرتيهما الأسمر، وإن كان محمود وهو الأصغر قد أصيب بضربة فى رأسه. احتضن البستانى الطيب الطفلين إلى أن وجد قافلة تجار قاصدة مصر، وكان التجار فى ذلك الزمان يتنقلون بين السودان ومصر بالمراكب الشراعية التى تصل حتى منطقة «ساحل روض الفرج» بالقاهرة. اتفق البستانى مع التجار على اصطحاب الطفلين إلى مصر، وفعلا أوصلهما التجار إلى ساحل روض الفرج وتركوهما. وهناك

(٨) راجع كتاب «السودان ـ أرضه وتاريخه وحياة شعبه» ـ تأليف حسن محمد جوهر، حسنين حسن مخلوف ، رقم الإيداع بدارالكتب ١٩٧٠/٣٠٨٩ (من ص ١٨٢ إلى ص ٢١٣) وجاء به الآتى :

لقد اندلعت حرب الدراويش بسبب ضعف هيبة الخديو توفيق ومكانته باعتباره حاكما على مصر والسودان، وسوء الإدارة الذى عم السودان على يد الجنرال الإنجليزى « غوردون » حكمدار السودان . فالضرائب تجبى عدة مرات ويسرق معظمها الجباة والحكام الأجانب ، وانتشار تجارة الرقيق، وتفشى الفساد والرشوة ، فاشتدت الفاقة وكثر اللصوص . وظهر فى ذلك الوقت شاب صوفى يدعى «محمد أحمد»، ورأى أنه أهل لإزالة هذا البلاء الذى عم البلاد ، وزاد من حماسته نبوءة شيخه له (الشيخ القرشى) بأنه « المهدى المنتظر» . وشاع فى الناس زهد هذا الشاب وتدينه، فأقبلوا عليه والتفوا من حوله مؤيدين مبايعين إياه .. إماما ومهديا . وكان ذلك فى يونيو سنة ١٨٨١ ، واعتقدت إنجلترا أن فى استطاعتها الانفراد بالقضاء على المهدية ثم بعد ذلك تحقق مآربها فى السودان . وكانت حملة « هكس » الإنجليزى المكونة من جنود أغلبهم من المصريين ، وأقلهم من الإنجليز المرسلة إلى المهدى فى «كردفان» مصيرها إلى الهزيمة والهلاك التام؛ إذ أن المهدى وجنوده قضوا على هذا الجيش فى موقعة « شيكان » يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣م، وسقط القائد الإنجليزى « هكس » قتيلا. لقد سمى اتباع المهدى بالدراويش بسبب الزى الذى كانوا يرتدونه وهو الجبة المرقعة والعصا الطويلة والسبحة والركوة. (الركوة هى إبريق من الجلد تستخدم للوضوء وغيره).

شاهدهما بالمصادفة رجل طيب يدعى «الحاج شورش» يقفان حائرين، ولما استمع إلى قصتهما أشفق عليهما واصطحبهما إلى منزله، وما هى إلا أيام قليلة حتى توفى «محمود» نتيجة الإصابة القديمة فى رأسه بالإضافة إلى إرهاق السفر وصغر سنه .

قام الرجل الطيب بدفنه بمدافن أسرته «مدافن عائلة شورش» بالسيدة عائشة بالقاهرة، وظل منصور مع الحاج «شورش» إلى أن رتب له الرجل السفر إلى أهله بقرية زاوية المصلوب، مركز الواسطى مديرية بنى سويف، وهناك التقى منصور بأهله خاصة عمته الحاجة «رقية» جدتى لأبى . استقر منصور بقريته بين أهله وأخذ فى استكمال دراسته، وإن لم تنقطع صلته بالحاج «شورش» بل ظل محافظا على وفائه وصلته به. وبعد عدة سنوات التحق منصور صديق بالمدرسة الحربية، وما إن تخرج فيها حتى صدر قرار بتعيينه فى السودان، كأنما كتب عليه القدر أن يسير على نفس الطريق الذى قطعه والده سابقا. وقبل سفره إلى السودان توجه إلى الرجل الطيب «الحاج شورش» وطلب منه أن يزوجه إحدى بناته، ففرح الرجل وقدر لمنصور وفاءه. تزوج منصور وسافر إلى السودان بمفرده، فقد رفضت زوجته السفر إلى تلك البلاد البعيدة عن أهلها .

بدأ منصور صديق مشواره فى البلد الشقيق، وكما اصطدم والده بالإنجليز، اصطدم هو أيضا بهم نتيجة لسوء معاملتهم للقوات المصرية وللأشقاء السودانيين، وعانى منصور صديق الغربة والوحدة والصدام المستمر مع الإنجليز، فانتهز فرصة وجوده فى إجازة بمصر وطلب من عمته (جدتى لأبى) أن تزوجه ابنتها شريطة أن تسافر معه إلى السودان، وفعلا تزوج من ابنة عمته وسافرا سويا إلى السودان.

وأخذت علاقة منصور بالإنجليز تسوء يوما بعد يوم، حتى جاء يوم لاحظ فيه عودة الجنود المصريين من إجازاتهم بملابس متسخة بصورة لم يعهدها من قبل. ولما سألهم عن السبب، قصّوا عليه أن أحد الضباط الإنجليز فى معسكر قريب يكلف الجنود الإنجليز بتصيد الجنود المصريين العائدين من الإجازات وإرغامهم على تفريغ خزانات الصرف بالجرادل، وهذا هو السبب فى اتساخ ملابسهم على هذا النحو. أثار هذا الأمر مشاعر اليوزباشى منصور بشدة، مما جعله ينتظر أحد أيام عودة الجنود من الإجازات واصطحب معه قوة من جنوده المنتقين، وتربص بالضابط الإنجليزى وجنوده،

وما إن أمسك الجنود المصريون بالجرادل وملأوها من خزانات الصرف حتى ظهر ضابطهم اليوزباشى منصور مع قوة من جنوده، وأمر الجنود المصريين بتفريغ محتوى الجرادل على رأس الضابط الإنجليزى وجنوده، ثم انصرف منصور والجنود المصريون عائدين إلى معسكرهم .

وأمعن الإنجليز فى اضطهاد اليوزباشى منصور فنقلوه إلى المناطق النائية، التى تتسم بالحياة البدائية، كما قاموا بحرمانه من الإجازات. وفى ذلك الوقت كانت زوجته قد بدأت تشعر ببوادر الحمل، فاصطحبها إلى شقيقها وابن عمته (والدى) اليوزباشى محمد توفيق على ، وشرح منصور لوالدى الأمور وطلب منه اصطحاب زوجته معه عند نزوله فى الإجازه إلى مصر، كى تلد بين أهلها، خاصة أنه لا يعلم إلى أى مدى ستصل الأمور بينه وبين الإنجليز .

وأخذ منصور يتنقل من بلد إلى آخر فى السودان حتى انقطعت أخباره من كثرة التنقلات وصعوبة وسائل الاتصال .

وأصيب منصور بمرض الكبد، واستفحل الداء حتى أدرك الإنجليز أنه ميت لا محالة، فسمحوا له بالسفر إلى مصر لدخول المستشفى العسكرى للعلاج. وفى ذلك الوقت كانت زوجته قد وضعت طفلها «يوسف» وبلغ من العمر عدة شهور .

ووصل خبر حضور منصور إلى مصر مريضا ودخوله المستشفى العسكرى إلى القرية، وما إن سافرت زوجته إلى القاهرة لزيارته حتى كان قد أسلم الروح. وأصر الرجل الطيب «الحاج شورش» على أن يقوم بدفن جثمانه بمدافن عائلة «شورش» بالسيدة عائشة بالقاهرة، إلى جوار جثمان شقيقه محمود الذى مات طفلا .

توفى اليوزباشى منصور صديق عام ١٩١٠ عن عمر يناهز الثمانية والعشرين عاما، وكان ابنه يوسف صديق - زوجى - قد بلغ من العمر ثمانية أشهر .

هذه هى قصة كفاح جدّ يوسف صديق ووالده ضد الإنجليز وأذنابهم .

أشرفت والدة يوسف صديق على تربيته بالقرية حتى بلغ عدة سنوات من عمره، وكان خاله (والدى) اليوزباشى محمد توفيق على قد استقال من الجيش، وعاد إلى القرية كما ذكرت من قبل.

وأشرف والدى على تنشئة يوسف صديق وتثقيفه وإحاطته بتاريخ عائلته الاجتماعى والسياسى، فكان يقص عليه كثيرا كل ما حدث مع جده يوسف صديق ومع والده منصور صديق، وصدامهما مع الإنجليز وأعوانهم. وكم من مرة شاهدت قسمات وجه يوسف صديق تتحرك وتتغير مع أحداث تاريخ أسرته، حتى يمكن القول إن روح يوسف صديق قد تشبعت بروح الثورة منذ تلك السن المبكرة، ونشأ - كما هى عادة بلادنا - وهو يحمل على كتفيه مسئولية الثأر لأبيه وجده من المستعمر وأذنابه .

كان والدى يصحبه مع شقيقى يوسف توفيق إلى منطقة زراعية مواجهة لقريتنا لا يفصلها عنها سوى نهر النيل، وكانت تلقب بالجزيرة لأنها مساحة من الأرض محاطة بماء النيل من كل جانب، وهناك كان والدى يدربهما على الرماية عن طريق صيد الطيور البرية .

وهكذا نشأ يوسف صديق شديد الانتماء لأبناء وطنه من الفقراء الكادحين المظلومين المطحونين. كما نما داخله إحساسه بالجمال فى كل شىء حوله، فى كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى، فقد كان مثل خاله يرى الجمال فى النيل.. فى الحقول المترامية.. فى شروق الشمس وغروبها، كما كان يحس بآلام الإنسان وآماله.

تلك كانت طفولتنا - يوسف صديق وأنا - فى قرية زاوية المصلوب.. فى زمن واحد.. وبيئة واحدة.. بين أحضان اثنين من النبلاء يفيض قلباهما خيرا وطيبة : نهر النيل العظيم.. ووالدى الضابط الفلاّح الشاعر محمد توفيق على.

مرحلة الشباب

تزوجتُ ابن عمتى يوسف صديق، ولم يكن ذلك يمثل نقلة جديدة فى حياتى، بل كان امتدادا لحياتى السابقة بقريتى .. نفس القرية التى ولد وعاش فيها زوجى يوسف صديق فى منزل يكاد يكون هو نفس منزلنا، فوالدى خاله الذى أشرف على تنشئته، وشقيقى الأكبر يوسف توفيق هو صديقه الحميم الذى كان شبه ملازم له. لم تكن قرابتى ليوسف عن طريق والدته (عمتى) فقط، بل إن والده أيضا كان ابن خال والدى، وهكذا كانت قرابتنا مضاعفة، ونشأنا فى نفس البيئة والثقافة والعادات والتقاليد والآمال والأمانى .

هكذا قضينا - أنا ويوسف صديق - طفولتنا وصبانا وشبابنا معا خاصة فى الإجازات والأعياد. لذلك عندما تزوجنا لم يكن غريبا عليَّ، بل إننا كنا متأثرين بنفس الدرجة بأفكار وآراء والدى (خال يوسف صديق) بالإضافة إلى أوجه تقارب عديدة أخرى بين أبى ويوسف صديق، فكلاهما كان ضابطا بالجيش.. وشاعرا.. ويحمل نفس المشاعر ضد الإنجليز وأذنابهم من المصريين. لذلك لم تختلف حياتى مع يوسف صديق عن حياتى السابقة.. بل كانت امتدادا لها .

كان أبى قد حبَّب إلىّ القراءة والشعر وكراهية الاستعمار واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وبعد زواجى كان يوسف يجىء إلىَّ بكتب السياسة والشعر الوطنى. كان شاعره المفضل آنذاك هو شاعر النيل حافظ إبراهيم، لكن الغريب حقا أن يوسف بدأ يدفعنى إلى قراءة الكتب التى يقرؤها عن التكتيك العسكرى والاستراتيجية وحرب العصابات، ومنها كتب المؤلف العسكرى سعد الدين صبور. وعندما كان يصعب عليَّ استيعاب بعض ما فى هذه الكتب، كان يوسف يشرحه لى باهتمام شديد، ثم نتناوله معا بالمناقشة والتحليل .

مازلت أذكر كيف كان بارعا فى الشرح.. ذا أسلوب سهل محبب وممتع.. يجسد ما يشرحه من أفكار وأحداث وكأنى لم أكن أسمعها فقط، بل أشاهدها أيضا.

كان صريحا واضحا مواجها مجابها بلا تردد ولا وجل.. قوى الحجة.. متمكنا من لغته.. مؤمنا بقدسية الحق ومدافعا عنه مهما كان الثمن .

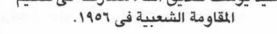
وأثناء دراسته الثانوية كان متفوقا فى اللغة العربية.. عاشقا للشعر والأدب والعلوم الإنسانية، وبرغم ذلك فقد انتصر على معارضة الأهل - خاصة أبى - والتحق بالمدرسة الحربية. كان أبى يرى أن الانضمام للجيش - فى تلك الأيام - هو انضمام لطوابير من يجيدون الخضوع للإنجليز والانحناء لأعوانهم، بينما كان يوسف متمسكا بدخول الجيش وفى عقله وقلبه دوافع وخطط بعيدة المدى لإنقاذ مصر من الإنجليز ومن الفساد الداخلى.

والتحق يوسف بالمدرسة الحربية عام ١٩٣٠، وسرعان ما بدأت شخصيته الثورية فى الظهور من الأيام الأولى. كان قد دفع القسط الأول من المصروفات، وبعد عدة شهور



الملازم ثان يوسف منصور صديق.





العقيد يوسف صديق أثناء مشاركته فى تنظيم المقاومة الشعبية فى ١٩٥٦.

حل موعد دفع القسط الثانى، إلا أنه رفض دفعه لأن من حقه الإعفاء من المصروفات لأن والده كان ضابطا بالجيش المصرى وتوفى أثناء الخدمة وبسببها. لكن إدارة المدرسة الحربية رفضت بدعوى عدم وجود قانون أو قرار يجيز ذلك. وقابل يوسف مدير المدرسة وكبار قادتها لإقناعهم بعدالة موقفه، ولكن دون جدوى، ففكر فى إرسال شكوى للملك رأسا، ولكنه أدرك أنه يمكن أن يحاسب عسكريا على تخطيه رئاسته وهو ما يسمى فى الجيش بالتسلسل العسكرى. ثم تفتق ذهنه عن فكرة ذكية لتفادى المسئولية، أرسل الشكوى للأمير فاروق وهو ليس شخصية رسمية، وفعلا ما إن وصلت الشكوى للملك فؤاد، وهى موجهة للأمير فاروق ولى العهد، حتى أرسل الملك لجنة إلى المدرسة الحربية لبحث هذه الشكوى. وانقلبت الدنيا فى المدرسة الحربية رأسا على عقب، واستدعت اللجنة يوسف صديق وناقشوه فى شكواه، وشرح لهم وجهة نظره، إلا أن أحد قيادات المدرسة انبرى قائلا : إن الطالب يوسف صديق والدته ثرية وبالتالى لا يستحق الإعفاء، فرد يوسف عليه أمام اللجنة بمنتهى الثبات والاعتزاز بالنفس قائلا :إن الذى خدم

الجيش المصرى ومات بسببه هو أبى اليوزباشى منصور صديق، وليس والدتى السيدة سكينة أحمد على .

وبسبب هذا الدفاع المنطقى والشجاع صدر قرار الملك فؤاد بإعفاء كل الطلاب الذين كان آباؤهم ضباطًا وتوفوا أثناء الخدمة من المصروفات .

وهكذا كان يوسف صديق - زوجى وابن عمتى - هو الرجل الثانى بعد والدى الذى لعب دورا كبيرا فى تشكيل أفكارى ومبادئى. ولعل معايشتى له خلال رحلة حياتنا ومعايشة مصادماته الدائمة مع عناصر الفساد والطغيان، وتعرضنا للاضطهاد والنقل المستمر من بلد إلى آخر، لعل هذا كله كان العامل الأكبر الذى شكّل شخصيتى وخلق فىَّ روح المقاومة والتحدى .

الفصل الثانى

يوسف صديق على طريق الثأر

تخرج يوسف صديق فى المدرسة الحربية عام ١٩٣٣ ليبدأ أول عهده بالخدمة العسكرية بمنطقة السلوم، وليبدأ مشواره على طريق النضال ضد الاستعمار والرجعية والفساد ... على طريق الثورة .

يوسف صديق فى مرسى مطروح

روى يوسف صديق فى مذكراته[٩] كثيرا من المواقف التى قابلته وهو لا يزال برتبة ملازم بالجيش المصرى، سواء فى السلوم أو الدخيلة أو مرسى مطروح، وهى مذكرات تبين كيف كان حال الجيش المصرى وقياداته، وكيف تصدى - بالرغم من صغر سنه ورتبته العسكرية وحداثة خدمته - للفساد. ويستطيع القارىء أن يرجع لمذكرات يوسف صديق لمعرفة الكثير من مواقفه، لكن ما أحب أن أضيفه من أحداث تلك الفترة مما لم يرد ذكره بالمذكرات .. يوضح مدى إخلاص يوسف صديق للعمل الذى يكلف به، علاوة على صلابته وقوة تحمله .

(٩) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق - تاريخ المصريين» - العدد ١٣٦ - من ص٦١ إلى ٦٨ (حياتى فى الجيش) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩.

عندما تخرج يوسف صديق فى المدرسة الحربية ألحق بعشرجى[١٠] أورطة[١١] مشاة بالسلوم . ومن مفارقات القدر أن هذه الأورطة هى ذاتها التى سبق لوالده اليوزباشى منصور صديق العمل بها منذ سنوات بعيدة بالسودان .

نقل يوسف صديق مع الأورطة إلى الدخيلة بالإسكندرية، ثم نقل معها إلى مرسى مطروح، وهناك كلف يوسف صديق بعمل عسكرى مهم جدا برغم حداثة خدمته وخبرته ورتبته العسكرية، لقد كلف يوسف صديق بتحويل هذه الأورطة المشاة إلى مدافع ماكينة. وفعلا قام يوسف صديق بهذا العمل العسكرى المهم خلال ثلاثين يوما، حتى أن القائد الإنجليزى الذى كان يتابع عملية التحويل عبَّر عن إعجابه بهذا المستوى من الأداء بقوله: «إن من يرى هذه الكتيبة لا يصدق أنها منذ شهر واحد فقط كانت كتيبة مشاة. وأطلق على هذه الأورطة بعد تحويلها إلى مدافع ماكينة «الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة» لأنها كانت أول كتيبة مدافع ماكينة مشاة فى الجيش. ومما يجدر ذكره أن هذه الكتيبة هى نفس الكتيبة التى قاد يوسف صديق مقدمتها ليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، واحتل بها رئاسة الجيش فى كوبرى القبة، وقبض على رئيس أركان حرب الجيش ومن كان مجتمعا بهم لإجهاض الثورة، وأنقذ الثورة من فشل محقق، كما أنقذ الضباط الأحرار جميعا من الإعدام رميا بالرصاص .

ومما يجدر ذكره أيضا أن يوسف صديق - خلال التدريبات العنيفة لتحويل أورطة المشاة الى كتيبة مدافع ماكينة - أصيب بشرخ فى العمود الفقرى، ومع ذلك فقد ظل سنوات يتحمل الألم حتى يكمل واجباته العسكرية .. دون أن يلزم الفراش أو يطلب إجازة .

الموقف السياسى والعسكرى عقب معاهدة عام ١٩٣٦

عقدت معاهدة عام ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا تحت مظلة حكومة حزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، وفى ظروف كان الاحتلال البريطانى يواجه فيها موقفا عسيرا،

(١٠) عشرجى : مشتقة من الرقم ١٠.

(١١) أورطة : اصطلاح عسكرى يعنى فى الوقت الحاضر «كتيبة»، وهى أحد مستويات الوحدات العسكرية (فصيلة - سرية - كتيبة - لواء - فرقة).

فالحرب العالمية على الأبواب، والحركة الوطنية المصرية تشتعل ضد دستور صدقى، والمظاهرات تعم البلاد، والشهداء يتساقطون .

وصف النحاس باشا تلك المعاهدة بأنها «وثيقة الشرف والاستقلال»، ولكنها لم تكن كذلك تماما . ففى حين اعترفت المعاهدة بسيادة مصر على أراضيها وحرية تصرفها فى الشئون الداخلية، فعلى الرغم من إلغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة ومنح مصر العضوية فى عصبة الأمم عام ١٩٣٧، وعلى الرغم من عودة القوات المصرية إلى السودان بعد سحبها منها عام ١٩٢٤، فإن المعاهدة نصت على ضرورة التزام مصر بعدم انتهاج سياسة خارجية تتناقض مع سياسة بريطانيا ومصالحها، كما نصت على وضع مميز للسفير البريطانى يتقدم به على سائر السفراء الأجانب، واحتفاظ بريطانيا بقواعد بحرية لها فى مصر . كما منحت المعاهدة تسهيلات كثيرة لصالح القوات العسكرية البريطانية فى مصر، وأعطت بريطانيا حق المطالبة بفرض حالة الطوارئ وإعلان الأحكام العرفية فى حالة قيام الحرب .

وحددت المعاهدة مدة عشرين عاما لبقاء القوات البريطانية فى مصر، ثم يعاد النظر فى وجودها بناء على قدرة مصر على حماية القناة .

وكان ذلك حافزا على تطوير الجيش المصرى، فشكل مجلس أعلى للدفاع، وعين اللواء محمود شكرى باشا قائدا للجيش المصرى بعد «سفنكس باشا» الذى خرج هو وضباطه الإنجليز من قوة الجيش المصرى .

ونصت المعاهدة أيضا على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصرى وتزويده بالسلاح. وتشكلت البعثة العسكرية البريطانية من ضباط إنجليز انتشروا فى مختلف أسلحة الجيش، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير فى التوجيه والتدريب .

وأعد المجلس الأعلى للدفاع خطة لتطوير الجيش وتسليحه عام ١٩٣٨، ولكن شروط المعاهدة كانت تقضى بضرورة التسلح من بريطانيا، فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا فى حاجة ماسة إلى سلاح لمواجهة أخطار الحرب التى بدت فى الأفق، والتى اندلعت فعلا بعد ذلك بقليل عام ١٩٣٩، مما ترك الجيش المصرى دون تسليح حديث يشبع رغبة وطموح الضباط المصريين .

ولم تكد وزارة الوفد التى أتت بها الانتخابات تبدأ فى تنفيذ سياستها حتى أقيلت فى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٣٧. وكان الملك فاروق قد تولى سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليو من ذلك العام وهو فى الثامنة عشرة من عمره، وعين محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين رئيسا للوزراء .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر عام ١٩٣٩ بادر على ماهر ـ الذى كان قد تولى الوزارة بعد إقالة محمد محمود باشا فى شهر أغسطس ـ إلى إعلان الأحكام العرفية تنفيذا لمعاهدة عام ١٩٣٦، والتى قضت بتوقيع عقوبات شديدة ضد مرتكبى الجرائم الضارة بأمن الدولة، وأيضا ضد كل من يسبب إضرارا بمصالح بلد حليف أو شريك لمصر فى العمل ضد عدو مشترك، وكان الغرض طبعا هو حماية إنجلترا .

كان العبث بالدستور، وإقالة حكومة الوفد فاتحة لمزيد من العبث ومزيد من الإقالات .

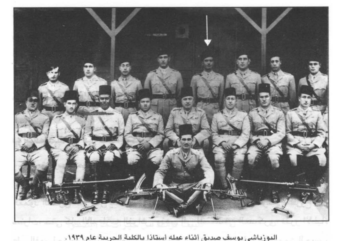
وفى تلك الظروف الدولية والمحلية المضطربة نقل يوسف صديق من مرسى مطروح إلى القاهرة للعمل مدرسا لمادة التاريخ العسكرى بالمدرسة الحربية، التى تغير اسمها بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ لتصبح «الكلية الحربية» .

يوسف صديق مدرسا بالكلية الحربية(١٢)

نقل يوسف صديق إلى الكلية الحربية عام ١٩٣٩ حيث عين أستاذا لمادة التاريخ العسكرى . وهناك فى هذا الصرح العلمى العسكرى المهم تعلم على يديه الكثير من الضباط، والعديد من الضباط الأحرار، أذكر منهم الصاغ وحيد جوده رمضان، والصاغ حسن أحمد الدسوقى، والصاغ لطفى واكد .

كانت محاضرة التاريخ العسكرى تأتى فى نهاية اليوم الدراسى، وهو موعد ثقيل على الطلبة لأنه يأتى فى نهاية يوم شاق من التدريب والدراسة، حتى أن كثيرا من الطلبة كانوا يحضرون محاضرة التاريخ العسكرى وهم شبه نائمين. ولكن بعد أن أسند

(١٢) راجع كتاب «والآن أتكلم» للسيد خالد محيى الدين ـ ص ٢٦ ـ الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر .



اليوزباشى يوسف صديق أثناء عمله أستاذا بالكلية الحربية عام ١٩٣٩.

تدريس هذه المادة لليوزباشى يوسف منصور صديق لم يغمض لطالب جفن طوال المحاضرة، فقد كان يوسف صديق يشرح وكأنه يقصّ قصة تاريخية بأسلوب شيق وممتع. وأصبح الطلاب بعد ذلك - كما كان شائعا - فى منتهى اليقظة والانتباه، بل وأصبحوا ينتظرون موعد محاضرة التاريخ العسكرى بحبّ واشتياق .

وذات يوم كان موضوع محاضرة التاريخ العسكرى - حسب المقرر - هو الدفاع الثابت Static Defense ، ولكن عندما دخل يوسف إلى قاعة المحاضرة غيّر الموضوع إلى الدفاع المتحرك Liquid Defense. وأثناء المحاضرة، دخل كبير المعلمين الإنجليز، فلاحظ تغيير موضوع المحاضرة، فاستاء وطلب تفسيرا من يوسف صديق، فرد عليه يوسف بشجاعه وثقة قائلا :

- انظر إلى دفاعاتكم الثابتة فى جبل طارق، وخط «ماجينو»......، إلخ، لقد سقطت وانهارت فى الحرب . إن الدفاع المتحرك هو لغة الحرب الحديثة .

وأضيف أنا اليوم أن سقوط «خط بارليف» على أيدى جنود مصر البواسل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، يؤكد صحة رأى يوسف صديق فى أن الدفاع المتحرك هو لغة الحرب الحديثة .

كان وجود يوسف صديق كأستاذ بالكلية الحربية سببا فى تغيير أفكار ومسار كثير من الطلبة(١٣)، الذين انضموا فيما بعد لتنظيم الضباط الأحرار.

يوسف صديق فى كلية أركان الحرب

التحق يوسف صديق عام ١٩٤٢ بكلية أركان الحرب. أنهى النصف الأول من العام الدراسى بنجاح وتفوق، ولكن مع بداية النصف الدراسى الثانى، اشتدت عليه آلام العمود الفقرى التى كان يتحملها بصبر شديد منذ إصابته فى مرسى مطروح قبل سنوات، حتى كاد الألم يلزمه الفراش. وذهب إلى المستشفى العسكرى، فقرر الأطباء على الفور احتجازه بالمستشفى تحت العلاج، ثم وضعوه داخل «چاكت» من الجبس، ظل به ثمانية عشر شهرا. وكان يوسف يصف هذا «الچاكت» بأنه سجن تفصيل .

ومن الوقائع الطريفة أنه عندما كان يوسف صديق نزيلا بالمستشفى العسكرى، كان من المعتاد أن يقوم الضباط الأطباء الإخصائيون بالمرور على الضباط المرضى لمتابعة

---

(١٣) راجع جريدة الأهالى بتاريخ ٢٧ /٣ /١٩٩١ ـ مقال للأستاذ لطفى واكد تحت عنوان «يوسف صديق بطل مصر الأسطورى » .. حيث يروى عن يوسف صديق كأستاذ بالكلية الحربية، فيقول : « ... وجدت نفسى فجأة طالبا بالكلية الحربية أتعرض مثل باقى زملائى لانضباط شديد انعكس فى وجدانى إحساسا بالقهر ونفورا من السلك العسكرى، وبدأت أراجع نفسى فى جدوى الارتباط الأبدى بهذه الحياة العسكرية، وما يمكن أن أحققه للوطن فى هذا المجال. فقد كانت البعثة العسكرية البريطانية تملك السيطرة على مقدرات الجيش المصرى، كما كان المندوب السامى البريطانى يملك السيطرة على الحكم فى مصر. وفى خلال مرحلة التوتر والتفكير كنت أكثر اتجاها إلى التخلص من هذه الحياة، والعودة إلى الحياة المدنية والالتحاق بالجامعة حيث مجال الحرية قائم ومجال النضال وارد. فى هذه المرحلة ، وفى هذه الظروف النفسية ظهرت ومضة الأمل التى أنارت طريقى، واستقر أمرى على التمسك بالحياة العسكرية طريقا للنضال من أجل الوطن ، وفى أحد الأيام كنا فى طابور تدريب ، وكان على رأسه ضابط برتبة اليوزباشى لم أكن أعرفه .. كان أسمر اللون، صارم القسمات، ممتشق القوام، مهيب الطلعة. ألقى علينا هذا الضابط محاضرته ثم انتقل إلى الحديث عن البعثة العسكرية البريطانية ، وعن جيش الاحتلال، وعن الواجب الوطنى فى التحرر من النفوذ الأجنبى، وعن واجبنا فى تثقيف الجنود وتحريرهم من أسطورة الإمبراطورية البريطانية التى لا تقهر. وقال كلاما لا أذكر تفاصيله بعد هذه السنين ، ولكن ما علمه لنا كان فى مثل هذا العصر وفى مثل ذلك المكان قد فاق كل التوقعات. وجدت فيه بريق الأمل والنموذج الجديد لضابط الجيش الوطنى الشجاع ، وقررت أن أتمسك بانتمائى للجيش وأن أسير على درب هذا الضابط الأسطورة ...... يوسف منصور صديق».

حالتهم الصحية، وكان من بينهم الدكتور «عبد النبى»، وهو طبيب مسالك بولية لامع وله اختراع مسجل باسمه عبارة عن «مرحاض» خاص بالمرضى الذين لا يستطيعون استعمال «المرحاض» العادى، وذات يوم كان الدكتور عبدالنبى يمرّ على غرف الضباط المرضى، وكان يرافقه فى المرور أحد الضباط الذين يعرفون يوسف صديق، فلما وصلا إلى حجرة يوسف صديق، قام الضابط بإخبار الدكتور عبد النبى بأن يوسف شاعر، فطلب الدكتور عبدالنبى من يوسف أن يقول فيه شعرا، فارتجل يوسف هذين البيتين[١٤]:

عبدالنبى يا ابن قوم فى الورى برعوا
وراقهم منظر المرحاض فاخترعوا
وسجلوه على الأيام مفخرة
فليهنأ قومك من خيرات ما ابتدعوا

عاد يوسف صديق إلى كلية أركان الحرب لاستكمال دراسته، لكن إدارة الكلية رفضت ذلك، وطلبت منه أن يبدأ من الفصل الدراسى الأول، غير أنه أصر على إتمام منهج النصف الثانى مادام قد نجح فى منهج النصف الأول. أصر يوسف على موقفه وخرج الأمر من نطاق إدارة الكلية إلى مستوى رئاسة الجيش، وناضل يوسف ودافع عن رأيه، وفى النهاية تمت الموافقة. وكانت أول مرة فى تاريخ الجيش المصرى أنَّ ضابطا يستكمل دراسته بكلية أركان الحرب وهو يرتدى «چاكت» من الجبس .

ومما أذكره ورواه لى يوسف أيضا عن فترة دراسته بكلية أركان الحرب أن المدرس الإنجليزى الذى كان يقوم بتدريس مادة «التكتيك»، كان يستخدم نماذج صغيرة من الدبابات تشبه لعب الأطفال الصغيرة كوسائل إيضاح، فقال له يوسف: «هل تعلمون ضباطكم فى إنجلترا على مثل هذه النماذج ؟». رد المدرس الإنجليزى بأن إنجلترا ترسل أفضل ضباطها لتعليم الضباط المصريين . فرد عليه يوسف قائلا :

---

(١٤) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام» ص ٨٠ ، الصادر عن مؤسسة دار الشعب فى يناير عام ١٩٩٩.

- هل هذا يعنى أن إنجلترا أرسلت لنا أفضل ضباطها لتعليمنا وهى الآن تخوض الحرب العالمية بالضباط الأقل كفاءة ؟!

سكت المدرس الإنجليزى ولم يستطع أن يرد على هذه الإهانة الذكية .

وفى المحاضرة التى ألقاها يوسف صديق فى كلية أركان الحرب ليحصل بها على الشهادة، قال موجها كلامه إلى زملائه من الضباط الدارسين ما خلاصته : إن خلاص البلاد لابد أن يتم على أيديهم .

فقد كان يتعين على الضابط الدارس تقديم بحث باللغة الإنجليزية فى نهاية مدة الدراسة، فاختار يوسف بحثا يتناول تاريخ الجيش المصرى والمعارك التى خاضها. وكان الحاضرون - علاوة على الضباط الدارسين - رئيس البعثة العسكرية الإنجليزية، ورئيس هيئة أركان حرب الجيش، ولفيف من قيادات الجيش وقيادات حزب الوفد. وبدأ يوسف فى إلقاء بحثه عن تاريخ الجيش المصرى منذ عهد الفراعنة، متناولا فترات الازدهار وفترات الاضمحلال، وأنهى البحث بالعبارات التالية : «ومازال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى» .

وكان الملك هو القائد الأعلى للجيش، وهو طبعا ليس مصريا، فهو ينحدر من أسرة محمد على ذات الجذور التركية .

يوسف صديق بإدارة الجيش

أنهى يوسف صديق دراسته بكلية أركان الحرب وحصل على شهادتها، بالرغم من مرضه «وچاكت» الجبس الذى كان يرتديه على مدى ثمانية عشر شهرا.

وألحق يوسف صديق - حوالى عام ١٩٤٦ - بإدارة الجيش (إدارة السجلات العسكرية). وفى ذلك الوقت أحيل الأميرالاى سليمان عبدالواحد سبل إلى الاستيداع[١٥]، وكان رئيسا لعمليات القوات المسلحة ومشهودا له بالكفاءة والشرف والنزاهة، مما أثار استياء معظم الضباط، فنظموا حفل تكريم ووداع له بنادى ضباط

(١٥) راجع كتاب أوراق «يوسف صديق»، ص ٧٠ .

الجيش. وطلب البكباشى رشاد مهنا من يوسف صديق - الذى تربطه بيوسف صديق علاقة زمالة ومودة منذ كانا طالبين بالمدرسة الحربية - المشاركة فى الاحتفال بإلقاء كلمة أو قصيدة، فطلب منه يوسف أن يكون آخر الخطباء فى الحفل، وفعلا ما إن جاء دور يوسف صديق حتى كان قد نظم قصيدة قال فيها(١٦) :

مااللوجـوم علا الوجـوه وشـاعـا
وتطيَّرت تلـك القلـوب شعـاعـا
حتـى كـأن القـوم أول مـرة
شهـدوا جهـاد المخلصـين مضاعـا
إن اختـلاف الرأى فيمـا بيننـا
قد ضيـع الحـق المبيـن فضاعـا
من لى بمن يرضى النفوس جميعها
ويصحـح الأحـداث والأوضـاعـا

كان يوسف صديق يرى أن هذا الحفل العلنى الذى أقامه الضباط بنادى ضباط الجيش لتكريم المحتفى به، والذى أحاله النظام الملكى للاستيداع، هو بداية الثورة على الأوضاع الخاطئة(١٧) .

نقل يوسف صديق بسبب هذه القصيدة إلى الإسماعيلية، فرفض أن نسافر معه بسبب انتشار وباء الكوليرا بهذه المنطقة. لكننى رفضت أن يسافر بمفرده، وتمسكت بسفرنا معه - أنا وطفلنا حسين، وبعد وصولنا إلى الإسماعيلية بأيام قامت قيادة الجيش باعتقال باقى خطباء حفل التكريم، ولم يتمكنوا من اعتقال يوسف صديق لأن مرض الكوليرا كان قد عم منطقة القنال، وعُزلت المنطقة كلها، ولم تكن القطارات تسير منها ولا إليها، وانفصلت عن باقى القطر تماما .

---

(١٦) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٢٧ .

(١٧) راجع كتاب أوراق «يوسف صديق»، ص ٧٢، حيث يقول يوسف صديق: «وإننى أميل إلى اعتبار هذا الحادث أول خطوة فى الثورة. فحينما تصدر قيادة الجيش قرارا يحتج عليه ضباط الجيش ويندون به فى حفل علنى فهذه ثورة».

يوسف صديق والأحزاب السياسية

□ حزب الوفد

بعد أن نقل يوسف صديق إلى الكلية الحربية بالقاهرة، أصبح فى معقل الأحداث والتيارات السياسية المختلفة، فكان طبيعيا أن يحاول - كثائر - أن يتعرف على تلك التيارات عن قرب. ولما كان سعد زغلول - وخطبه فى جموع الشعب - قد جذب يوسف وهو مازال فى مرحلة الدراسة الثانوية .. فانضم إلى مظاهرات حزب الوفد[١٨]، لذا كان طبيعيا بعد أن ازداد نضجا أن يتجه وجدانيا إلى الحزب الذى جذبه فى الصغر. لكن يوسف صديق فوجئ بأن حزب الوفد بزعامة سعد زغلول يختلف كثيرا عن حزب الوفد بعد سعد زغلول، وأنه يفقد شعبيته الجارفة شيئا فشيئا، مما جعل يوسف يبحث عن طريق آخر.

□ الإخوان المسلمون

عندما ترك يوسف صديق حزب الوفد بحثا عن طريق آخر يتفق مع أفكاره ومبادئه، كان طبيعيا أن تدفعه جذوره الريفية المتمسكة بالدين إلى أن يتجه إلى الإخوان المسلمين[١٩]. وساعد على ذلك قيام صديقه وزميله البكباشى رشاد مهنا[٢٠] بواجب التعارف بين يوسف وضابط بوليس سابق اسمه «لبيب» كان مسئولا عن تجنيد الضباط للإخوان المسلمين، وبدأت تتم بينه وبين يوسف لقاءات أسبوعية، لكنها لم تستمر طويلا. وترك يوسف صديق الإخوان المسلمين، لأنه لم يجد فيهم تنظيما عصريا مقبولا يرضى أفكاره ومبادئه .

□ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو»

عندما أُلحق يوسف صديق بإدارة الجيش (إدارة السجلات العسكرية) حوالى عام ١٩٤٦، تعرَّف هناك على الكاتب والسياسى المعروف إبراهيم عبد الحليم الذى كان يعمل

(١٨) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ٧٥.

(١٩) راجع المرجع السابق، ص ٧٥.

(٢٠) البكباشى رشاد مهنا: هو القائمقام رشاد مهنا، الوصى على العرش بعد ثورة يوليو.

موظفا مدنيا بإدارة السجلات العسكرية، ودارت بين الاثنين مناقشات كثيرة حول النظرية الماركسية، وأمد إبراهيم عبد الحليم صديقه يوسف بكثير من الكتب السياسية الماركسية .

كان لقاء يوسف صديق بإبراهيم عبدالحليم[٢١] يمثل أول اتصال ليوسف بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو»[٢٢] .

يوسف صديق فى الإسماعيلية

بدأ يوسف صديق فى الإسماعيلية يستكمل مشواره على طريق النضال ضد الاستعمار وأعوانه . عاد إلى كتيبته (الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة) وكأن القدر قد ربط بين يوسف صديق ووالده وبين هذه الكتيبة المتميزة ضمن سلاح المشاة، والتى أراد لها الله أن تلعب دورا مهما فى تاريخ مصر الحديث.

ولم يتوقف يوسف صديق عن نشاطه السياسى بالرغم من تقارير المخابرات الحربية، فكان يفتح منزله للضباط الذين يرى فيهم روح الوطنية والشجاعة، أذكر منهم اليوزباشى حسن أحمد الدسوقى، واليوزباشى نصر جعيصة، واليوزباشى شوكت، وغيرهم. كانوا يجتمعون يوم الأحد من كل أسبوع تحت ستار سماع السهرة الغنائية التى كانت تقدمها المطربة «لوردكاش»، والخميس الأول من كل شهر موعد السهرة الغنائية للسيدة «أم كلثوم» .

كنت أسمعهم يتناقشون فى الأوضاع الراهنة وما وصلت إليه الأمور من تردٍ، وأنه لا أمل فى تغيير الأوضاع إلا بواسطة الجيش، فالأحزاب منشغلة تماما فى التناحر فيما بينها، كما أن الشعب غير مؤهل .. لا يملك القوة التى يستطيع بها الإطاحة بالنظام الملكى الفاسد .

(٢١) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص٧٧ ، حيث يقول: «وكان لقائى مع الشيوعيين فى الأربعينيات ...».

(٢٢) راجع مجلة «دراسات اشتراكية» ـ عدد مايو سنة ١٩٧٥ ـ ص٧٧ ـ بمناسبة وفاة يوسف صديق، حيث يقول إبراهيم عبد الحليم تحت عنوان «وداعا أيها الرفيق»: «مشوار طويل مشيناه معا .. أكثر من ثلاثين عاما أيها الرفيق وأنت معنا ومع شعبنا تحمل راية النضال .. مات يوسف صديق الأخ والصديق والرفيق والابن البار للشعب المصرى ...».

كـان رأى يوسف صـديق ـ دائمـا ـ ترك الكلام وحـمل السـلاح ضـد الاسـتـعـمـار وأعوانه. للإطاحة بهما. وفى القصيدة التى ألقاها عام ١٩٤٦ بمناسبة الاحتفال بيوم الجيش(٢٣) ـ وقد حضـر هذا الحفل كبار رجال الدولة ـ ناشد الشعب أن يحمل السلاح ويهب لتغيير الأوضاع .

يوسف صديق فى أسوان

لم تكن مـفـاجـأة ليوسف صـديق أن يعـرف بعـد ذلك أن المخـابرات الحـربيـة كـانت ترصـد اجتمـاعـاته وتحركاته. ففى أحد الأيام حضـر اليوزباشى حسن الدسوقى إلى المنزل وعلى وجهه ابتسـامة عريضـة، وأبلغنا بأنه نُقل إلى أسيوط. ولما أبديت دهشتى وبدأت فى تهوين الأمر عليه، قائلة إن للنضـال ضـريبـة يجب أن يدفعـهـا الثوار، إذا به يكمل حديثه موضـحـا بأننا أيضـا نقلنا ولكن إلى أسوان، وعلق على ذلك ضـاحكا : «كلٌ حسب أقـدمـيتـه». فرددت عليـه قـائلة «أسـوان أو أسـيوط أو الإسـمـاعيلية كلهـا أراض مصرية» .

ومما يجب ذكره هو أصـالة معدن الإنسان المصرى، فبالرغم من نقلنا إلى آخر مدن مصـر المحـروسـة .. إلى أسـوان، إلا أن الجندى المراسلة الخـاص بيوسف صديق (وكان يدعى «خميس محمد خميس») أصر على أن ينقل معه إلى أسوان، وصـمم على النقل إلى حـد البكاء، وكـان يقـول: «أروح معـاك لآخـر الوديان» .. تعـبـير صـادق من إنسـان مصـرى بسيط. لم أستطع أن أنسى هذه الكلمات بالرغم من مرور أكثر من خمسين عاما، كما تدل على أن ليوسف صديق شـخصية أسرة، وكانت علاقته بضـباطه وجنوده قائمـة على الود والثقة والاحترام، ولا عجب أن يكون هؤلاء الضـبـاط والجنود فى ليلة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، أطوع له من بنانه .

ومن الطريف، أن المجند «خـمـيس» بعـد أن أنهى خـدمـتـه العـسكرية تطوع لخـدمـة الشـرطة، ومرت السنوات وكبر حسـين ابنى وأصبح ضـابط شرطة بمركز شرطة الفشن بمحـافظة بنى سـويف، وعـمل «خـمـيس» تحت رئاسـتـه. تعـرف «خـمـيس» على حسـين،

(٢٣) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٨١ .

وعرف عنواننا، وحضر لزيارتنا، وطلب من حسين أن يتوسط له لدى مأمور المركز ليعينه لاصطياد الكلاب الضالة، فهذه الوظيفة تمنح القائم بها علاوة شهرية تبلغ نحو خمسين قرشا، وقد استطاع ابنى حسين أن يحقق له «هذا الحلم الكبير!!» .

شددنا الرحال إلى أسوان، وحسن الدسوقى إلى أسيوط. وفى أسوان استضافنا «بالعوامة» الخاصة به الملازم محمود الجيار(٢٤)، وانتقل هو ليقيم بالمعسكر .

وبعد ذلك بحوالى عشرة أيام، كنت جالسة أنا ويوسف بجوار نافذة «العوامة» نتحدث كعادتنا، ونناقش ما يمكن عمله فى هذه البلدة الجديدة، وخطتنا لنشر الوعى السياسى بين الضباط، وإذا بى أرى عبر النافذة ضابطا بملابسه العسكرية قادما نحونا، وعندما أمعنت النظر أدركت أنه الصاغ حسن الدسوقى، فأخبرت يوسف بذلك، فلم يصدق حتى وجده يقف أمامه بشحمه ولحمه كما يقولون . استقبلنا حسن الدسوقى بحفاوة، وسألناه عن سبب حضوره إلى أسوان خاصة بعد تلك الأيام القليلة، فعرفنا منه أنه نقل إلى أسوان لتسلم العمل من يوسف، وأن يوسف نقل إلى فلسطين .

وبناء على ذلك أجرى يوسف اتصالاته، فتم حجز مسكن لنا بمساكن ضباط الجيش بقشلاقات العباسية .

يوسف صديق فى فلسطين

انتقلت أنا وابنى الصغير حسين إلى مسكننا الجديد بثكنات ضباط الجيش بالعباسية، وواصل يوسف رحلته إلى فلسطين التى اندلعت فيها حرب عام ١٩٤٨. تمركز يوسف بقواته فى منطقة «أشدود» .

وخلال فترة وجوده بفلسطين حل موعد إلحاق حسين ابنى بالمدرسة. كان ذلك يتطلب إعداد أوراق مختلفة، فأرسلت حسين ومعه الجندى المراسلة إلى البكباشى رشاد مهنا، وكان قائدا لقسم القاهرة(٢٥)، فتولى كل شىء حتى وضع حسين قدمه داخل المدرسة .

(٢٤) الملازم محمود الجيار : هو الضابط الحر محمود الجيار مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

(٢٥) قسم القاهرة : هو المسئول عن منطقة القاهرة العسكرية .

كان يوسف متمركزا بقواته - كتيبة البنادق السابعة مشاة - في موقع يسميه «رأس الحربة». وهذا الموقع كان في مواجهة القوات الإسرائيلية مباشرة، وكانت تحيطه حدائق غناء حركت في يوسف صديق عواطف ووجدان الشاعر برغم القتال وقصف المدافع ودويّ القنابل، فكتب قصيدة بعنوان «جنة أشدود»(٢٦).

كان يوسف صديق عقلية عسكرية ذكية متطورة، فقد استحدث في «أشدود» نظاما دفاعيا أسماه «جزر المقاومة». وقد حقق هذا الأسلوب نجاحا مثاليا، فكان محل إشادة من القيادة العامة لحرب فلسطين(٢٧). وكانت قيادة القوات في فلسطين ترسل ليوسف الضباط ليتدربوا على هذا الأسلوب التكتيكي الناجح. وبالرغم من ذلك فقد فوجئ يوسف صديق بعد فترة قصيرة بصدور حركة الترقيات وتخطيه في الترقية إلى رتبة البكباشي، وتخطى حسن الدسوقي في الترقية إلى رتبة الصاغ. وعندما سعى لمعرفة السبب وجد أن السبب المكتوب هو أنه لا يصلح للترقية بوجه عام، وعرف أن وراء ذلك تقارير المخابرات الحربية. وإزاء تلك المفاجأة والتناقض الصارخ بين خطابات الشكر والتقدير من ناحية، وتخطيه في الترقية وهو يواجه العدو الصهيوني بصدره من ناحية أخرى ويتعرض للموت في كل لحظة، تحرك الشاعر داخل يوسف صديق فكتب قصيدة أرسلها لرئيس هيئة أركان حرب الجيش، قال في مطلعها(٢٨):

أَمَّنْتُ ظهرى بالحبيب من العدا

فأصابنى فيه الحبيب تَعَمُّدَا

ورميت بالسهمين .. سهم شاهد

فى الصدر أنى ما تهيبت الردى

شهدت لى الأعداء عدلا، يا ترى

سهم الأحبة ما عسى أن يشهدا

(٢٦) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٨٣ .

(٢٧) راجع الوثيقة رقم «١٠» في ملحق الوثائق

(٢٨) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٨٤ .

كما أرسل قصيدة لوزير الحربية متظلمـا من تخطيه فى الترقية، أذكر منها[٢٩] :

قُـلْ للوزيـرِ وقـد تبـين حقُّـنـا

وولاؤنـا، مـا بالُـهُ ينسانـا

إنا لَنَطْلُـبُ حقَّنـا لا نبتغـى

من فضلِهِ جودا ولا إحسانا

وفى أقرب إجازة ميدان، نزل يوسف من فلسطين بملابس الميدان إلى مكتب رئيس أركان حرب الجيش. وحاول مدير المكتب تأجيل المقابلة بحجة أنه لم يتم تحديد موعد سابق، فقال له يوسف بصوته الجهورى: «أنا قادم من الميدان وعائد له ثانية وليس لدىّ وقت لأساليب الموظفين الجالسين إلى المكاتب الفاخرة بالقاهرة» .

وترك يوسف صديق مدير المكتب وتوجه مباشرة إلى مكتب رئيس الأركان، وفتحه ودخل عليه بكل ما يحمله فى داخله من غضب نتيجة الظلم الواقع عليه، مما جعل رئيس الأركان يبادر بإخبار يوسف بأنه صدر أمر بترقيته إلى رتبة البكباشى فى ذات أقدميته بين أقرانه. فسأله يوسف : «وماذا بشأن اليوزباشى حسن الدسوقى ؟» .

رد رئيس الأركان مبتسما قائلا : «واليوزباشى حسن الدسوقى أيضا سيرقى إلى رتبة الصاغ» .

كان يوسف يحضر فى إجازة من حين لآخر ثم انقطع عن الحضور، لكنى أتذكر أنه فى آخر إجازة له كان مريضا نتيجة إجراء جراحة استئصال الزائدة الدودية له فى الميدان. كما أنه كان ثائرا جدا بسبب تردى الأوضاع السياسية فى البلاد، وسوء إدارة الحرب، وهو ما تسبب فى حصار القوات المصرية بمنطقة «الفالوجا». وكان يقول إنه كان بقواته فى «أشدود»، وعندما صدر له الأمر بالانسحاب، كان لابد أن يمر خلال الانسحاب بموقع «الفالوجا» المحاصر، فلو كان أحيط علما بحصار الفالوجا، لكان استطاع بقواته إنهاء حصارها بسهولة ويسر، ولكنه لم يعلم بأمر حصارها إلا بعد أن كان قد تجاوزها بمسافة كبيرة ووصل إلى منطقة «غزة» .

(٢٩) راجع المرجع السابق ص ٨٥ .

كان يوسف صديق يعتقد أن حصار الفالوجا كان أمرا مُدَبَّرا بين السراى والإنجليز لتبرير وقف القتال والانسحاب من معظم المواقع المتقدمة المهمة(٣٠).

بداية اتصالى «بحدتو»

أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كنا نسكن بثكنات ضباط الجيش بقشلاقات العباسية، كما سبق أن ذكرت، وكان يوسف فى فلسطين، وكان شقيقى محمود توفيق الطالب بكلية الحقوق يقيم معى بصورة شبه دائمة، وقد عرفت فيما بعد أنه انضم خلال دراسته بالكلية لتنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو». كان يُحضر معه للمنزل كتبا سياسية، وكتبا عن الماركسية، فكنت أشغل وقت فراغى بقراءة هذه الكتب التى وجدت فيها معارف ومعلومات جديدة علىَّ، فهى تناقش قضايا مهمة مثل نظرية فائض القيمة، الاستعمار والاحتكار، تحقيق أكبر قدر من الأرباح كهدف رئيسى للنظام الرأسمالى، والعلاقة بين العامل وصاحب العمل ... إلخ .

أصبحت أترقب كل جديد من الكتب التى يجىء بها أخى محمود. وذات يوم حضر متأخرا عن موعده المعتاد، وعرفت منه أن زميلا له سيقضى معه تلك الليلة وربما يستمر لبضعة أيام أخرى إلى أن يسافر إلى بلدته .. إذ أنه ليس من أبناء القاهرة .

انقضى يوم، يومان، بضعة أيام، والضيف مازال موجودا لم يسافر إلى بلدته. ولفت نظرى خروج محمود من المنزل فى الصباح الباكر على غير عادته ومعه ضيفه، وعودته فى ساعة متأخرة من الليل. وأنا لم أر هذا الضيف، لكنى استنتجت اسمه، فمحمود كان كثيرا ما يتحدث عن صديق حميم له اسمه محمد كمال عبدالحليم، فقلت فى نفسى لابد أنه هو الضيف. وقرأت بعد ذلك بعدة أيام فى إحدى الصحف أنه مطلوب القبض

(٣٠) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ٧٤ .
راجع جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٢ ، ص ٢٦، مقال الدكتور مصطفى عبد الغنى بعنوان «أوراق يوسف صديق .. والدور المجهول !!» ، حيث يقول يوسف صديق عن دور الاستعمار الإنجليزى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨: «وجاءت حرب فلسطين .. لتضع اللمسات الأخيرة كما يقولون .. فقد دفع بالجيش المصرى والجيوش العربية الأخرى إلى المعركة على أساس أن يتلقوا ضربة قاضية من اليهود ويستنجدوا بإنجلترا التى تأتى من مركز قوة لتملى شروطها، فلم تكن سياسة الملك وأذنابه فى مسألة الأسلحة الفاسدة إلا تمشيا مع هذا الخط المرسوم ..».

عليه، فتأكدت أن ظنى فى محله. أطلعت محمود على الصحيفة فأكد لى صحة اعتقادى، وتناقشنا فى أمر كمال عبدالحليم وانتهينا إلى أن أفضل مكان يختبئ فيه من البوليس السياسى هو منزلنا، فالبوليس لن يرد إلى فكره أنه مختبئ بثكنات ضباط جيش جلالة الملك. وظل كمال عبدالحليم مختبئا بمنزلنا، وأصبحت أشاركهما ـ هو ومحمود ـ فيما يفعلان. كان يكتب صيغة المنشور بخط يده، وأقوم أنا بإرساله إلى شقيقه إبراهيم عبدالحليم .. مستخدمة فى ذلك الجندى المراسلة «خميس محمد خميس»، فكنت ألف المنشور فى الأوراق وأضعه فى «سبت» الخضار من أسفل .

وذات مرة سألت كمال : أليست هناك طريقة أسهل وأفضل من الطريقة التى نرسل بها المنشور، خاصة أنها كانت تستغرق وقتا طويلا؟ فكتابة صيغة المنشور، ثم إرساله لإبراهيم عبدالحليم، ثم قيام إبراهيم بإرساله إلى من يتولى الطباعة .. كل هذا كان يؤدى إلى ظهور المنشور بعد فوات وقت الحدث الذى كتب من أجله. اقترح كمال أن نقوم بطبع المنشورات مباشرة فى البيت بطريقة البالوظة، وأحضر محمود المواد وكنا نرسل الجندى المراسلة لشراء الثلج اللازم للبالوظة، وبدأنا فى طبع المنشورات .

اتسعت عملية طبع المنشورات، مما دعا كمال إلى التفكير فى إحضار مطبعة «رونيو». وفعلا خرج ذات يوم فى الصباح الباكر وأحضر «الرونيو»، وجلس به ـ مخبأً داخل صندوق أو حقيبة لا أذكر ـ على مقهى بحى العباسية. وفى ذلك الوقت كانت «سونيا» ابنة شقيقتى فى زيارتى، فأفهمت «الشغالة» أن سونيا خطيبة كمال، وأننا سنخرج لشراء أشياء خاصة بحفل الخطوبة، واصطحبتها فى تاكسى ومعها الجندى المراسلة إلى أن وقفنا بالقرب من المقهى، ونزلت «الشغالة» وجندى المراسلة وأحضرا الحقيبة التى بها «الرونيو» من كمال الجالس على المقهى. عدنا بالتاكسى إلى المنزل، وكانت «الشغالة» تزغرد طوال الطريق بمناسبة إحضارنا أشياء الخطوبة .

ومرت الأيام والأمور على خير ما يرام، وذات صباح وأنا أطالع الصحف، إذ بى أشاهد بإحدى الصحف صورة كمال عبدالحليم وإعلانا من وزارة الداخلية بمكافأة خمسين جنيها لمن يرشد عنه. قدمت الصحيفة لكمال، وقلت له مازحةً: «يبدو أن عهد الفول والطعمية قد انتهى، سيكون معى خمسون جنيها» .

عودة يوسف صديق من فلسطين

عاد يوسف صديق من فلسطين بعد توقف الحرب بسبب الهدنة، وجاء الجندى خميس يجرى مهللا فرحا معلنا عودة «جناب البكباشى». لاحظت أن كمال عبدالحليم لم يظهر على وجهه خوف أو وجل عند سماعه خبر قدوم يوسف صديق، بالرغم من أنه من الطبيعى أن ينتابه الخوف أو القلق، فيوسف بكباشى فى جيش جلالة الملك فاروق الأول، ويمكن أن يقوم بتسليمه للبوليس السياسى. بعد ذلك عرفت السر وراء عدم خوف كمال، فلقد سبق لهما أن التقيا بقريتنا «زاوية المصلوب» عندما سافر كمال مع أخى محمود إلى هناك ذات مرة. كما عرفت أن يوسف يعرف إبراهيم شقيق كمال منذ عمله بإدارة الجيش، وكان إبراهيم عبد الحليم أول من أطْلع يوسف على النظرية الماركسية .

عندما التقى يوسف صديق بكمال عبدالحليم فى قريتنا، دار بينهما نقاش حول الأوضاع السياسية فى البلاد. وكان رأى يوسف أنه يجب عدم ترك المستعمر الإنجليزى فى منطقة القنال يشعر بالراحة والأمان، فيجب على الشباب تشكيل مجموعات تخوض حرب عصابات ضد الإنجليز، وأنه على استعداد لتدريب هؤلاء الشباب على ضرب النار وحرب العصابات، ويمكن أن يتم ذلك فى منطقة الجزيرة المواجهة لقريتنا .

على كل حال عاد يوسف من فلسطين وهو أكثر سخطا واقتناعا بأنه لا أمل فى إصلاح الأوضاع، وأنه لا حل إلا بتغيير الأوضاع كلية. وأضافت مأساة حرب فلسطين إلى سخط يوسف صديق .

وأنا طبعا كنت مثل يوسف صديق مقتنعة تماما بأنه لابد من تغيير الأوضاع، فالبناء المتهدم لا يجدى معه الترميم .

أطلعنا يوسف على المنشورات التى كنا نقوم بطباعتها والخاصة بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو». ولاحظ يوسف أن المنشور عبارة عن حوار ومناقشة بين تنظيمين شيوعيين أحدهما تنظيم «حدتو»، وكل من التنظيمين يكيل الاتهامات للتنظيم الآخر . قال يوسف صديق لكمال عبدالحليم :

- «لن تنجحوا بهذه الطريقة ولن تحققوا شيئا لصالح البلد»، ومزق المنشور دليلا على عدم الرضا، واستطرد قائلا :

- «ستظلون تشتمون وتهاجمون بعضكم إلى أن يحضر البوليس السياسي ويقبض عليكم جميعا دون أن تكونوا قد حققتم أي نتائج عملية تساعد البلد على الخلاص مما هو فيه» .

ومنذ أن عاد يوسف من فلسطين والغضب والثورة يملآن نفسه، أصبح لا يهدأ، صباحا يقوم بعمله في الجيش، ومساء في مقابلات مع الضباط يتحدث معهم عن الأوضاع وعن أحداث فلسطين والإنجليز والسراي، بالإضافة إلى لقاءات بالعديد من السياسيين الذين ينتمون إلى اتجاهات سياسية مختلفة. وكان يحضر هذه اللقاءات الكثير من الضباط الذين كان يوسف يسعى إلى شحنهم ضد السراي .

الرسالة المجهولة

ذات يوم عصرا، وأنا أقف في شرفة «الفيللا»، رأيت جنديا على «موتوسيكل حربي» ينهب الأرض متجها ناحيتنا مباشرة حتى وصل أمام «الفيللا» وسألني عن البكباشي يوسف صديق، فعرفته أن هذا منزله وأنه موجود، فمد لي يده بخطاب مغلق مكتوب عليه «البكباشي يوسف صديق»، وفي أعلى المظروف الأصفر عبارة «سرى للغاية». وطلب مني الجندي تسليم الخطاب ليوسف، وانصرف كما جاء مسرعا دون أن ينتظر مني أي رد أو استفسار أو حتى ليتأكد من تسليم الخطاب ليوسف. سلمت الخطاب ليوسف، فتحه فوجد به ورقة بيضاء صغيرة مكتوبا بها: «تخلص من صديقيك الجديدين .. مرتضى المراغي وصلته معلومات»، التوقيع : «صديق» . وكان وزير الداخلية في ذلك الوقت هو مرتضى المراغي. أخذنا نفكر في الأمر ونناقشه، فاتجه تفكيري إلى أن المقصودين بذلك الخطاب هما ضابطان كان يوسف يتحدث إليهما عن الأوضاع المتردية في البلاد، ويسعى لتجنيدهما ضد السراي، وكانا قد اتفقا مع يوسف على مقابلته مساء نفس اليوم بشقة أحدهما،

وقالا له إنه يوجد حفل عيد ميلاد فيمكن أن يلتقوا تحت هذا الستار، وخلال الحفل يمكن أن ينفردوا ببعضهم فى مكان آمن ويتحدثوا كما يشاءون. كان ذلك نحو عام ١٩٤٩، أى قبل انضمام يوسف لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥١ . وكان يوسف فى ذلك الوقت يحاول إثارة ضباط الجيش ضد السراى، ويرسل لهم المنشورات بالبريد . أطلعنا كمال عبد الحليم على الخطاب، فقرر ترك المنزل فورا، وقام بحرق أى أوراق تدل على النشاط الذى كان يتم بالمنزل، كما قام بدفن «الرونيو» فى الأرض الفضاء الكائنة أمام «الفيللا» والتى كانت تستخدم سابقا كأرض تدريب للجنود .

قرر يوسف أن يتأخر عن موعده مع الضابطين بعض الوقت، ساعة مثلا أو ساعتين، ثم توجه إلى العنوان المعطى له فوجد « البواب» جالسًا أمام العمارة، سأله عن الشقة التى بها حفل عيد الميلاد، فرد «البواب» بعدم وجود حفلات بالعمارة، فسأله يوسف عن شقة الضابط «فلان»، فأشار إليها «البواب» وأضاف بأن الضابط خرج منذ فترة قصيرة .

وبعد ذلك بأيام حضر يوسف صديق من العمل ليبلغنى بأننا نقلنا إلى السودان .

وظلت هذه الرسالة التحذيرية تمثل لنا علامة استفهام حتى اليوم، فيوسف كان يعتقد أن الذى أرسل هذا الخطاب هو القائمقام على نجيب شقيق اللواء محمد نجيب، الذى يشغل منصبا مهما بالجيش، وكان شخصية وطنية وتربطه بيوسف صداقة ومودة. هناك من قال إن الذى أرسل هذا الخطاب هو تنظيم الضباط الأحرار بصفة عامة، وهناك من قال إن الذى أرسله هو الصاغ عبدالحكيم عامر نتيجة معلومات وصلته من مكتب قريبه «حيدر باشا» وزير الحربية .

ولكنى أعتقد أن وراء هذه الرسالة تنظيم الضباط الأحرار، خاصة إنه عندما صدر قرار نقل يوسف صديق إلى السودان .. ثار يوسف وغضب وفكر فى عدم تنفيذ أمر النقل، فأرسل له تنظيم الضباط الأحرار نصيحة بتنفيذ أمر النقل، ولكن لا أذكر كيف وصلته هذه النصيحة .

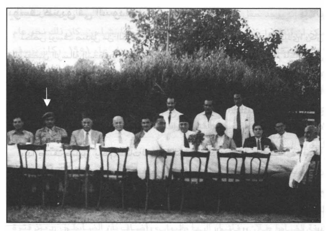
يوسف صديق فى السودان

تخلص يوسف صديق من الكمين الذى أعد له بمعرفة تنظيم الحرس الحديدى، وكان ذلك بفضل الرسالة التحذيرية المجهولة التى وصلته . ولم تمض سوى أيام قليلة، حتى فوجئنا بنقلنا إلى السودان (أركان حرب القوات المصرية بالسودان) عام ١٩٥٠. وهناك فى القطر الشقيق بدأ يوسف صديق نضاله ضد الاستعمار الإنجليزى وأذنابه .. كأنما كان هو ووالده وجده وخاله على موعد دائم مع النضال ضد الاستعمار على امتداد نهر النيل العظيم .

وبدأ يوسف صديق ينظم حلقات لتوعية الضباط الذين يختارهم، يبصِّرهم فيها بالأوضاع وفساد الحكم وضرورة التغيير، كما أجرى اتصالا بالسياسيين السودانيين المشهود لهم بالوطنية والفكر التقدمى والمستنير. وكان من أكثر الضباط قربا ليوسف صديق، اليوزباشى عبدالمجيد فريد، والملازم بكير محمد بكير الذى صار محافظا فيما بعد .

وخلال تلك الفترة اصطدم يوسف صديق بقائد عام القوات المصرية بالسودان، لما كان يشوب تصرفاته من أمور تسىء إلى سمعة وكرامة القوات المسلحة المصرية، مثل قيامه بالانحناء وفتح باب سيارة قائد القوات البريطانية فى السودان فى إحدى المناسبات (مناسبة الاحتفال باعتلاء فاروق العرش). وقد التقطت وسائل الإعلام السودانية عدة صور فوتوغرافية لهذا المشهد المهين، وأرسلوا نسخة من هذه الصور ليوسف صديق، كما كان للقائد العام المصرى تصرفات تسىء للسمعة والذمة .

وقام يوسف صديق بكتابة تقرير لرئاسة الجيش بالقاهرة ضمَّنه تصرفات القائد العام المصرى، والصور التى التقطت له وهو ينحنى ويفتح باب السيارة للقائد العسكرى الإنجليزى، علاوة على بعض المستندات التى تدين سلوكه وتصرفاته. وبعد أيام قليلة علم القائد العام وزوجته بالتقرير الذى أرسله يوسف لرئاسة الجيش، فأعلنت زوجة القائد فى وجود جمع من زوجات الضباط بأنها ستسافر إلى القاهرة لاستصدار قرار بنقل يوسف صديق. وفعلا سافرت إلى القاهرة، وعادت بعد عدة أيام ومعها كشف تنقلات به اسم واحد فقط هو اسم البكباشى يوسف صديق ونقله إلى منقباد بمديرية أسيوط .



البكباشى يوسف صديق أركان حرب القوات المصرية فى السودان (٤٩/١٩٥٠) أثناء حفل عشاء.

ومما يوضح تجرد يوسف صديق ونزاهته، أنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، طلب مجلس قيادة الثورة من يوسف صديق أن يترأس مجلسا عسكريا عاليا لمحاكمة القائد المصرى بالسودان السابق الإشارة إليه، لكن يوسف رفض قائلا للمجلس، «أرفض أن أكون خصما وحكما فى آن واحد» . وقد حضر الرجل بعد ذلك إلى منزلنا بثكنات الجيش بالعباسية، واستقبله يوسف، وقبل أن يتفوه يوسف بكلمة، قال القائد السابق : «أنا حضرت كى أقول لك : إننى عرفت أنك رفضت أن تترأس محاكمتى .. إنك «أرجلهم» جميعا». بعد ذلك بشهور قليلة جدا أصيبت زوجة هذا القائد بمرض أقعدها عن الحركة، ومات زوجها بعد ذلك، يرحمهما الله .

يوسف صديق فى منقباد

عندما عادت زوجة قائد القوات المصرية بالسودان من رحلتها إلى القاهرة ومعها قرار نقل يوسف صديق إلى منقباد، استقللنا نفس الطائرة التى أعادت زوجة القائد

العام إلى السودان، وتركنا أثاث منزلنا وكل متعلقاتنا - التى لم نستطع أن نحملها معنا فى الطائرة - هناك فى السودان الشقيق، حتى اليوم .

وصلنا إلى منقباد، وفى إحدى الإجازات، قابل يوسف رئيس هيئة أركان حرب الجيش الذى وافق على طلب يوسف بألا يكتب عنه قائد القوات المصرية بالسودان التقرير السرى لما بينهما من خلاف، فلا يجوز أن يكون خصما وحكما فى آن واحد .

وهناك فى منقباد فى مايو سنة ١٩٥٠ التقى يوسف صديق بضباط آخرين، أذكر منهم الملازم حسن التميمى، والملازم يسرى الشامى الذى صار محافظا فيما بعد. وكان قائد الفرقة هو الرجل الفاضل اللواء عبد الرحمن مكى الذى قبض عليه يوسف صديق ليلة الثورة قبل دخوله (دخول اللواء مكى) إلى معسكر الهايكستيب لإجهاض الثورة .

فاض الكيل بيوسف، ووجد أنه لابد من تغيير الأوضاع، وفكر فى تحريك قواته من منقباد إلى القاهرة - خلال إحدى المناورات - ومهاجمة رئاسة الجيش واحتلالها. وكان فى تقديره أن تحركه قد يؤدى إلى تحرك وحدات أخرى، وفعلا كلف الضابط المختص بتقديم تقرير له عن حالة المعدات العسكرية: سيارات، حمالات[٣١] مدرعة .. الخ. وكنت أخالف يوسف الرأى، نظرا لبعد المسافة بين منقباد والقاهرة وسوء حالة السيارات فقد كانت السيارة العسكرية التى نستقلها من منقباد إلى مدينة أسيوط تتعطل بنا فى الطريق عدة مرات . على كل حال جاء تقرير الضابط المختص مؤكدا سوء حالة المركبات، مما جعل يوسف يرجئ التنفيذ إلى فرصة أخرى مواتية .

ولم نكد نستريح من عناء السفر إلى منقباد، حتى فوجئنا بعد حوالى شهرين بنقلنا إلى القاهرة .

وصلنا إلى القاهرة، واستأجرنا شقة صغيرة بمنطقة «دوران شبرا» وبدأنا فى تأثيثها. ونقلنا أوراق حسين ابنى من مدرسة ابتدائية بأسيوط - لم يسعفنا الوقت ليلتحق بها - إلى إحدى مدارس شبرا .

---

(٣١) حمالة : اصطلاح عسكرى لسيارة مدرعة تحمل جنودا.

ولم يمض على وجودنا بالقاهرة أكثر من شهرين حتى فوجئنا بنقل يوسف إلى القنطرة شرق. رفض يوسف أن نسافر معه (أنا وطفلاى حسين ونعمت) كما تعودنا دائما، وقرر السفر بمفرده حتى يتمكن حسين من مباشرة دراسته .

سافر يوسف بمفرده هذه المرة إلى القنطرة شرق، وتركنى أنا وطفلاى حسين ونعمت فى شقتنا الصغيرة بحى شبرا .

وفى تلك الفترة كان لكل منا مشوار جديد .

لجنة شبرا النسائية للتحرر الوطنى

كانت تقطن بجوارى بحى شبرا، شقيقتى «خيرية» زوجة المستشار أحمد الأزهرى، وشقيقتى سعاد زوجة ابن عمتى الدكتور سعيد الأزهرى. ولقرب المسافة بيننا كان أولاد شقيقتىَّ يترددون علىَّ كثيرا، خاصة محيى الأزهرى ابن شقيقتى «خيرية» وكان طالبا بكلية الحقوق .

وذات مرة أثناء وجوده عندى سمعت صخبا وضوضاء بالشارع، عرفت منه أن النحاس باشا رئيس الوزراء وزعيم حزب الوفد سيلغى معاهدة عام ١٩٣٦ التى سبق أن أبرمها مع الإنجليز. وكان الناس سعداء بإلغاء تلك المعاهدة، ويستعدون للخروج فى مسيرات شعبية تأييدا للنحاس باشا لهذا الموقف الوطنى الشجاع .

لقد استحوذ الموقف على تفكيرى، خاصة أننى كنت أحب حزب الوفد باعتباره حزب الأغلبية الشعبية .

وانتهى تفكيرى إلى ضرورة المشاركة النسائية فى هذه المناسبة الوطنية، فقررت تنظيم مسيرة نسائية تأييدا للنحاس باشا .

طلبت من محيى الأزهرى إعادة الاتصال بينى وبين الزميلات اللاتى كنت على صلة بهنَّ قبل سفرى إلى السودان، وأذكر منهن «إنعام» التى تزوجت محيى بعد ذلك، وشقيقاتها الأربع، علاوة على شقيقتىَّ «خيرية» و«سعاد»، وبدأنا فى تجميع أكبر عدد ممكن من النساء .

وبعد فترة وجيزة أصبح لى زميلات كثيرات من مختلف طوائف الشعب: موظفات، مدرسات، عاملات، حتى البائعات بالطريق العام. وأذكر من العاملات السيدة «أم إسماعيل» نسبة إلى ابنها الأكبر، وكانت فى حوالى الأربعين من عمرها، قوية البنيان ذات قسمات صارمة وترتدى الملابس الشعبية (الجلباب والملاءة). وكنا نلقبها بـ «الشاويش» لأنها علاوة على مظهرها الصارم، كانت مسئولة عن تأمين المسيرة وعدم السماح لأحد بأن يندس داخلها، كما كانت مسئولة عن تنظيم الصفوف، وكم من مرة أصرّتْ على أن تحمل علم مصر الغالى لترفعه عاليا جدا كأنها تريد أن تلامس به السماء .

كم كانت رائعة هذه «الشاويش» أم إسماعيل، وهى تسير حاملة علم مصر .. هاتفةً «عاشت مصر حرة مستقلة» .

وكان لابد من إعداد لافتة توضح هويتنا. أعددنا اللافتة، وكتبنا عليها «لجنة الشابات المصريات تؤيد إلغاء معاهدة ١٩٣٦». تحركت مسيرتنا، واخترقنا شارع شبرا تتقدمنا مجموعة من سيدات وفتيات الاتحاد النسائى ومعهنّ السيدة «إنجى أفلاطون» التى لفت نظرها ما هو مكتوب على اللافتة، فاقتربت من شقيقتى خيرية وسألتها : من المسئول عن هذه اللجنة ؟ فأشارت لها شقيقتى إلىّ. اتجهت إلىّ إنجى أفلاطون وتبادلنا التحية وتعارفنا، كنت أسمع عنها من قبل، وعرَّفتها أن اللجنة (لجنة الشابات المصريات) حديثة العهد، ولكنها ستمارس دورها فى العمل النسائى السياسى. اصطحبتنى إنجى وعرفتنى بالسيدة «سيزا نبراوى» واتفقنا على لقاء قريب .

انضممت لتنظيم الاتحاد النسائى، ومن خلاله تعرفت على الكثيرات، أذكر منهن السيدتيْن حكمت الغزالى وزينب الغزالى. وبمرور الوقت كثر عدد عضوات لجنة الشابات المصريات، فأصبح الأمر يتطلب أن يكون لنا مقر نجتمع فيه . استأجرت حجرة أعلى العمارة التى كانت تقطن بها شقيقتى «سعاد»، واعتقد أنها كانت فى ١٨٧ شارع الترعة البولاقية. وكان صاحب العمارة يمت لنا بصلة قرابة، مما سهل لنا استئجار الحجرة باسم شقيقتى التى تقطن فى ذات العقار. قمنا بتأثيث الحجرة بالأثاث الزائد على حاجة منازلنا، حددنا يوم الأربعاء من كل أسبوع موعدا لاجتماعنا.

لم ينقطع محيى ابن شقيقتى عن زيارتى والوقوف على آخر أخبار اللجنة ونشاطها، وبعد عدة مناقشات عرض علىَّ الانضمام لتنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو»، فوافقت وأصبح اسمى الحركى «أمينة». وقمت بتغيير اسم اللجنة إلى «لجنة الشابات المصريات للتحرر الوطنى والمقاومة الشعبية»، وكان من ضمن أسباب تغيير الاسم هو ظهور بوادر هجوم للحكومة على الفدائيين الذين يحاربون الإنجليز فى منطقة القنال .

وذات يوم كنت أتناقش مع السيدة «حكمت الغزالى»، وقلت لها: «هل سنظل محصورين فى منطقة شبرا؟»، فردت إحدى الزميلات موضحة أن لديها سيدات من منطقة «طرة» يرغبن فى الانضمام إلى اللجنة .

كانت هذه بداية امتداد نشاط اللجنة إلى الأحياء الأخرى، بل وللمديريات الأخرى مثل : القليوبية، الغربية، والشرقية، وبدأنا فى عمل «كارنيهات» عضوية للعضوات .

وبدأنا فى ضم أعضاء جدد للحركة الديمقراطية «حدتو»، وفعلا تم ضم مجموعة كبيرة من شباب الجامعات من زملاء محيى الأزهرى. ومما أذكره محاولة ضم زميل لمحيى كان يتمتع بفكر تقدمى مستنير، وكان اسمه «نبيل زكى» - رئيس تحرير جريدة الأهالى حاليا - لكنه لم ينضم إلينا .. قد يكون انضم بعد مغادرتى القاهرة إلى العريش، أو انضم لتنظيم آخر، الله أعلم .

وفى تلك الفترة كنا نلجأ لكتابة الشعارات على الجدران «بالبوية»، فكان الزملاء يأخذون «الفرش» و «جرادل البوية»، وكل منهم يتولى الكتابة فى منطقة معينة يكون قد درس مداخلها ومخارجها جيدا بحيث يستطيعون الهروب عند اللزوم، خاصة أن البوليس السياسى كان نشيطا جدا فى تلك الفترة، كما أن الحكومة بدأت حملة هجوم ضد الفدائيين. وكانت معظم الشعارات التى نكتبها تأييدا للفدائيين ومطالبةً بجلاء المحتل الغاصب عن أرضنا .

وذات مرة خرج حمدى يوسف ابن شقيقى من منزلى ومعه الفرشاة و«جردل البوية» متوجها إلى المنطقة التى سيكتب الشعارات على جدرانها . كان يوسف صديق موجودا بالمنزل فى إجازة، وكانت الأحكام العرفية معلنة فى ذلك الوقت، وما هى إلا

لحظات قليلة حتى سمعنا صوت طلق نارى، وفوجئنا بمن يقفز إلى «بلكونة» الشقة (الشقة كانت بالدور الأرضى) وملابسه ملوثة «بالبوية». اندهشنا من السرعة التى عاد بها حمدى يوسف والطريقة التى عاد بها، ولما سألناه عما حدث، قص علينا أنه ما إن خرج من الشقة وسار أمتارا قليلة حتى فوجئ بعسكرى أمامه يسأله عن «الجردل» الذى فى يده، فلم يجد حلا سوى أن يصبّ «البوية» على رأس العسكرى ويفر هاربا بأقصى سرعة عائدا إلى المنزل، تاركا العسكرى يتعامل مع «البوية» التى غطت رأسه .

ضحك يوسف صديق من السرعة والطريقة التى عاد بها حمدى يوسف، وعلق على ذلك قائلا: «إن حمدى عاد أسرع من صوت الطلقة» .

كان يوسف صديق على علم تام بما نفعل ولم يعترض أبدا، بل كان يقول إنه يجب على كل أسرة أن تفعل مثل ذلك .



الفصل الثالث

يوسف صديق فى تنظيم الضباط الأحرار

فقد الثقة بالشيوعيين

فى تلك الفترة كان يوسف صديق قد بدأ يفقد الثقة فى إمكانية قيام الشيوعيين بدور عملى يساعد على تخليص البلاد مما هى فيه من بلاء[٣٢]، وذلك بسبب انقسامهم على أنفسهم إلى العديد من المنظمات الصغيرة التى استهلكت جهدها ووقتها فى مهاجمة بعضها البعض. وكان رأيه أنه لا أمل إلا فى الجيش، فهو الذى يملك القوة التى تمكنه من تغيير الأوضاع. ودعا الشعب إلى ترك الكلام وحمل السلاح كما جاء فى إحدى قصائده[٣٣]، برغم أنه كان على اقتناع كامل بدور الحركة الشيوعية فى النضال الوطنى من أجل تحقيق التقدم والاشتراكية .

كان يوسف صديق - فى القنطرة شرق - يشغل منصب قائد ثان الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة، وفى أحد الأيام زاره الصاغ وحيد جودة رمضان - فى الكتيبة - وعرض عليه الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار، وأطلع يوسف على بعض منشوراتهم .. كان ذلك فى حوالى شهر أكتوبر عام ١٩٥١. اطّلع يوسف على منشورات الضباط الأحرار، فوجدها تتضمن خطا وطنيا يعبر عما يجيش فى صدره، فوافق على الانضمام. وفى الإجازة التالية ليوسف، قابل جمال عبدالناصر بكلية أركان الحرب،

(٣٢) راجع كتاب أوراق «يوسف صديق» السابق الإشارة إليه، ص ٨٤.

(٣٣) راجع ديوان شعر «ضعوا الأقلام» ليوسف صديق، ص ٨١ .

حيث كان جمال مدرسا بها. علم يوسف فى ذلك اللقاء أن أقدم رتبة فى التنظيم هو اللواء محمد نجيب، وأن احترام الرتبة العسكرية سيكون موضع اعتبار بعد نجاح الثورة .

أسند التنظيم مسئولية الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة ليوسف صديق، وأطلعوه على أسماء الضباط الأحرار بالكتيبة ومنهم اليوزباشى عبد المجيد شديد .

يوسف صديق فى العريش

ذات يوم عقب انتهاء إحدى اجتماعات اللجنة النسائية للتحرر الوطنى عدت إلى منزلى فوجدت يوسف صديق قد عاد من القنطرة شرق فى إجازة. كان جالسا يتصفح «كشكول» خاصا بى، وكان الكشكول من النوع المقسمة صفحاته إلى مربعات، وكنت أظلل المربعات على حسب عدد أعضاء المناطق .. فمثلا شبرا بها عشرون عضوة، فأظلل عشرين مربعا، ومنطقة «طرة» بها خمس عضوات ، فأظلل خمسة مربعات .. وذلك دون ذكر أسماء، وكان هذا يبين عدد أعضاء المناطق على طريقة الرسم البيانى .

أخبرنى يوسف بأن الكتيبة نقلت إلى العريش، وطلب منى أن أسحب أوراق حسين من المدرسة وأن أصفى أعمال اللجنة النسائية، وأن أُعِدّ حقائب السفر لنسافر إلى العريش خلال أيام قليلة . فقلت له إننى سمعت أن الجيش يعيد عائلات الضباط من مناطق سيناء، فقال لى إن هذا كلام غير مؤكد، وإنه اتفق مع عبدالحكيم عامر على أن يسهل له أمر اصطحاب عائلته معه، وإنه شرح لعبد الحكيم صلتى بـ «حدتو» وموضوع اللجنة النسائية للتحرر الوطنى وأننى معرضة لخطر القبض علىَّ من البوليس السياسى .

وقمت بإبلاغ «حدتو» بذلك، فطلبوا منى سحب الكارنيهات التى كنت وزعتها على العضوات، وفعلا سحبت ما أسعفنى الوقت بسحبه وسلمت الكارنيهات لحيى الأزهرى، وتركته هو يسحب باقى الكارنيهات . واتفقت مع شقيقتى سعاد على إخلاء الحجرة المستأجرة وتمزيق عقد الإيجار .

وتوجهت إلى مدرسة ابنى حسين «الابتدائية» لسحب أوراقه، فقام ناظر المدرسة بتأنيبى على كثرة ما يتعرض له حسين من تنقلات تجعله غير مستقر دراسيا، وطلب منى أن أترك حسين يعيش معه بين أبنائه إلى أن نعود من تنقلاتنا وتصبح لنا حياة مستقرة. فشكرت الناظر الإنسان، واصطحبت حسين وأوراقه وعدت إلى المنزل وكانت تصحبنى شقيقتى «خيرية»، فوجدت يوسف صديق مرتديا ملابسه وأخذنا حقائبنا وتوجهنا إلى محطة القطار .

تحرك القطار متجها بنا إلى بقعة أخرى من أرض الله .. إلى العريش، لنبدأ مرحلة جديدة من حياتنا القلقة .

يوسف صديق قائد تنظيم الضباط الأحرار بمنطقة العريش

نقلت الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة إلى العريش بقيادة يوسف صديق، وسافرت معه أنا وطفلاى حسين ونعمت .

كانت العريش مقر قيادة القوات المسلحة الموجودة شرق القنال، لذلك أسند تنظيم الضباط الأحرار ليوسف صديق قيادة التنظيم بمنطقة العريش(٣٤) .

وكانت اجتماعات الضباط الأحرار تعقد بمنزلنا بالعريش بصفة دورية(٣٥)، وأذكر من هؤلاء الضباط : عبدالمجيد شديد، محمد محمود السقا، جابر عبدالله، صلاح نصر، عبدالحكيم عامر، جمال سالم، عبد المنعم عبد الرءوف .

---

(٣٤) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق» السابق الإشارة إليه، ص ٨٩ ، حيث يقول يوسف صديق : «وكانت منطقة العريش تضم علاوة على كتيبتى لواء مشاة، وحدات إدارية، ومطار العريش. وكانت كتائب اللواء مشاة هى الكتيبة ١٢ مشاة، وكان يمثلها من الضباط الأحرار الصاغان «صلاح نصر» و «صلاح سعده». وكانت الكتيبة ١٤ مشاة يمثلها ضابط عرف بوطنيته وصلاحه وشجاعته، وهو «عبد المنعم عبد الرءوف»، وكان معروفا عنه أنه ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين . وكان يمثل مطار العريش «جمال سالم» .... كما أتاحت لى قيادتى لمنطقة العريش التعرف على ضباط أحرار آخرين فى «رفح» و«غزة»، وكان أهمهم «عبدالحكيم عامر» و«صلاح سالم» و«أنور السادات» .

(٣٥) راجع مذكرات صلاح نصر، الجزء الأول ص ١٢١، حيث يقول: «تم الاتفاق على أن يكون منزل البكباشى يوسف صديق فى العريش مركزا لاجتماع خليتنا ... وتجمعت خلية التنظيم فى بيت البكباشى يوسف صديق فى العريش ، وقد ضمت كلا من الصاغين عبد الحكيم عامر وصلاح سالم ، والبكباشى طيار جمال سالم ، والبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف ، والبكباشى طيار بهجت مصطفى. وأنا كنت برتبة صاغ حينئذ ، وبعد قليل نقل الضابط الحر صلاح سعده من القنطرة إلى كتيبتنا بالعريش فانضم إلى هذه الخلية».

ومن الوقائع الطريفة[٣٦] أن عبد المنعم عبد الرءوف كان بمجرد وصوله إلى الاجتماع يطلب سجادة الصلاة، ويظل مستغرقا في الصلاة إلى أن ينتهي الاجتماع تقريبا. ونتيجة لتكرار تصرفه هذا، كان بمجرد وصوله للاجتماع الأسبوعي، تجري ابنتي نعمت التي - كان عمرها أربع سنوات - وتحضر له سجادة الصلاة، مما كان يثير ابتسامات الحضور.

كان سلوك عبد المنعم عبد الرءوف هذا دافعا لأن يسأله يوسف عن سبب انصرافه عن الاجتماعات، فصارحه عبد المنعم عبد الرءوف بأنه يستشعر أن «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» و «صلاح سالم» يعملون لصالحهم الخاص ولا يعملون لصالح الوطن. فرد عليه يوسف بأنه بالرغم من مشاركته له نفس الإحساس إلا أن العمل الذي يمهد له «جمال عبدالناصر» - وهو الخلاص من الملك والملكية الفاسدة - هو عمل لصالح الوطن، وأن ذلك يحتم عليهم الاستمرار في العمل التنظيمي والإخلاص له، خاصة أنه من المتفق عليه أن يعود الجيش إلى الثكنات بعد قيامه بالحركة، كما أن وجود «جمال» بالقاهرة يجعله أقدر على إدارة دفة الأمور من الضباط الموزعين في الصحراء[٣٧].

وأبدى عبدالمنعم عبدالرءوف اقتناعا بوجهة نظر يوسف صديق، غير أنه استمر على حاله في قضاء أوقات الاجتماعات في الصلاة، كما استمرت ابنتي نعمت على عادتها.. كلما رأته تسرع بإحضار سجادة الصلاة.

مشاركتي للضباط الأحرار بالعريش

ذات يوم حضر الضباط للاجتماع الأسبوعي بمنزلنا كالمعتاد، وكان معهم المنشورات، فأخذت أحد هذه المنشورات وقرأته ولم أعلق عليه، وبعد انصرافهم قلت ليوسف إن الأمان يقتضي ألا يغادر الضباط المنزل ومعهم المنشورات، إذ يجب أن يقرأوا المنشورات بمنزلنا ثم يتركوها وينصرفوا. وفعلا وضعنا نظاما يقضي بأن الضابط الذي يتسلم المنشورات الواردة من التنظيم يحضرها لنا مباشرة بالمنزل

(٣٦) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ٨٩.

(٣٧) راجع المرجع السابق، ص ٩٠.

وينصرف، وفى الاجتماع الأسبوعى يطّلع الضباط على المنشورات ويقرأونها ويناقشون ما بها ثم ينصرفون بعد انتهاء الاجتماع، وبعد ذلك أتسلم أنا المنشورات، وأقوم بالتصرف فى هذه المنشورات حسب الظروف .. فأوزع ما يمكن توزيعه، وما يتبقى أقوم بحرقه .. مع ملاحظة أن العريش بلد صغير لا يحتمل مجازفات وإلا انكشف أمر التنظيم .

واستمر الأمر على هذا المنوال، وأعتقد أن هذا النظام أشعر الضباط بالاطمئنان، كما اعتاد الضباط مشاركتى لهم ومعاونتى إياهم .

ووصلت أنباء تفيد بأن القائمقام «رشاد مهنّا» نقل إلى العريش، كما وردت توجيهات قيادة التنظيم بالقاهرة ليوسف صديق بعدم إطلاع رشاد مهنا على أى شىء يتعلق بالعمل التنظيمى، وكذلك عدم مهاجمته أو معاداته[٣٨] .

لقد كانت مفاجأة ليوسف صديق أن يعلم أن رشاد مهنا ليس عضوا بالتنظيم، فهو ضابط وطنى مخلص وشجاع وتربطه بيوسف صداقة قديمة ومودة واحترام متبادل، مما يفرض على يوسف ألا يهاجمه أو يعاديه بصرف النظر عن تعليمات التنظيم .

وذات يوم فى أحد الاجتماعات الدورية الأسبوعية تطرق الحديث إلى أجهزة المخابرات المختلفة: المخابرات التابعة للجيش .. المخابرات التابعة للسراى .. المخابرات التابعة لوزارة الداخلية (البوليس السياسى) .. وهكذا، فقلت لهم لماذا أنتم كتنظيم ليس لكم مخابرات، فقالوا: وكيف يتم ذلك؟ قلت: اختاروا أعضاء منكم تؤهلهم صفاتهم الشخصية لهذا العمل. فقالوا: كيف سيتم التعرف عليهم ؟ قلت: العناصر الجيدة تصرفاتهم تكشف عنهم. وفعلا لم ينقض وقت طويل حتى فوجئت ذات يوم جمعة صباحا باليوزباشى محمد السقا يطرق الباب، وعرّفنى بأنه قادم على الفور من القاهرة. لاحظت علامات الاهتمام مرسومة على وجهه فسألته عما يشغله، فروى لى أنه ركب القطار من القاهرة عائدا إلى العريش، وقد تخير أحد صالونات القطار، وألقى بجسمه مسترخيا على أريكة الصالون وكان معه جريدة يقرأ فيها، وبعد لحظات فوجئ بدخول ضابطين: القائمقام رشاد مهنا والصاغ مصطفى كمال صدقى ، فقال رشاد مهنا

(٣٨) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق» السابق الإشارة إليه، ص٩٠ .

لزميله: من هذا الضابط النائم؟ فرد مصطفى كمال صدقى بأنه اليوزباشى محمد السقا، وتظاهر محمد السقا بأنه مستغرق فى النوم . وبدأ الضابطان (رشاد مهنا - ومصطفى كمال صدقى) يتحدثان سويا، حديثا أيقن معه محمد السقا أنهما ليسا ضمن تنظيم الضباط الأحرار. انتظر محمد السقا حتى توقف القطار، ونزل منه رشاد مهنا ومصطفى كمال صدقى، ثم أخذ حاجياته ونزل بعدهما، وحضر إلى منزلنا على الفور ليبلغ يوسف صديق بما سمعه .

وما إن أنهى محمد السقا روايته حتى قلت ليوسف : ضابط مخابرات التنظيم الذى تبحثون عنه .. أمامك ... اليوزباشى محمد السقا. وضحكنا، وأعتقد أنه بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ عمل السقا بجهاز المخابرات .

بعد ذلك بأيام قليلة، وفى موعد الاجتماع الأسبوعى وقبل حضور الضباط بدقائق، فوجئت بحضور رشاد مهنا ومعه مصطفى كمال صدقى لزيارة يوسف، مما أصابنا باضطراب شديد[٣٩]. استقبلهما يوسف واصطحبهما إلى مكان فى حديقة المنزل الخلفية بعيدا عن مدخل البيت. راحوا يتحدثون، وما هى إلا دقائق حتى بدأ الضباط يتوافدون، وبدأت بدورى أطلب منهم الصمت وقمت بتوزيعهم على حجرات المنزل بعد أن أخبرتهم بالأمر. وانصرف رشاد مهنا وتنفس يوسف الصعداء، وفرح بأن الضباط تأخروا فى حضور الاجتماع ولكنه فوجئ بهم مختبئين فى حجرات المنزل .

كانت الاجتماعات تعقد كل يوم اثنين. وفى أحد هذه الاجتماعات بعد وصول الضباط ودخولهم إلى «الفيللا»، خرجت أنظر خارج «الفيللا» كنوع من الاطمئنان وتأمين الاجتماع[٤٠]، فلاحظت سيارات الجيش الخاصة بالضباط المجتمعين واقفة بسائقيها أمام المنزل بصورة تلفت النظر وتثير الشك وتشير إلى أن هذا المنزل به أمر ما تسبب فى هذا الجمع من الضباط . دخلت إلى المنزل وقلت ليوسف ملاحظتى، كما اقترحت عليه أن تنتظر هذه السيارات أمام محطة السكة الحديد وهى قريبة من المنزل، فمن يرى هذه السيارات سيعتقد أنها تنتظر القطار القادم من القاهرة أو من غزة .

(٣٩) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق» السابق الإشارة إليه، ص ٩١ ، ٩٢.
(٤٠) راجع المرجع السابق، ص ٩٢.

وفعلا قام يوسف صديق بالاتفاق مع الضباط على هذا الأمر، وبدأت السيارات تقف بعد ذلك أمام محطة السكة الحديد[٤١] .

لقد أشركنى يوسف صديق فى العمل السِّرى للتنظيم، سواء بالنسبة للاجتماعات، أو حمل منشورات التنظيم أو توزيعها أو مناقشة ما بها، وأعتقد أننى كنت نعم العون له وللتنظيم[٤٢] .

ولتأمين اجتماعات الضباط الأحرار بمنزلنا وإيجاد غطاء أمنى لها، اتبعنا نفس الأسلوب الذى كنا نتبعه بالنسبة لاجتماعات الضباط بمنقباد، وهو لعب «الكانستا» .. وهى إحدى ألعاب الكوتشينة وتلعب مجموعات ومسلية جدا، وهى ليســت من ألعاب الميسر .. فكان لعب «الكانستا» غطاءً جيدا .

وأذكر أنه عندما كنا نقطن بثكنات الجيش بالعباسية أثناء حرب فلسطين، وكان الشاعر كمال عبدالحليم مختبئا من البوليس السياسى بمنزلنا، كنا نقوم بطبع المنشورات «بالبالوظة»، وقد لفت نظرى وقتها لون البالوظة وشكلها . وعندما نقلنا إلى العريش وشاهدت «القناديل» التى تملأ البحر المتوسط، ولونها وشكلها

---

(٤١) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ٩٢ .
راجع مذكرات صلاح نصر، الجزء الأول «الصعود»، ص ١٢٤، حيث يقول : «وكنا نجتمع بحرص حتى لا يشتم نشاطنا ، كما كانت تعقد الخلية الرئيسية اجتماعات أسبوعية فى منزل يوسف صديق المجاور لمحطة سكة حديد العريش . وكاد البكباشى كامل نور الدين (قائد ثان الكتيبة ١٣) أن يكشف اجتماعاتنا فى بيت يوسف صديق .. إذ كان معتادا أن يتوجه إلى محطة سكة حديد العريش كل مساء لينتظر القطار القادم من القاهرة، ويتسلم من مندوب البريد القادم فى القطار خطابا أو بعض الحوائج التى تصله من بيته فى القاهرة: وفى إحدى الأمسيات لمح البكباشى كامل نور الدين عربتى الجيب العسكرية تقف بجوار منزل يوسف صديق .. وسأل السائق عنى ، فعرف أننى داخل منزل يوسف صديق. وفى صباح اليوم التالى وبعد طابور الصباح ، بادرنى كامل نور الدين بقوله : أنت بتروح تعمل أيه ياحضرة الصاغ عند يوسف صديق .. إنتوا بتحششوا !؟ ولم أسمح له بتكملة حديثه فقلت له : احترم نفسك ياحضرة البكباشى ... وتركته» .

(٤٢) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ٩٢ ، حيث يقول : «وكانت زوجتى هذه تعلم بما نقوم به، وقد أشركتها أحيانا فى العمل فكانت تحضر معها «المنشورات» وتقوم فى قطار غير الذى أقوم فيه. وكان بعض الناس يعيب علىّ مثل هذا السلوك، ويعتبر أن إطلاع الزوجة على العمل يعرِّض سريته للخطر. وكنت أخالفهم فى ذلك ـ أو فى أن يكون ذلك قاعدة مطلقة ـ فإنه يتوقف على درجة ثقافة الزوجة وعلاقتها بزوجها. وقد حدث ذات مرة على سبيل المثال أن كان عندى اجتماع فى المنزل ، وكان كل ضابط يحضر إلى الاجتماع فى عربة ، فلاحظت هى أن عدد العربات أمام المنزل يكاد يعلن عن وجود الاجتماع ، فأخطرتنى ووجدت رأيها سليما ، وأمرت السائقين بالانتشار حول المنزل ولفتّ نظر الضباط إلى ملاحظة ذلك مستقبلا .. فكانت ملاحظة مفيدة . هكذا كنت أشعر بأن الرجل حين يشرك زوجته فى بعض أعماله فإن ذلك يكون تأمينا له ، لا خطر عليه ـ وهذا رأيى على كل حال، وقد يختلف فيه غيرى حتى اليوم» .

الهلامى، تذكرت «البالوظة»، وجال فى خاطرى أنه يمكن أن نصنع «البالوظة» من هذه «القناديل» ونستخدمها فى طبع المنشورات . وكلفت أولادنا بصيد «القناديل» من البحر عن طريق شبكة مثل شبكة كرة السلة، متصلة بعصا طويلة. جمعنا بعض القناديل وعدنا إلى المنزل، فوجدت يوسف صديق ومعه اليوزباشى عبد المجيد شديد واليوزباشى محمد السقا، فقلت لهم ما جال بخاطرى، فرد محمد السقا بأن البالوظة تصنع فعلا من حيوان القنديل أو ما يشبه ذلك، والأمر لا يحتاج إلى تجربة. ونظر محمد السقا إلى اليوزباشى عبد المجيد شديد نظرة فهمت منها أنهما أدركا صلتى بمنظمات سرية كانت تستخدم البالوظة فى طبع المنشورات، لكنهما استقرا على أنه لا داعى للبالوظة، فهناك مواد أحدث كثيرا تستخدم فى طبع المنشورات .

إعدام التقرير

مما يوضح شخصية يوسف صديق القوية والشجاعة الثائرة، أنه عندما نقل من السودان إلى منقباد بسبب خلافه مع اللواء قائد القوات المصرية بالسودان، (السابق الإشارة إليه) كان يوسف قد حصل على وعد من رئيس هيئة أركان الجيش بأن القائد العام بالسودان لن يكتب له (أى ليوسف) التقرير السرى، لأنه لا يجوز أن يكون خصما وحكما فى أن واحد . ومرت شهور على تلك الواقعة ونقلنا بعد ذلك إلى العريش، وكان يوسف قائد ثان الكتيبة، وأثناء ذلك قام قائد الكتيبة بإجازة، فأصبح يوسف هو قائد الكتيبة .

وذات يوم كان يوسف بالمنزل لوعكة صحية ألَّت به، فحضر أركان حرب الكتيبة اليوزباشى محمد السقا إلى المنزل ليعرض «البوستة» على يوسف، وأخذ فى عرض البوستة حتى توقف عند إفادة معينة وقال ليوسف : التقرير السرى الخاص بسيادتك وصل، أخذه يوسف وقرأه فلاحظ أن الذى حرر التقرير السرى هو القائد العام للقوات المصرية بالسودان .. على خلاف الوعد الذى أعطى له من رئيس الأركان، نظر يوسف إلى محمد السقا، وقال له .. اكتب :

«لقد وصلنى اليوم التقرير السرى الذى حرره لى اللواء (.....) قائد عام القوات المصرية بالسودان، على خلاف ما تم الاتفاق عليه مع سيادتكم بأنه لن يكتب لى التقرير السرى لما بيننا من خلاف . ولكن وصلنى اليوم التقرير السرى بتوقيع اللواء (........) قائد القوات المصرية بالسودان، لذلك قمت بإعدامه» .

التفت إليه اليوزباشى محمد السقا مندهشا ومستفسرا: بإعدامه ؟ إعدام من ؟

ردّ عليه يوسف قائلا: إعدام التقرير السرى .

تساءل محمد السقا قائلا: كيف ؟

رد عليه يوسف قائلا: إعدام التقرير يكون هكذا، وأخذ يمزق التقرير إلى قطع صغيرة، واليوزباشى السقا فاغر فاه فى دهشة، إذ كانت هذه هى المرة الأولى فى التاريخ العسكرى التى يمزق فيها ضابط تقريره السرى !

نقل الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة إلى القاهرة

صدر قرار بنقل الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة، التى كان يوسف صديق قائدا ثانيا لها إلى القاهرة. وكان قرار النقل يقضى بأن تنتقل مقدمة الكتيبة ومعها قائد ثان الكتيبة أولا، لتقوم بإعداد أماكن الإقامة والإعاشة للكتيبة التى تنتقل بعد ذلك بأيام. ولاشك فى أن هذا كان سيعطى الفرصة للكتيبة كى تشارك فى الثورة التى كان قد تحدد موعدها فى أكتوبر أو نوفمبر عام ١٩٥٢.

تحدد يوم ١٣يوليو عام ١٩٥٢ موعدا لتحرك مقدمة الكتيبة إلى معسكر الهايكستيب فى أطراف ضاحية مصر الجديدة .

ونُقلت جميع معدات وأدوات مقدمة الكتيبة إلى محطة السكة الحديد منذ مساء اليوم السابق على السفر، وذلك بهدف كسب الوقت .

وفى صباح يوم ١٣ يوليو وصل القطار الذى سينقل القوات، وبه «بوستة» الكتيبة، وفعلا وصلت «البوستة» وتسلمها مندوب الكتيبة وسلمها لليوزباشى محمد السقا أركان حرب الكتيبة، الذى ما إن تصفح «البوستة» الواردة حتى فوجئ بوجود أمر

بإرجاء تنفيذ نقل مقدمة الكتيبة إلى القاهرة، وكان هذا يعنى حرمان قوات الثورة من الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة ذات قوة النيران الهائلة والتى تمثل قوة أساسية ضاربة للضباط الأحرار. قام اليوزباشى السقا بوضع « البوستة» فى درج مكتبه وأغلق عليها بالمفتاح، وانطلق مسرعا إلى محطة السكة الحديد، وانتحى جانبا بيوسف صديق وهمس إليه بخبر إرجاء النقل. وطلب منه يوسف ألا يقدم «البوستة» لقائد الكتيبة إلا بعد تحرك القطار بالقوات .

وهكذا دارت عجلات القطار حاملا مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة: يستقل يوسف صديق وضباطه العربة الأولى فى القطار، وأستقل أنا والأولاد العربة الثالثة ومعى فى حقيبتى منشورات تنظيم الضباط الأحرار .

الفصل الرابع

الثـــــــورة

الموقف السياسى والعسكرى قبيل قيام الثورة

احترقت القاهرة فى يناير عام ١٩٥١، وأعلنت الأحكام العرفية، وأقيلت حكومة الوفد.

وكان لحريق القاهرة أثر شديد على مشاعر الضباط الأحرار، فوجد البعض منهم أن الفرصة مواتية للتحرك الفورى لإسقاط نظام فاروق .

وبدأت منشورات الضباط الأحرار تتوالى معلنة عن برنامجهم والأهداف الستة للثورة: القضاء على الاستعمار وأعوانه ـ القضاء على الإقطاع ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ـ إقامة عدالة اجتماعية ـ إقامة جيش وطنى قوى ـ إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وكان الضباط الأحرار يعتمدون على منشوراتهم التى تبادل مسئولية طبعها وتوزيعها عدد من الضباط ـ منهم خالد محيى الدين ـ إلى أن استقرت أخيرا بعد حريق القاهرة لتكون من مسئولية الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو»، ولعل هذا هو السبب فى الاتجاهات التقدمية التى كانت تطرحها منشورات الضباط الأحرار والتى جذبت يوسف صديق للانضمام للتنظيم .

وكان نجيب الهلالى ينفرد بالحكم بعد أن عطل الدستور، ومنع الصحف من النشر عن الانتخابات، وصادر صحف «الملايين» و«الكاتب» و«اللواء الجديد»، واعتقل قادة التنظيمات السياسية، وحاصر البرلمان بقوات البوليس بعد قرار حل مجلس النواب .. حتى لا يدخله النواب عنوة .

كانت النقمة على الملك قد بلغت ذروتها، وأصبح التركيز على نقده قاسما مشتركا فى أحاديث الجماهير فى الشارع والضباط فى اجتماعاتهم، وتسلط الضوء على محمد نجيب باعتباره أكثر الضباط شهرة وشعبية منذ حرب فلسطين .

وخضع تحديد موعد قيام حركة الجيش لعوامل متعددة، فاتجهت النية بادئ الأمر إلى قيامها عام ١٩٥٥[٤٣]. ولكن بعد حريق القاهرة واشتعال الشعور الوطنى اتفق على أن يكون التحرك فى نوفمبر عام ١٩٥٢، حيث يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان فى هذا الشهر، فإذا حدثت مخالفة دستورية أو تزييف للانتخابات، فإن هذا يكون مبررا كافيا لحركة الجيش .

وفى ١٧يوليو عام ١٩٥٢ أصدر الملك قراره بحل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، مما أدى إلى حتمية الصدام بينه وبين الضباط الأحرار، فقرر الضباط أن يكون التحرك يوم ٥ أغسطس عام ١٩٥٢ وذلك لسببين: استكمال وصول الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة من العريش (كتيبة يوسف صديق) لتدعيم قوات الضباط الأحرار، وحتى يكون الضباط قد تسلموا رواتبهم التى ينفقون منها على أولادهم .

وترددت أنباء عن اعتقال عدد من الضباط الأحرار، وتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية. كان حسين سرى يعرف كثيرا من الضباط الأحرار، ويُكِنّ لهم عداء شديدا. وفى يوم ١٩ يوليو عام ١٩٥٢ تقرر أن يبدأ تحرك قوات الضباط الأحرار ليلة ٢٢/٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

كنا قد وصلنا - أنا ويوسف وباقى الأسرة - إلى القاهرة يوم ١٣ يوليو ١٩٥٢ مع مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة على نفس القطار ولكن فى عربة غير التى

---

(٤٣) راجع حديث الرئيس جمال عبد الناصر مع الصحفى الإنجليزى «د.مورجان» مراسل الصنداى تايمز البريطانية، فى شهر يونيو عام ١٩٦٢.

يجلس فيها يوسف وضباطه، فقد كنت أحمل معى فى حقيبتى منشورات تنظيم الضباط الأحرار لاستخدامها فى القاهرة .

توجهت سهير صديق، ومحمد صديق (ابنة وابن يوسف صديق من زوجته الأولى السيدة توحيدة صبرى) إلى منزلهما بحلمية الزيتون حيث تقطن والدتهما. وتوجهت أنا وطفلاى حسين ونعمت إلى شقتنا بحى شبرا، وتركنا يوسف يقود مقدمة الكتيبة إلى المكان المخصص لها بمنطقة الهايكستيب. وعندما عاد يوسف إلى المنزل بعد ذلك عرفت منه أن موعد قيام الثورة قد اقترب جدا .

وقبل قيام الثورة بعدة أيام عاد يوسف صديق من العمل بعد الظهر ومعه فى السيارة العسكرية الجيب الخاصة به عدد من قطع السلاح الكبيرة مثل «البرنَّات» التى تتميز بسرعة الطلقات وكثرتها .. وعدد من صناديق الذخيرة. أدخلنا السلاح والذخيرة إلى إحدى حجرات المنزل، وقمت بإغلاق تلك الحجرة. ولما استفسرت منه عن سبب مجيئه بذلك السلاح، عرفت منه أن هذا استعداد للثورة، وأنه لو - لا قدر الله - فشلت الثورة فإنهم لن يستسلموا بل سيحاربون من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت .

وقبل قيام الثورة بأيام قليلة جدا أخبرنى يوسف بأنه تحدد لقيام الثورة ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

كان يوسف صديق شديد الثقة بنجاح الثورة، على أساس أن النظام الملكى قد فقد مقومات استمراره، كما أن مقاليد القوة فى يد الجيش، والجيش بضباطه الأحرار هم الذين سيقومون بالثورة، علاوة على ما تتمتع به الكتيبتان (الأولى مدافع ماكينة، و١٣ مشاة) من قوة نيران ساحقة، بالإضافة إلى ثقة يوسف فى مساندة الشعب بكل طوائفه للثورة على الأوضاع الفاسدة .

يوسف صديق على فراش المرض

فى تلك الأيام الحاسمة من تاريخ مصر الحديث، وفى النصف الثانى من شهر يوليو عام ١٩٥٢ عاود يوسف نزيف الرئة اليسرى الذى سبق أن تعرض له خلال فترة خدمته بالسودان فى صيف عام ١٩٥٠، الأمر الذى أدى حينذاك إلى نقله بالطائرة من

السودان إلى القاهرة للعلاج بالمستشفى العسكرى بحلمية الزيتون. كان العلاج يقتضى إلى جانب الأدوية والحقن راحة تامة بالفراش لمدة ثلاثة أسابيع. وكان قد عاوده النزيف مرة ثانية فى نفس الرئة فى صيف عام ١٩٥١، ومر بنفس رحلة العلاج .. مما ألزمه الفراش كما اعتاد من قبل، فى حين كان موعد قيام الثورة قد تحدد بليلة ٢٣/٢٢ يوليو بصفة نهائية .

زار جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، يوسف صديق فى منزله بحلمية الزيتون حوالى يوم ٢٠ يوليو عام ١٩٥٢، ليجدا يوسف على هذه الحالة المرضية الحادة، أو على حد قول يوسف صديق: «ليجداه غارقا فى نزيفه». ولم يكن أمام عبد الناصر إلا أن يعفى يوسف صديق من العمل فى ليلة الثورة، خاصة أن باقى كتيبة المدافع ماكينة لم يكن قد وصل من العريش بعد، وبالتالى فلن تتمكن من المشاركة فى الثورة، فضلا عن أنه يمكن تكليف اليوزباشى عبد المجيد شديد مساعد يوسف صديق برئاسة مقدمة الكتيبة، حيث إنها قليلة العدد والعدة، وواجبها فى خطة الثورة بسيط، وهو تدعيم قوات الضباط الأحرار التى ستقوم باقتحام مقر قيادة الجيش .

رفض يوسف صديق بالرغم من حالته المرضية الحادة أن يفوته الاشتراك فى ذلك اليوم التاريخى الذى طالما انتظره، وأقنع «جمال» بأنه سيؤدى دوره فى الثورة، وإذا ساءت حالته فإن المستشفى العسكرى بكوبرى القبة على بعد خطوات فقط من القيادة العامة .

إعداد الشباب لاستقبال الثورة

منذ وصولى من العريش إلى شقتى بحى شبرا، بدأت الزميلات القدامى فى لجنة شبرا النسائية للمقاومة الشعبية يتوافدن على بيتى، وبدأت أقف منهنَّ على آخر أخبار نشاطهنَّ والتحرك الجماهيرى الثورى منذ تركتهن وسافرت إلى العريش .

وما إن علمت من يوسف صديق بموعد قيام الحركة فى ٢٣ يوليو، حتى بدأت أكثف من نشاطى، وأخذت فى تجميع أكبر عدد من الشبان والشابات. وكنت أعرف بعضهم من قبل، أذكر منهم: عرفة، حمدى يوسف، يوسف الأزهرى، محيى الأزهرى، ونبيل زكى، وكثيرا من الشابات والسيدات .

وفى ليلة ٢٣ يوليو، أرسلت طفلىَّ حسين ونعمت إلى بيت شقيقتى «خيرية» التى تسكن بالقرب منى، وأخبرت مجموعة الشباب بأنه من المتوقع أن يحدث شىء مهم فى تلك الليلة، لذلك يجب أن نظل متيقظين حتى نحدد رد فعلنا إزاء ما سيحدث. وفعلا اصطحبتهم ودخلنا سينما «الأمير» القريبة بشارع خلوصى، بهدف قتل الوقت والتخلص من قلق الانتظار. كانت السينما تعرض ثلاثة أفلام، وانتهى العرض حوالى الواحدة صباحا. خرجنا إلى الشارع، كان كل شئ عاديا جدا لا يدل على أن أحداثا جساما قد وقعت. اتفقت مع الزملاء على أن يتوجهوا إلى منازلهم فى نفس المنطقة، وعند اللزوم سوف أرسل إليهم محيى الأزهرى لإبلاغهم بالمطلوب.

وصلت إلى شقتى ومعى محيى الأزهرى، وبعد قليل حضر شقيقه يوسف الأزهرى. جلسنا، وأخذنا من حين لآخر نفتح «الراديو» لعلنا نسمع أخبارا مطمئنة، ولكن دون جدوى. بدأ القلق والتوتر يتسربان إلى نفسى خاصة بعد أن سمعت «الراديو» يقول : طه السباعى باشا وزير التموين، فتمتمت غيظا:«هوَّ انتوا لسَّه قاعدين؟». وسكت «الراديو» ولم ينطق بكلمة واحدة بعد ذلك. وكانت الساعة قد بلغت السادسة صباحا ـ على ما أعتقد عندما اصطحبت ابنىّ شقيقتى وتوجهنا إلى منزلهما. خشيت أن يكون «الراديو» قد أصابه عطل ما، لذلك عندما وصلنا إلى شقة شقيقتى ووجدت فى مواجهتى زوج شقيقتى المستشار أحمد الأزهرى طلبت منه فى قلق أن يفتح «الراديو»، ولكنه أخبرنى بأنه معطل منذ عدة أيام.

كان لابد أن أعرف الأخبار، ازداد قلقى وتوترى وأنا أفكر فى حل ما. لاحظت أن شقيقتى منهمكة فى إعداد أشياء وفى ترتيب المنزل، ولما سألتها عن السبب عرفت أن هناك شخصا ما سيحضر فى المساء كى يتعرف عليهم بمناسبة رغبته فى خطبة ابنتها الكبرى «سونيا». انتهزت الفرصة وطلبت من شقيقتى أن ترتدى ملابسها على الفور كى نخرج لشراء بعض الشوكولاته والحلويات لهذه المناسبة من محل كبير بمنطقة «دوران شبرا» يكاد يفتح طوال اليوم. خرجنا واشترينا الشوكولاته، واشترينا سندوتشات جبنة رومى» حيث كان الجوع قد استبد بى، وطلبت من صاحب المحل أثناء إعداده السندوتشات أن يفتح لنا «الراديو»، فقال لى بهدوء إن الإذاعة معطلة، ولما أبديت دهشتى استطرد: «بيقولوا إن فيه حاجة فى الجيش»، فقلت له: «حاول كمان مرة».. وفعلا أدار مفتاح «الراديو» فسمعنا المذيع يقول : بيان من اللواء محمد نجيب ...

وجدت نفسى دون أن أشعر أدور حول نفسى طربا وسط دهشة الجميع بمن فيهم شقيقتى، وأقول : «هيه ... هيه .. يحيا كفاح الجيش المصرى .. يحيا كفاح الشعب المصرى .. الشعب وراء الجيش»[٤٤].

أخذت أجرى فى الشارع وشقيقتى تجرى خلفى وهى لا تعرف ما الذى جرى لى .. والناس ينظرون إلينا فى دهشة . وتوقفت عند أول «جزار» صادفنى واشتريت رطلا ونصف رطل «لحم ضانى» .. فأنا أعرف أن يوسف مريض وسيحضر مرهقا وجائعا وفى حاجة ماسة إلى الطعام، ثم اشتريت من محل بقالة مجاور لمنزلى «حبهان ومستكة» لزوم عمل «الشوربة»، وطلبت من شقيقتى خيرية أن تعود إلى منزلها وترسل لى ابنها محيى على الفور .

«سلقت» اللحم وعملت «الشوربة» حتى يتلاءم الطعام مع ظروف يوسف الصحية .

حضر محيى وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وسعادة غامرة وهو يقول لى: «مبروك لمصر كلها» فقاطعته قائلة: «المرحلة القادمة أهم، لابد من تأييد شعبى للثورة، انطلق من الآن لإعلان الزملاء والزميلات بالاستعداد للخروج فى مسيرات شعبية تأييدا للجيش فى الموعد المناسب الذى سوف أخبرك به فيما بعد» .

سمعت طرقات شديدة متتالية على باب الشقة، تركت ما كان بيدى وتوجهت إلى الباب مهرولة اعتقادا منى أنه يوسف، ولكن ما إن فتحت الباب حتى وجدت أمامى الدكتور سعيد الأزهرى (ابن عمتى وزوج شقيقتى «سعاد») يسألنى بانزعاج شديد عن حقيقة الأحداث وهل يوسف مشترك فيها أم لا، وهل عاد أم لم يعد بعد. كان فى حالة توتر شديد حتى إنه عندما سمع الأنباء استنتج أن ابن خالته يوسف صديق بطبيعته الثورية لابد أن يكون مشتركا فى حركة الجيش، فترك عمله وكل شىء وجاء مسرعا كى يطمئن على ابن خالته .

لعل الساعة كانت الثانية عشرة ظهرا أو بعد ذلك ... الله أعلم، فأنا كنت فى حالة غير طبيعية تجعلنى لا أعرف كيف مر علىَّ ذلك الوقت .. المهم وصل يوسف بمفرده وكان الإرهاق الشديد يكسو وجهه، وعيناه حمراوين فى لون الدم من شدة المرض

(٤٤) راجع مجلة آخر ساعة، عدد يوليو عام ١٩٦٤.

والسهر والإرهاق. قدمت له الطعام هو والدكتور سعيد، فأكلا، ثم ناولنى حقنة وطلب منى شراء «سرنجة» والبحث عن أحد يعطيه هذه الحقنة المضادة للنزيف، بالرغم من وجود الدكتور سعيد أمامه، مما يوضح ما كان عليه من إرهاق وشرود. سألته عما حدث فقال : «أنا متعب جدا، سأروى لك كل شىء فيما بعد».

ما إن أرخى يوسف جسده على السرير حتى راح فى نوم عميق، لدرجة أنه لم يشعر بالحقنة التى حقنه بها الدكتور سعيد .

وضعت الطعام للجندى السائق «الدمرداش»، الذى كانت تغمره السعادة، وأخذ يروى موضحا بيديه وعينيه ووجهه .. ما شاهده فى تلك الليلة التاريخية، ويعيد ويزيد بكل فخر كيف قبض «جناب البكباشى» (يقصد يوسف صديق) على اللواء عبدالرحمن مكى قائد الفرقة ومساعده الأميرالاى عبد الرءوف عابدين، وهما فى طريقهما إلى معسكر الهايكستيب، وكيف اقتحم «جناب البكباشى» قيادة الجيش. وأخذ يحكى بسرور بالغ كيف أن «جناب البكباشى» بعد أن وزع الجنود الذين كانوا معه لحراسة المواقع المهمة، عينه حارسا على اللواء مكى والأميرالاى عابدين، وأنهما أرادا أن يخيفاه.. فقال له الأميرالاى عابدين: «كتفا سلاح يا عسكرى»، فرد عليه بقوة شاهرا البندقية «البرتًا» نحو صدريهما قائلا: «خلاص ... مبقاش فيه كتفا سلاح» .

أحداث ليلة الثورة

استيقظ يوسف من النوم، جلسنا وقص علىّ ما حدث فى هذه الليلة التاريخية :

تحركت مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة برئاسته الساعة الثانية عشرة منتصف ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ من أبعد معسكرات الجيش عن القيادة العامة، وهو معسكر الهايكستيب، وكان معه ضابطان من التنظيم: مساعده اليوزباشى عبد المجيد شديد، واليوزباشى زغلول عبد الرحمن الذى حضر إلى المعسكر لإبلاغ يوسف صديق بساعة الصفر (١٢ منتصف الليل)، وبكلمة السر «نصر» . وكانت مهمة مقدمة الكتيبة هى التوجه إلى مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة للمعاونة، بعد قيام الكتيبة ١٣ مشاة باحتلاله .

وقبيل ساعة الصفر حشد يوسف صديق ضباطه وجنوده وألقى فيهم كلمة قصيرة وبسيطة وحماسية، موضحا لهم أنهم سيشاركون فى عمل عظيم من أجل وطنهم، وسوف يفخر بهم أبناؤهم وأحفادهم[٤٥] .

وعندما حانت ساعة الصفر[٤٦] تحرك يوسف صديق بقواته، وما إن اجتاز بوابة المعسكر بأمتار قليلة، حتى شاهد سيارة اللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة قادمة نحو المعسكر، فتصـــدى لها وأوقفهـــا وتحفظ على اللـــواء «مكى» بنفس سيارته. وسارت سيارة يوسف صديق فى المقدمه تليها سيارة اللواء «الأسير»، وخلفها سيارة اليوزباشى عبد المجيد شديد واليوزباشى زغلول عبد الرحمن، موجهة أسلحتها تجاه سيارة اللواء عبد الرحمن مكى .

لم يلتق يوسف صديق طوال الطريق بأحد من قوات الضباط الأحرار، والتى من المفروض أن تكون قد أحكمت الحصار حول القاهرة، بحيث لا يمر منها غير القوات التابعة للضباط الأحرار فقط. وكانت كلمة السر «نصر» المبلغة له هى مفتاح المرور من قوات الحصار، لكن اللواء عبد الرحمن مكى مرَّ وكاد يصل إلى المعسكر دون أن يمنعه أحد، وها هى قوات مقدمة كتيبة المدافع ماكينة تكاد تصل إلى مشارف مصر الجديدة دون أن يعترضها أحد، مطالبا إياها على الأقل بكلمة السر، وهذا يعنى أن خطة الثورة لم توضع موضع التنفيذ بعد. وعلى مشارف مصر الجديدة ألقت قوات يوسف صديق القبض على الأميرالاى عبدالرءوف عابدين قائد ثان الفرقة، ليوضع تحت التحفظ مع قائد فرقته وفى سيارته. وأستأنف يوسف السير بقواته دون توافر أى دلائل على وجود قوات أخرى لتنظيم الضباط الأحرار بشوارع القاهرة، وإلا لما كان قائد ثان الفرقة قد وصل إلى مشارف مصر الجديدة متجها إلى معسكر الهايكستيب. وإزاء هذا الموقف الغامض الذى وجد يوسف صديق نفسه فيه، لم يكن أمامه - خاصة بعد أن ألقى القبض على قيادتين من جيش فاروق وأصبح مرتكبا لجريمة عقوبتها الإعدام - إلا أن

---

(٤٥) يوسف صديق هو الوحيد من الضباط الأحرار ، الذى صارح قواته بحقيقة ما هم مقدمون عليه . أما القيادات الأخرى، فمنهم من ادعى أنهم خارجون للتصدى للقوات الإنجليزية القادمة من القنال ، ومنهم من ادعى إعلان حالة الطوارئ ... الخ. وهذا يوضح الفرق بين فكر يوسف صديق السياسى وفكر باقى القادة ، وكذا الفرق بين علاقة يوسف صديق بقواته ، وعلاقتهم هم بقواتهم .

(٤٦) راجع مذكرات يوسف صديق عن «ليلة الثورة» بكتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ١٠٢

يتوجه إلى القيادة العامة فى كوبرى القبة حيث أصبح قريبا منها، ويقوم باحتلالها والدفاع عنها حتى آخر طلقة وآخر رجل .

وهكذا اتجه يوسف صديق بقواته نحو القيادة العامة لينفذ ما عزم عليه، ولكن ما إن سار «قول» السيارات مسافة قصيرة بشارع السلطان حسين بمصر الجديدة حتى لاحظ يوسف توقف «القول» من الخلف، فنزل من عربته الچيب ليستجلى الأمر، ففوجئ بقواته تحيط برجلين يرتديان ملابس صيفية مدنية (قميص وبنطلون)، ولما اقترب منهما تبين له أن الرجلين هما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، ففك أسرهما وانتحى بهما جانبا وسألهما عن سبب وجودهما فى ذلك المكان، فأخبراه بأن أمر الحركة قد انكشف «للملك»، وأن الفريق «حسين فريد» رئيس الأركان مجتمع بكبار القادة بالقيادة العامة بكوبرى القبة لاتخاذ إجراءات مضادة للحركة، كما أضاف «جمال» بأنهما كانا متوجهين إليه فى «الهايكستيب» كى يعجل بالتحرك بقواته(٤٧) .

أطلع يوسف «جمال» على ما كان من شأن القبض على الضابطين الكبيرين (اللواء مكى - الأميرالاى عابدين)، وما كان قرره بشأن مهاجمة قيادة الجيش واحتلالها، وأن الأمر الآن يقتضى سرعة التحرك .

وأسرع يوسف صديق إلى عربته الچيب فى مقدمة القوة لينطلق إلى قيادة الجيش بكوبرى القبة فى سباق مع الزمن. وأثناء الطريق رسم يوسف خطة لاحتلال القيادة العامة على الغلاف الداخلى لعلبة السجائر التى كانت معه(٤٨) .

واشتبكت قوات يوسف صديق مع حرس القيادة العامة فى تبادل لإطلاق النار لم يستمر سوى دقائق قليلة، استسلم على إثره حرس القيادة لقوات يوسف صديق، وأصيب خلال ذلك الاشتباك جنديان من قوات يوسف صديق، وجندى من قوات حرس القيادة .

---

(٤٧) راجع حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى يونيو سنة ١٩٦٢ مع «د . و. مورجان» مندوب الصنداى تايمز البريطانية، حيث يذكر فى حديثه أنه عندما انكشف أمر الحركة انطلق ومعه عبد الحكيم متوجهين إلى ثكنات الماظة كحل أخير . والمقصود بثكنات الماظة قوات كمال الدين حسين المتمركزة هناك ، وهو سلاح مدفعية الميدان .

(٤٨) راجع مجلة روزاليوسف - العدد ١٣٤٦ - بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٤، ص ٨ .



يوسف صديق وضباط الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة، والكتيبة ١٣ مشاة بعد الثورة.

دخل يوسف بقواته إلى مبنى القيادة، وقام بتفتيش الدور الأرضى، ووضع حراسة على الأماكن المهمة، ثم ارتقى السلم ليصعد إلى الطابق العلوى[٤٩]، وإذا بالضابط الحر الصاغ حسن أحمد الدسوقى واليوزباشى عمر محمود على يقدمان نفسيهما ليوسف ومعهما عشرون جنديا، وقد حضرا لتعزيزه بتكليف من البكباشى زكريا محيى الدين. صعد يوسف إلى الطابق العلوى للقبض على الفريق حسين فريد رئيس الأركان ومن معه، إلا أن «جاويشا» كان يقف على السلم المؤدى إلى الطابق العلوى اعترضه ومنعه من الصعود، ولم يكن الوقت ولا الموقف يحتملان الانتظار والمجادلة، فأطلق يوسف النار على قدم «الجاويش» وأستأنف صعوده حتى باب مكتب رئيس الأركان. وجد يوسف الباب موصدا، وإذا بجنود من الخلف ـ جنود الصاغ حسن الدسوقى ـ يطلقون النار على الباب. فُتح الباب وتبين أن المقاومة كانت بسبب كرسى وضع خلفه.

(٤٩) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ١١٣، ١١٤.

استسلم من كانوا بالحجرة وعلى رأسهم الفريق «حسين فريد» قائد الجيش، ومعه الأميرالاى «حمدى هيبة» وضابطان آخران .

كما قام يوسف صديق بالقبض على القوات التى أرسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش، فقبض بذلك على المقاومة، ودان للضباط الأحرار أمر البلاد .

وهكذا أصبح يوسف فى موقع قيادة الجيش، وسخر الله له أيضا جنودا من جيش فاروق ليستخدمهم فى تعزيز موقفه .

وبعد ذلك الجهد الشاق الذى بذله يوسف صديق وهو مريض شعر بأنه فى حاجة إلى شىء من الراحة، فجلس على الدرج الحجرى لقيادة الجيش(٥٠) .

ارتدى يوسف ملابسه ليتوجه إلى مجلس قيادة الثورة، فخرجنا من المنزل معا واتجهنا إلى منزل شقيقتى «سعاد» القريب من منزلنا، وقام الدكتور سعيد بإعطائه حقنة أخرى مضادة للنزيف، وتوجه يوسف إلى مجلس قيادة الثورة بمبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة .

استمر يوسف بمجلس القيادة ولم يعد إلى المنزل فى ذلك اليوم ولا اليوم التالى. لم يكن بمنزلنا تليفون ليتصل بنا ويطمئننا، لكن اليوزباشى عبد المجيد شديد حضر وأبلغنى بأن يوسف سافر إلى الإسكندرية مع اللواء محمد نجيب وبعض أعضاء مجلس القيادة، وسيحضرون معهم من هناك هدية للشعب المصرى. كانت معى شقيقتى «خيرية» فردت بعفوية شديدة قائلة : «سيحضرون رأس الملك».

---

(٥٠) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ١١٨ ، ١١٩ ، حيث يقول: «... فجلست على الدرج الحجرى الطويل الذى يتصدر مبنى القيادة العامة .. وجلس «حسن أحمد الدسوقى» بجانبى. ساد جلستنا صمت لبعض الوقت قطعته بتساؤلى: هل تعلم سببا لتأخر القوات الأخرى عن القيام بدورها؟ .. فأجابنى «حسن » بأنها لم تتأخر ولكن أنت الذى تقدمت ـ فلم تكن ساعة الصفر قد حانت بعد. وسألته فى عجب: ما هى ساعة الصفر فيما تعلم؟ فأجاب: إنها الساعة الواحدة من صباح اليوم «٢٣ يوليو». وكانت هذه أول مرة أعلم فيها أننى قمت قبل ساعة الصفر بساعة كاملة. ولقد كان الضابط «زغلول» الذى حمل إلىّ «ساعة الصفر» يرافقنى، و«زغلول» ضابط ويعلم أن التقديم فى الوقت مضر كالتأخير تماما، خصوصا إذا كان بوقت طويل .. «فساعة كاملة» تعتبر وقتا طويلا فى مثل هذه الظروف. ومع ذلك فإنه حضرنى وأنا أجمع ضباطى قبل انتصاف الليل وأصدر إليهم أوامرى ـ ثم رآنى وأنا أستولى على «اللوارى» وأضع جنودى فيها بعد أن خطبت فيهم وكشفت لهم عن العمل الكبير وهيأتهم لاستقباله، ولم يحرك ساكنا، ولم يعترض على هذا التبكير بالتحرك.
كل ذلك جعلنى أعتقد أننى تصرفت حسب الخطة الموضوعة وأننى تحركت فى موعدى المحدد».

بعد عدة أيام حضر يوسف، وأخذنا نتحدث .. انتهزت الفرصة لأسأله عن رأيه فيما جرى من أحداث فى تلك الليلة التاريخية. لقد أردت أن أسمع رأى يوسف صديق ورؤيته لما جرى من أحداث غير عادية وغير متوقعة فى تلك الليلة .

قال لى يوسف بإيجاز شديد: «إن الخطة التى وضعها الضباط الأحرار لم ينفذ منها شيء، ولو كانت نفذت لفشلت الثورة، ولكن ما نُفذ خطة أخرى وضعها الله سبحانه وتعالى وأناط بى تنفيذها» .

لاشك أن يوسف فى تلك الليلة كان يسير على طريق الحق، والحق هو الله ، لذلك رعى الله يوسف صديق لكى تنجح الثورة .

أحداث ليلة الثورة[٥١]

سأتعرض هنا لأهم ما أثير حول أحداث ليلة الثورة، وهو ما يتلخص فيما أشيع عن تحرك يوسف صديق بقواته قبل موعد ساعة الصفر، وكذا محاولات تهميش دوره ليلة الثورة للتقليل من حجم جسارته وبطولته .

١. ساعة الصفر

فى مساء يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ توجه اليوزباشى «زغلول عبدالرحمن» ضابط اتصال تنظيم الضباط الأحرار إلى مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة فى الهايكستيب، وأبلغ قائدها البكباشى يوسف صديق ـ فى وجود الضابط الحر عبدالمجيد شديد ـ بأن ساعة الصفر هى «الثانية عشرة منتصف الليل»، وكلمة السر هى «نصر». تحرك يوسف صديق بقواته ومعه اليوزباشى عبدالمجيد شديد واليوزباشى زغلول عبدالرحمن ـ اللذان كانا يستقلان سيارة واحدة ـ فى الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل بالضبط، وهو الموعد المبلغ له، ولم يعترض اليوزباشى زغلول عبد الرحمن ولا اليوزباشى عبد المجيد شديد على موعد التحرك .

---

(٥١) راجع كتاب «يوسف صديق منقذ ثورة يوليو» ـ الناشر مكتبة مدبولى ـ للأستاذ محمد توفيق الأزهرى من ص ٦٣ إلى ص ٧١ .

وهذا ما سجله يوسف صديق فى مذكراته[٥٢]، بما يؤكد أنه قد تحرك بقواته فى موعد ساعة الصفر المبلغ له بالضبط، وإذا كان هناك خطأ فهو ليس خطأ يوسف. وهذا ما أكده أيضا اليوزباشى عبدالمجيد شديد[٥٣]، وهكذا يتضح أيضا عدم صحة ما ذهب إليه الرئيس عبد الناصر فى خطابه فى العيد العاشر لثورة يوليو (٢٢ يوليو عام ١٩٦٢) من أن يوسف صديق اعتقد أن ساعة الصفر الثانية عشرة ليلا فتحرك بقواته فى ذلك الموعد[٥٤].

لعل عبدالناصر أراد بهذا القول التهوين من دور يوسف صديق وجسارته ليلة الثورة.

وقد قرر السيد حسين الشافعى[٥٥] أن موعد ساعة الصفر تردد بين الحادية عشرة، والثانية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو - أى منتصف الليل - ومن ذلك يتبين أن تحديد ساعة الصفر اكتنفه قدر من التردد والارتباك، والتعديل.

وبالرغم من ذلك فلم تتحرك سوى قوات يوسف صديق فى الساعة الثانية عشرة (منتصف الليل)، أما باقى القوات - بلا استثناء - فلم تتحرك إلا بعد اقتحام يوسف صديق لقيادة الجيش وسماع طلقات الرصاص تدوى فى سكون الليل من مبنى القيادة العامة بكوبرى القبة، وكانت الساعة قد قاربت الواحدة صباح يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

٢- روايات النفاق

بعد قيام الثورة ببعض الوقت طلب عبدالناصر من الضباط الأحرار أن يكتب كل منهم ما فعله أو شاهده ليلة الثورة، فقام أحد الضباط بكتابة رواية تدعى أن الصاغ

(٥٢) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ١٠١ ، ١١٨ ، ١١٩.

(٥٣) راجع مجلة «الوادى» بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٥٢ حيث يقول عبدالمجيد شديد: «الثانى : يتصل بساعة الصفر، وهو يقتضى التوضيح حيث يمس خطة الثورة وقادتها وبعض ضباطها .. وقد أبلغنا زغلول عبد الرحمن أن ساعة الصفر هى منتصف الليل وتحركنا فى الموعد تماماً ، ومعنا زغلول عبد الرحمن ..».

(٥٤) راجع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٠/٦/١٠، ص ١٠، مقال اللواء جمال حماد بعنوان «التعتيم التاريخى لنجوم ثورة يوليو»، حيث نسب الخطأ إلى اليوزباشى زغلول عبد الرحمن فى إبلاغ ساعة الصفر .

(٥٥) راجع مجلة «الأهرام العربى»، العدد ٦٩، بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١٩٩٨، ص ٤٤، حيث يتذكر السيد حسين الشافعى أحداث ليلة الثورة فيقول: «اتفقنا على أن يكون التحرك فى الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل يوم ٢٢. ولما كان أغلب الضباط قد أبلغوا بأن موعد التحرك سيكون الساعة الحادية عشرة، خفت أن يأتوا مبكرين ساعة وينكشف الأمر. وحاولنا أن نحافظ على الموعد الأول، لكن الأغلبية اتفقت على الساعة الثانية عشرة ...».

عبدالحكيم عامر، خطف - ليلة الثورة - بندقية من أحد الجنود وتسلق سور القيادة العامة، وأطلق نيران بندقيته على حرس بوابة القيادة من الداخل، فمات من مات، وفرَّ من فر، وقام بفتح باب القيادة العامة لتدخل قوات يوسف صديق إلى مبنى القيادة .

وبالرغم من سذاجة هذه القصة فقد كوفئ هذا الضابط على روايته الكاذبة بأن عين ملحقا عسكريا فى إحدى سفاراتنا بالخارج، برغم صغر سنه ورتبته، وبرغم علم الجميع - وأولهم الصاغ عبد الحكيم عامر - بكذب هذه القصة .

وإذا كان ذلك الضابط الصغير قد جرفه تيار النفاق، فإن هذا التيار قد جرف من هم أقدم منه. فالبكباشى أنور السادات الذى كان مع زوجته من الساعة ٩ مساء حتى بعد منتصف الليل بسينما الروضة، ولم يحضر واقعة احتلال مبنى القيادة، ولم يذهب إليها إلا فى الثالثة صباحا، وبعد أن أصبح يسعى إلى تثبيت أقدامه فى مركز السلطة والحكم، قام بتزييف التاريخ فى كتابه «قصة الثورة كاملة»[٥٦]، فادعى أن عبدالحكيم عامر هو الذى اقتحم مبنى قيادة الجيش .

ولأن الضلال عمره قصير، ولابد أن تظهر الحقيقة مهما طال الزمن، فإن أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم جمال عبدالناصر ومحمد نجيب، وخالد محيى الدين، والضباط الأحرار، والمؤرخون، أتت شهاداتهم تباعا لتكشف الزيف وتظهر الحقيقة التى طالما حاول المنافقون إخفاءها حينا .. وتشويهها أحيانا .. ليعطى الله سبحانه وتعالى يوسف صديق حقه المسلوب فى النهاية، ويكشف الأكاذيب التى وردت بكتاب السادات «قصة الثورة كاملة» .

---

(٥٦) راجع كتاب «قصة الثورة كاملة»، ص ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، لأنور السادات حيث يقول: «لم يقل لى عبدالحكيم فى تلك اللحظة أنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش، وأنه هو الذى احتلها بجنوده أو هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم مبنى رئاسة الجيش وهو يحمل طبنجته .. وانطلقت رصاصات جنود عبدالحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان وبقوادها. لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا كما وفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت، بعد أن علم جمال بإجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة وإخمادها، قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم، كل على حدة. لقد اصطاد عصافير عديدة بحجر واحد، أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجئ بهم جمال ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم النقيب «محمد شديد» نحو مراكز تجمع الضباط الأحرار. ويعرف جمال أن النقيب شديد جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها. واتخذ القرار فى الحال، بعد وصول قوة الضابط شديد، بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش، ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل .. وفعلا قام عبد الحكيم عامر وهو يشهر مسدسه وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة، وانتصر التنظيم فى المعركة الأولى، وهى كانت أول معركة حاسمة تكسبها الثورة ...».

عزيزى القارئ، وأعزائى الشباب الذين لم يعاصروا قيام الثورة، ولم يعرفوا حقيقة أحداثها .. أقدم لكم الشهادات التاريخية التالية عن يوسف صديق :

أولا : شهادة جمال عبدالناصر

فى حديث للرئيس عبد الناصر مع «د . و . مورجان» مراسل الصنداى تايمز البريطانية فى شهر يونيو عام ١٩٦٢(٥٧)، اعترف لأول مرة بدور يوسف صديق ليلة الثورة. فقد أقر بقيام قوات يوسف صديق بالقبض عليه ومعه عبد الحكيم عامر بمنطقة مصر الجديدة، ثم قيام يوسف صديق بفك أسرهما، ثم توجه يوسف صديق بقواته إلى مقر القيادة العامة حيث اقتحمها وألقى القبض على رئيس هيئة الأركان ومن كان معه من ضباط يخططون لإجهاض الثورة .

---

(٥٧) راجع مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، الصادرة عن الهيئة العامة للاستعلامات، القسم الرابع: فبراير ١٩٦٢ إلى يونيو ١٩٦٤. حيث يقول الرئيس عبد الناصر فى حديثه الصحفى عن ليلة الثورة: «وفى نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء إلى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا - وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به - لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه نبأ استعداد الضباط الأحرار للتحرك، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش الذى دعا إلى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا. وكان لابد من اتخاذ قرار فورى، فلو أننا تركنا كل شىء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها - وهى الواحدة صباحا - فقد يدركوننا قبل أن ندركهم. ومن ناحية أخرى، كانت الأوامر قد وزعت وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع. وانضم إلينا ضابط المخابرات وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية، ووصلنا متأخرين فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات .. فمضينا إلى ثكنات الفرسان والمصفحات فوجدنا أيضا أنهم سبقونا، وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل. وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر - ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة ، وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندما تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الأحداث .. ولقد تأكد لى من تطورات الأمور أن عناية الله تلك الليلة معنا . فقد انطلقنا لنتوجه إلى ثكنات ألماظة كحل أخير - وكنت أسير بسيارتى «الأوستن» الصغيرة ومعى عبدالحكيم عامر - وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريق تحت الظلام، وأخرجنا الجنود من السيارة وألقوا القبض علينا .. لكن الجنود كانوا فى الحقيقة من قوات الثورة، وكانوا ينفذون أوامرى بإلقاء القبض على كل ضابط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة. ولم يكن الجنود يعرفون من أكون، فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريبا .. كل دقيقة منها أثمن ما تكون، ولم تصدر الأوامر فورا بإطلاق سراحى وسراح عبدالحكيم عامر إلا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة وأحد زملائى المقربين ليستطلع سر الضجة ، ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخرج من الظلام، فقد تحرك قبل الوقت المحدد له، وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة ليبدأ الهجوم . وانضممنا إلى الطابور، وقررت ألا ننتظر واتجهنا فورا إلى القيادة وكانت قواتنا لا تزيد على قوة السرية - لكن عنصر المفاجأة كان فى جانبنا . لقد اعتقلنا فى الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيادة لتوجيه الضربة ضدنا، وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة أركان حرب - وكان على رأس المائدة - يضع مع مساعديه خطة الإجراءات التى ستتخذ ضد الضباط الأحرار. وقبضنا عليهم جميعا.

كان اعتراف عبدالناصر بدور يوسف صديق ذكاء منه بلاشك، فقد أدرك أن الحقيقة ستتضح فى يوم من الأيام، فـفضل أن تكون بيده لا بيد «عمرو» ـ كما يقولون. وباعترافه، يمكنه أن يقول الحقيقة بالقدر الذى يريده وبالطريقة التى يريدها، وأن يضع لها من الرتوش ما يجعلها لا تسىء إليه، كادعائه بأنه توجه إلى ثكنات العباسية لجمع بعض القوات، فوجد أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات، فتوجه إلى ثكنات الفرسان والمصفحات، فواجه نفس الموقف .

والحقيقة أن الصاغ حسن الدسوقى ومعه اليوزباشى عمر محمود على خرجا من ثكنات العباسية ومعهم عشرون جنديا لتعزيز قوات يوسف صديق التى اقتحمت مقر القيادة العامة، ولم تصادفهم أية قوات للبوليس الحربى حتى وصلا إلى القيادة العامة وقدَّما نفسيهما ليوسف صديق . وبعد ذلك بقليل خرجت قوات سلاح الفرسان من ثكنات الفرسان ولم يصادفها أية قوات تابعة للنظام الملكى حتى وصلت إلى القيادة العامة .

كما ادعى عبدالناصر فى حديثه الصحفى أنه وعبدالحكيم انضما إلى قوات يوسف صديق المتوجهة إلى مقر القيادة العامة لاحتلالها. وهذا أيضا غير صحيح، فيوسف صديق توجه بقواته وحدها ولحق به بعد ذلك جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، ووقفا بالقرب من القيادة العامة (مكان جامع عبد الناصر حاليا)، وكانا فى هذه المرة يرتديان الملابس العسكرية .

وفى ٢٢ يوليو عام ١٩٦٢ (العيد العاشر لثورة ٢٣ يوليو) ألقى الرئيس عبدالناصر خطابا بهذه المناسبة كشف فيه جزءا مهما من أحداث ليلة الثورة، واعترف لأول مرة علنا على مرأى ومسمع من الشعب المصرى والعربى والعالم أجمع بدور يوسف صديق فى ليلة الثورة[٥٨] ـ وطبعا مع إجراء الرتوش بما يتفق والصورة التى يريد أن يظهر بها أمام الناس، ولكن المهم أنه اعترف بدور يوسف صديق فى تلك الليلة، وبأن قوة يوسف

(٥٨) راجع المرجع السابق، حيث قال الرئيس عبدالناصر فى خطابه بمناسبة العيد العاشر لثورة ٢٣ يوليو: «... كان المفروض أن التحرك سيكون الساعة واحدة، ولكن فيه واحد اعتقد أن التحرك الساعة ١٢ اللى هو يوسف منصور صديق، وتحرك قبل الميعاد الساعة ١٢. قلنا له الميعاد الساعة واحدة .. قال على العموم أنا اتحركت الساعة ١٢ قلنا له إذن نطلع على القيادة ونحتل القيادة ونعتقل الناس الموجودين هناك .. إن دل هذا على شىء فيدل على التوفيق .. وكانت هذه القوة هى التى احتلت القيادة وقبضت على جميع القادة فى هذا الوقت ، وبهذا تمكنت الثورة من أن تسير فى عملها ...».

صديق (مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة) هى التى احتلت القيادة العامة وألقت القبض على من كان فيها من قيادات الجيش الملكى .

والحقيقة أن يوسف صديق لم يعرف - على خلاف ما ذكره عبدالناصر فى خطابه - بأمر تحركه مبكرا ساعة عن الموعد المحدد للتحرك من قبل عبدالناصر، عندما التقى به على إثر قيام قواته (قوات يوسف صديق) بالقبض على عبدالناصر ومعه عبدالحكيم عامر فى مصر الجديدة - فإن هذا الأمر لم يتطرق إليه الحديث بينهما . لقد عرف يوسف صديق بهذا الأمر لأول مرة من الصاغ حسن الدسوقى بعد انتهائه من احتلال القيادة العامة[٥٩].

ثانيا - شهادة محمد نجيب

يعترف الرئيس محمد نجيب فى مذكراته[٦٠] بدور يوسف صديق ليلة الثورة، وبأن يوسف صديق وقواته هم الذين احتلوا القيادة العامة وقبضوا على اللواء حسين فريد رئيس هيئة الأركان .

ثالثا - شهادة خالد محيى الدين

يؤكد السيد خالد محيى الدين اقتحام يوسف صديق لمقر قيادة الجيش بكوبرى القبة ليلة الثورة[٦١]، وإلقاء القبض على قواد الجيش الملكى المجتمعين هناك. ويرد

٥٩) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق»، ص ١١٨ ، ١١٩ ، حيث يقول يوسف صديق فى مذكراته عن ليلة الثورة: «... فجلست على الدرج الحجرى الطويل الذى يتصدر مبنى القيادة العامة .. وجلس «حسن أحمد الدسوقى» بجانبى. ساد جلستنا صمت لبعض الوقت قطعته بتساؤلى: هل تعلم سببا لتأخر القوات الأخرى عن القيام بدورها؟ .. فأجابنى «حسن» بأنها لم تتأخر ولكن أنت الذى تقدمت - فلم تكن ساعة الصفر قد حانت بعد .. وسألته فى عجب: ما هى ساعة الصفر فيما تعلم؟ فأجاب: إنها الساعة الواحدة من صباح اليوم «٢٣ يوليو». وكانت هذه أول مرة أعلم فيها أننى قمت قبل ساعة الصفر بساعة كاملة ...».

٦٠) راجع مذكرات الرئيس محمد نجيب «كلمتى للتاريخ»، ص ٣٤، حيث يقول: «وصلت كوبرى القبة وهناك تلقانى بعض ضباط الثورة، وانتقلت من عربتى إلى عربة جيب وصلت بها مركز القيادة . ولم أجد حسين فريد (رئيس هيئة أركان حرب الجيش) فى مكتبه، وإنما وجدت ضباط الثورة ينصتون وقوفا للبكباشى يوسف صديق، الذى كانت قواته القادمة من الهايكستيب فى ضواحى القاهرة البعيدة هى أول قوات تحتل القيادة وتعتقل اللواء حسين فريد وتنقله إلى معسكر الاعتقال فى الكلية الحربية المواجهة لها ...».

٦١) راجع مذكرات خالد محيى الدين «والآن أتكلم»، من ص١٤٠ إلى ١٥١، حيث يقول: «كان يوسف صديق قد تحرك مبكرا واقتحم مقر قيادة الجيش فى كوبرى القبة والقى القبض على قيادات الجيش المجتمعة هناك».



محمد نجيب ويوسف صديق وأمين شاكر.

السيد خالد محيى الدين على محاولات البعض التقليل والتهوين من دور يوسف صديق ليلة الثورة، بأنها محاولات محكوم عليها بالفشل(٦٢).

رابعا : شهادة جمال حماد(٦٣)

استنكر المؤرخ العسكرى اللواء جمال حماد رواية البكباشى أنور السادات التى نسب فيها للصاغ عبد الحكيم عامر اقتحام قيادة الجيش، وتجاهله لدور يوسف صديق الذى كان بطل عملية اقتحام القيادة العامة بلا منازع.

(٦٢) راجع جريدة الأهالى بتاريخ ١٩٩٩/٧/٢٨، ص ٧، حديث للسيد خالد محيى الدين، حيث يقول: «أما محاولة التقليل من دور يوسف صديق، فإنها محاولة محكوم عليها بالفشل . تتعدد الروايات وتختلف التفاصيل ولكن الحقيقة الباقية أن يوسف صديق هو الذى اقتحم مبنى قيادة الجيش، وقبض على الفريق حسين فريد رئيس الأركان وجلس على مكتبه. وهذه الحقيقة لم يكذبها أحد طوال حياة يوسف صديق . فالتفاصيل قد نختلف حولها، أما الحقيقة فهى واضحة وصريحة.

(٦٣) راجع كتاب «٢٢ يوليو .. أطول يوم فى تاريخ مصر» للواء جمال حماد، ص ٣٣٢، حيث يقول: «ولا يحتاج الأمر إلى عناء كبير لإثبات مدى بعد هذه الرواية عن الحقيقة، إذ يكفى إغفالها لاسم يوسف صديق وطمس معالم دوره طمسا =

خامسا : شهادة حسن أحمد الدسوقى

وفى مذكرات الضابط الحر الصاغ حسن أحمد الدسوقى عن ليلة الثورة[٦٤] يؤكد أن يوسف صديق هو أول من اقتحم قيادة الجيش بكوبرى القبة بمقدمة كتيبته، وألقى القبض على قيادات الجيش . وبتكليف من السيد زكريا محيى الدين توجه حسن الدسوقى ـ وكان يستقل حمالة مصفحة ـ إلى مبنى القيادة العامة فوجد يوسف صديق قد اقتحمها فعلا، وأنه هو واليوزباشى عمر محمود على ـ الذى كان على رأس قوة مكونة من عشرين جنديا ـ كانا أول من دخل القيادة العامة بعد يوسف صديق.

= تاما، رغم ما يعلمه الجميع من أنه قائد العملية بل بطلها بلا منازع. والذى يلفت النظر هو إقحام اسم عبدالحكيم عامر فى هذه العملية . ولاشك أن عبد الحكيم قد خجل منه؛ إذ نسب إليه بطولة لا يستحقها، إذ كيف يرضى أن يكتب عنه أنه هو الذى قاد المعركة وهو يحمل مسدسه على رأس جنوده واقتحم مبنى الرئاسة وألقى القبض على حسين فريد والقادة الذين معه، فى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر أول من يعلم أنه لم يشترك فى هذه المعركة إطلاقا لأنه كان واقفا مع عبدالناصر يراقبان الموقف من موقع مجاور لمبنى رئاسة الجيش. كما أن عبدالحكيم لم يكن يحمل مسدسا فى تلك الليلة، فقد كان مسدسه فى مخزن السلاح برئاسة الفرقة الأولى برفح التى كان يعمل بها، وكان فى القاهرة وقتئذ فى إجازة ميدان. أما ما قرأناه عن تلك المجموعة المجهولة من الجنود التى كان يقودها النقيب «محمد شديد»، والتى فوجئ جمال بوصولها إلى مركز تجمع الأحرار، والتى أحضرها قائدها من تلقاء نفسه بلا أوامر من أحد عندما علم بنبأ الثورة، فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل بدئها بساعة ـ فهذه عبارة بعيدة ـ للأسف ـ عن الحقائق التاريخية، فإن الضابط المقصود فى العبارة اسمه «النقيب عبد المجيد شديد محمد رضوان» وليس «محمد شديد»، ولم يحضر هذا الضابط من تلقاء نفسه وبلا أوامر، بل جاء ضمن طابور قوة مدافع ماكينة من الهايكستيب بأمر قائده يوسف صديق، وكان هدف القوة التقدم إلى مبنى رئاسة الجيش، وليس إلى مراكز تجميع الأحرار لأنه لم يكن فى الخطة ذكر لأى مراكز بهذه الصفة».

(٦٤) راجع تحقيق صحفى بمجلة أكتوبر ـ العدد ٩٨٠ ـ بتاريخ ١٩٩٥/٨/٦، ص ٤٢. أجرى التحقيق الأستاذ عاطف عبد الغنى مع الصاغ حسن أحمد الدسوقى عن ليلة الثورة، حيث يقول: «... كلفنى حمدى عبيد أن آخذ عربة و١٤ صندوق ذخيرة من مركز تدريب اللواء (يقصد اللواء السابع مشاة) لأن الذخيرة كانت مسحوبة من الوحدات لدواعي تأمين الملك وموجودة فى مراكز التدريب لأغراض التدريب على ضرب النار. وأخذت عربة الذخيرة وتوجهت للكتيبة ١٣ وقدمت نفسى لزكريا محيي الدين. عندما ذهبت لزكريا محيي الدين كلفنى باصطحاب قوة من الكتيبة ١٣ مكونه من ٢٠ عسكريا تحت قيادة اليوزباشى عمر محمود على ، وركبت أنا حمالة مدرعة أمام اللورى الذى يحمل القوة وخرجنا من الكتيبة. كانت تعليمات زكريا محيي الدين أن أحتل قيادة الجيش، باعتبار أن بها حراسة عادية، وباعتبار أن خطة قيام الثورة لم تكن قد كشفت. وبينما نحن فى انتظار ساعة الصفر لبدء التنفيذ، أمرنى زكريا محيى الدين بالتحرك إذا لزم الأمر . وبالفعل تحركنا. وعند المستشفى العسكرى فى شارع الخليفة المأمون قابلت عبد الحكيم عامر، وقال لى: أسرع عزز قوة يوسف صديق ، وفى لحظتها سمعنا أصوات طلقات نارية، وأذكر أنه كان هو وزغلول عبد الرحمن ومعهما اللذان قبض عليهما يوسف صديق فى طريقه لاحتلال القيادة: عبد الرحمن مكى قائد الفرقة، وعبدالرؤوف عابدين قائد اللواء . وكان يوسف صديق قد تركهم واتجه لاقتحام القيادة. واتجهت فورا إلى القيادة العامة ، وهنا أحب أن أؤكد أن قوات الكتيبة ١٣ التى كانت معى هى أول قوة وصلت بعد اقتحام يوسف صديق لقيادة الجيش ، وأن انضمام أى قوات أخرى كان بعد استيلائنا تماما على القيادة . قابلت يوسف صديق وكان قد استولى على الطابق الأرضي وتم تأمينه، وفى صعودنا للطابق الثانى أطلق يوسف النار على الجاويش الذى اعترضنا، وواصلنا صعودنا لا تقابلنا مقاومة لكن وجدنا باب مكتب اللواء حسين فريد مغلقا، فأطلقنا عليه دفعة نيران ودفعه يوسف صديق بقدمه فوجدنا ثلاثة وراء برافان منهم حسين فريد الذى استسلم ...» .

وهذه الشهادة وإن كانت تؤكد دور يوسف صديق ليلة الثورة واقتحامه قيادة الجيش والقبض على رئيس الأركان ومن كانوا معه، وتفند مزاعم المنافقين الذين أرادوا مداهنة السلطة على حساب بطولة يوسف صديق، فإن هذه الشهادة تؤكد أيضا أن أول من وصل إلى القيادة العامة بعد اقتحام يوسف صديق لها كان الصاغ حسن أحمد الدسوقى مستقلا حمالة (مصفحة) ومعه اليوزباشى عمر محمود على مستقلا «لورى» به ٢٠ جنديا من الكتيبة ١٣ مشاة .

سادسا : شهادة وزارة الدفاع

أثبتت هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع فى الدراسة التى أجرتها عن ليلة ثورة ٢٣ يوليو[٦٥] .. أن يوسف صديق هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة العامة، بينما كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يقفان بالقرب من القيادة أثناء الاستيلاء عليها، أما أنور السادات فكان مع زوجته فى السينما بعيدا عن مكان العمليات .

ولعل فى شهادة هيئة البحوث العسكرية القول الفصل ومسك الختام .

(٦٥) راجع دراسة هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع عن الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن (من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٢) ـ القسم الثانى: قيام ثورة ٢٣ يوليو، ص ٤٧، حيث جاء بها: «ومن المؤكد أن البكباشى يوسف صديق هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة العامة، بينما كان كل من جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر بالقرب من القيادة أثناء الاستيلاء عليها، أما أنور السادات فكان أكثر منهما دهاء: إذ دخل السينما وتشاجر مشاجرة مفتعلة، وحرر محضرا بالواقعة حتى إذا فشلت الحركة نجح فى الخروج من هذا المأزق».

الفصل الخامس

يوسف صديق عضوا بمجلس قيادة الثورة

نظرا لأن يوسف صديق كان منذ التحاقه بالجيش ثائرا على الاحتلال وعلى النظام الملكى الفاسد، فقد سعى تنظيم الضباط الأحرار إلى ضمه لصفوفه تقوية للتنظيم وتوحيدا لجهود الثوار .

وقد أثبتت الأيام بعد ذلك - خاصة ليلة قيام الثورة - أنه لولا شجاعة يوسف صديق وحنكته كضابط وثائر لما نجحت الثورة ولعلق قادتها على أعواد المشانق .

لقد أثبتت أحداث تلك الليلة - كما قيل بحق - أن يوسف صديق أسد ثورة ٢٣ يوليو. فبالرغم من أحداث وملابسات تلك الليلة، لم يتردد، ولم يتسرب الخوف إلى قلبه، بل بشجاعة منقطعة النظير وبقوة قليلة العدد والعدَّة هاجم مقر القيادة العامة وهو مريض بصدره ينزف، واقتحمه وقبض على قيادات جيش فاروق الذين اجتمعوا هناك للتخطيط لمواجهة ثورة الضباط، بعد أن كانت قد تسربت أخبار حركة الجيش. لذلك كان لابد أن يختار يوسف صديق بالإجماع عضوا بمجلس قيادة الثورة، فلولاه لما كانت هناك ثورة، ولما كان هناك مجلس ثورة. لقد كانت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة تتكون من ٩ ضباط هم : بكباشى أ . ح جمال عبدالناصر - بكباشى طيار جمال سالم - بكباشى طيار عبداللطيف البغدادى - بكباشى أنور السادات - صاغ أ . ح عبدالحكيم عامر - صاغ أ . ح صلاح سالم - صاغ أ . ح كمال الدين حسين - صاغ طيار حسن إبراهيم - صاغ خالد محيى الدين .

وبقيام ثورة ٢٣ يوليو انتهى دور الهيئة التأسيسية، وتشكل مجلس قيادة الثورة من ١٤ عضوا، بإضافة خمسة ضباط لأعضاء الهيئة التأسيسية السابقة[٦٦]، وهؤلاء الضباط الخمسة الذين تم ضمهم: لواء أ . ح محمد نجيب - بكباشى أ . ح يوسف منصور صديق من سلاح المشاة - بكباشى عبدالمنعم أمين من سلاح المدفعية - بكباشى أ . ح زكريا محيى الدين من سلاح المشاة - بكباشى حسين الشافعى من سلاح الفرسان .

خلافات يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة

كان طبيعيا أن يختلف يوسف صديق مع غالبية زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة، لاختلاف أفكاره ومبادئه عن أفكارهم ومبادئهم. فيوسف كان يؤمن بالحرية والديمقراطية والاشتراكية أسلوبًا للحكم، ويمقت الدكتاتورية مهما اختلفت أرديتها، وكان ضد استغلال الإنسان فى كافة الأشكال والصور، فى حين أن كل أعضاء مجلس القيادة - عدا خالد محيى الدين - جذبتهم شهرة الحكم فنسوا المبادئ التى تجمعوا حولها فى تنظيم الضباط الأحرار، علاوة على فكرهم ذى النزعة الغربية الرأسمالية .

وباستثناء محمد نجيب، فقد كان يوسف صديق أقدم من يحملون رتبة البكباشى فى مجلس قيادة الثورة، وأكبرهم سنا، بالإضافة إلى شجاعته المعروفة فى حرب فلسطين ..

---

(٦٦) راجع مذكرات السيد خالد محيى الدين «والآن أتكلم»، ص ١٧٤،١٧٥،١٧٦، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر: «قصة ثورة ٢٣ يوليو» - الجزء الأول: «مصر والعسكريون» - ص ٢٣٥. للأستاذ أحمد محروس: الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ ق قضاء إدارى - الدائرة الأولى أفراد - المقامة من اللواء شرطة حسين يوسف صديق ضد وزارة الدفاع ووزارة الثقافة، مطالبا باقامة تمثال لوالده بالمتحف الحربى إسوة بباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة، وكذا مذكرة اللواء جمال حماد المؤرخ العسكرى المقدمة منه لمدير إدارة المتاحف العسكرية ، والمودعة بملف الدعوى: كتاب «الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن» - جزء أول - ص ١٥٩، صادر عن هيئة البحوث العسكرية .

ملحوظة :

ورد فى كتاب «الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن» - الجزء الأول - الوثيقة رقم «٣» ، صفحة رقم ١٥٩ المثبت بها أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة. وقد ورد ضمن الأسماء ، اسم البكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف ، والحقيقة أنه كان ضمن تنظيم الضباط الأحرار في مرحلة من المراحل ، وكان ضمن خلية العريش التى كان يرأسها يوسف صديق ، ولكنه أبعد عن التنظيم بعد ذلك لارتباطه بجماعة الإخوان المسلمين . والحقيقة أن الذى كان عضوا بمجلس قيادة الثورة هو البكباشى عبد المنعم أمين من سلاح المدفعية . ونلاحظ أن هذا الجدول المثبت به أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة ، قد تناول هذه الأسماء بصورة عشوائية ، فهو لم يضعهم فى ترتيب أقدميتهم، ولا بالترتيب الأبجدى .

كان الأجدر أن يتم وضعهم فى ترتيب أقدميتهم العسكرية ، طالما أن الأمر يتعلق بضباط جيش .

تلك الشـجـاعة التى أكدها مـا قام به ليلة ٢٣ يوليـو عـام ١٩٥٢، لذلك بدا للآخـرين أن وجوده معهم فى مجلس القيادة سيكون عقبة أمام طموح البعض وجموح البعض الآخر. ففى وجود يوسف صديق كان يستحيل أن يترأس الصاغ عبدالحكيم عامر الجيش، وفى وجـوده أيضـا كـان يصـعب على الحكام الجـدد أن يظلوا فى السلطة دون إرادة الشعب. كان لابد إذن أن يختلف معهم يوسف صديق، وكان لابد لهم أن يتخلصوا منه حتى لا يطالبهم بالعودة إلى الثكنات ، وإقامة الحياة الديمقراطية التى كانت أحد المبادئ الستة للضباط الأحرار .

ولقد حذرت زوجى يوسف صديق من زملائه أعضاء مجلس القيادة فى وجود الصاغ وحيد جودة رمضان، فقلت له إن الثورة تأكل أبناءها، فرد الصاغ وحيد رمضان بانفعال شديد بأن الثورة لن تأكل أبناءها، فدعوته إلى قراءة تاريخ الثورات حتى يعرف موطئ قدميه .

والمؤسف أن وحيد رمضان أكلته الثورة مع من أكلت .

لقد تجسد خلاف يوسف صديق مع زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مواقف عديدة، لكنها جميعا تنطلق من تمسك يوسف بالديمقراطية أسلوبا ونظاما لحكم البلاد، مع ما يتضمنه ذلك من تمسك بالدستور والقانون واحترام الحريات وحقوق الإنسان، وحرية الصحافة، وحرية تكوين النقابات، ورفضه تصفية الأحزاب على غير أساس ديمقراطى، ومطالبته الإفراج عن المعتقلين السياسيين، والالتزام بمبدأ الحياد بين المعسكرين الغربى والشرقى، وكان ذلك كما يلى بالتفصيل :

أولا : دعوة البرلمان للانعقاد[(٦٧)]

بعد طرد الملك فاروق من مصر يوم ٢٦ يوليو عام١٩٥٢، كان على مجلس قيادة الثورة اتخاذ قرار بالخطوة التالية، والتى ستحدد نظام الحكم، فكان هناك رأيان :

---

(٦٧) راجع رسالة يوسف صديق للواء محمد نجيب بجريدة المصرى، العدد ٥٨٦٤، بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ .
راجع مذكرات اللواء محمد نجيب «كلمتى للتاريخ»، ص ٥٩ .
راجع مذكرات خالد محيى الدين «والآن أتكلم»، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .



اجتماع مجلس قيادة الثورة، ويظهر يوسف صديق بين عبدالناصر وزكريا محيى الدين.

● **الرأى الأول** : دعوة مجلس النواب المنحل «وهو مجلس حزب الوفد» للانعقاد والمصادقة على قرار التنازل عن العرش، وعلى تشكيل مجلس الوصاية على العرش .

● **الرأى الثانى** : كان يرى عدم دستورية ما ذهب إليه أصحاب الرأى الأول، لأن الدستور الملكى لا يتضمن إمكانية تنازل الملك عن العرش، لكنه يتضمن حالتين وردتا به على سبيل الحصر، هما المرض والوفاة . كما أن دعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد سيترتب عليه بالضرورة عودة حكومة الوفد، وهو أمر مرفوض لدى أصحاب هذا الرأى، خاصة مستشارى الثورة: سليمان حافظ، والدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة حينذاك، واللذين يكنّان عداءً شديدا لحزب الوفد، لانتمائهما لحزب الأحرار الدستوريين .

واستقر الرأى داخل مجلس القيادة على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمعا لإبداء الرأى فى التصرف الدستورى السليم .

وأفتى قسم الرأى بمجلس الدولة بأغلبية تسعة أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان المنحل للانعقاد. وكان الصوت الواحد المعارض هو صوت الدكتور وحيد رأفت وكيل مجلس الدولة، والذى كان رأيه أن طرد الملك إلى خارج البلاد مساوٍ تماما لوفاته . أما باقى المستشارين فذهبوا إلى أن هذا وضع جديد يمكن على أساسه اعتبار مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية، وبالتالى فهو الذى يعين مجلس الوصاية نيابة عن مجلس النواب (أى نيابة عن شعب مصر) .

كان يوسف صديق من المؤيدين لدعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد، ورأى أن هذا هو مقتضى الدستور، فطرد الملك يتساوى مع حالة وفاته (كما رأى الدكتور وحيد رأفت)، كما أن اعتبار مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية يتعارض مع مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية) .. ذلك المبدأ الذى يعتبر حجر الزاوية فى الدولة القانونية الديمقراطية .

أما جمال عبدالناصر فإنه وافق فى أول الأمر على دعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد، لإقرار تنازل الملك عن العرش وتعيين مجلس وصاية على العرش، على أن يُحل المجلس بعد ذلك فورا، ويتم انتخاب مجلس جديد مستقبلا . ثم وجد أن ما ذهب إليه قسم الرأى بمجلس الدولة يحقق أهدافه بصورة أفضل، فهو لن يضطر إلى حلّ مجلس النواب ثم دعوة الناخبين لانتخاب مجلس جديد خلال ستين يوما وفقا لأحكام الدستور، فتراجع عبد الناصر عن رأيه وأيد ما ذهب إليه سليمان حافظ وفريقه .

كان تجاهل الدستور وعدم دعوة مجلس النواب للانعقاد بداية سير مجلس قيادة الثورة فى طريق الدكتاتورية. فبعد سلبهم لاختصاص السلطة التشريعية سنرى كيف انقضوا على السلطة القضائية، فسلبوا اختصاصها أيضا، وذلك بإنشاء المحاكم الاستثنائية، وإصدار قانون الطوارئ، وفرض الرقابة على الصحف، ومن ثم امتلأت المعتقلات بالوطنيين والأحرار .

وكان من فطنة يوسف صديق وبعد نظره أن استشعر نوايا واتجاهات مجلس قيادة الثورة لفرض دكتاتورية عسكرية، فتصدى لهم ولمخططاتهم .. انحيازا منه للشعب ولكافة القوى الديمقراطية فى البلاد .

فكان ذلك بداية الخلاف بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة .

ثانيا : التمسك بالدستور

عندما قامت الثورة، وبحسّه السياسى، أدرك يوسف صديق أنه لابد أن يكون للثورة منبر إعلامى (مجلة) يخاطب الجماهير ويبين لها أفكار ومبادئ الثورة واتجاهها فى شتى الأمور. وقام يوسف صديق بعرض فكرته على مجلس القيادة، فتمت الموافقة عليها، واقترح يوسف على المجلس أن يرأس تحرير هذه المجلة الضابط الحر أحمد حمروش، فوافق المجلس وكلف يوسف صديق بالإشراف على «مجلة التحرير»[٦٨]، والتى ضم مجلس تحريرها عددا من الشخصيات المعروفة. وقد كتب يوسف صديق للمجلة عدة مقالات قبل أن يتخذ قراره بالاستقالة من مجلس قيادة الثورة .

لاحظ يوسف صديق اتجاه أعضاء مجلس قيادة الثورة لتعطيل الدستور بمساعدة مستشارهم سليمان حافظ والدكتور السنهورى، وكان هدفهم من تعطيل الدستور هو الانفراد بالحكم بعد أن تخلصوا من البرلمان .

تصدى يوسف صديق بشدة لهذا الاتجاه الدكتاتورى، وخرجت «مجلة التحرير» وعلى غلافها صورة لجندى يحمل سلاحه، وقد كتب على الغلاف عبارة بالبنط الكبير تقول «نحن نحمى الدستور» .

ثار عبدالناصر ومجلس القيادة على «مجلة التحرير»، وشعروا بأن يوسف صديق يعرقل مساعيهم فى الانفراد بالسلطة، فأعفوا أحمد حمروش من رئاسة تحرير المجلة، وعينوا بدلا منه ثروت عكاشة، وسحبوا ضمنيا إشراف يوسف صديق على المجلة ، كما أن رئيس التحرير الجديد «ثروت عكاشة» سرعان ما غضبوا عليه، فلحق بسلفه .

وفى ١٠ ديسمبر عام ١٩٥٢ أعلن اللواء محمد نجيب أنه أصبح لزاما تغيير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد، والتى كان يساندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات. ومن ثم أعلن محمد نجيب - باسم الشعب - سقوط الدستور (دستور سنة ١٩٢٣).

---

(٦٨) راجع مذكرات خالد محيى الدين «والآن أتكلم»، ص ٢١٠.

ثالثا : قانون تنظيم الأحزاب

تقدم المستشار سليمان حافظ بمشروع قانون لتنظيم الأحزاب السياسية[٦٩]، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تصفية الأحزاب السياسية بصفة عامة، وحزب الوفد بصفة خاصة، حتى لا تكون هناك قوى معارضة لسياسة الحكام الجدد وانفرادهم بالسلطة. وقد شنَّ حزب الوفد حملة ضارية على هذا الاتجاه وعلى سليمان حافظ .

وعارض هذا المشروع يوسف صديق وخالد محيى الدين. وقد عارضه جمال عبدالناصر فى أول الأمر ومعه صديقه عبد الحكيم عامر، ثم بعد ذلك انقلبا موافقين عليه، وظل يوسف صديق وخالد محيى الدين يقفان بمفردهما فى وجه قطار الدكتاتورية القادم .

رابعا : إعدام العامليْن خميس والبقرى

خلال شهر أغسطس (يومى ١٣،١٢) عام ١٩٥٢، قام عمال شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار بمظاهرة احتجاج للمطالبة ببعض الحقوق العمَّالية، فتصدى لهم البوليس والجيش وأطلقا النار على المتظاهرين، مما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى من الطرفين[٧٠] .

وتصرف مجلس قيادة الثورة حيال الأمر تصرف حكومة عسكرية، وليس تصرفا سياسيا، فقرر الضرب بشدة على أيدى قيادات العمال عقابًا لهم وإرهابا لغيرهم. وشُكل مجلس عسكرى برئاسة البكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة وبعض الضباط، تطبيقا لقانون الطوارئ وسلطات الحاكم العسكرى العام (اللواء محمد نجيب). وعقدت المحكمة بنفس مكان المظاهرة بكفر الدوار .

وتجاهلت المحكمة الحقوق الأساسية للمتهمين فى توكيل محامين للدفاع عنهم، ووصل الاستخفاف بالقانون وحقوق الإنسان إلى قيام رئيس المحكمة بتكليف الصحفى

(٦٩) راجع مذكرات اللواء محمد نجيب «كلمتى للتاريخ»، ص ٥٥ .
راجع كتاب «قصة ثورة ٢٣ يوليو» ـ الجزء الأول: «مصر والعسكريون» ـ للأستاذ أحمد حمروش ، ص ٢٧٠ .
(٧٠) راجع المرجع السابق، ص ٢٨٦ .

موسى صبرى مندوب صحيفة الأخبار - فى الجلسة - بالدفاع عن المتهمين، بدعوى أنه يحمل شهادة ليسانس الحقوق .

وأصدرت المحكمة حكمها بإعدام العاملين مصطفى خميس، ومحمد حسن البقرى، وصدرت أحكام بالسجن على بقية المتهمين، الذين كان من بينهم صبى فى الثامنة عشرة من عمره .

ولكى ينفذ حكم الإعدام كان لابد أن يصادق مجلس الثورة بالإجماع على الحكم، وفقا لقانون الأحكام العسكرية. ولكن لم تتم الموافقة بالإجماع، حيث اعترض على الحكم كل من يوسف صديق وجمال عبدالناصر وخالد محيى الدين. وبالرغم من ذلك نفذوا حكم الإعدام فى مصطفى خميس ومحمد البقرى، ضاربين عرض الحائط بقانون الأحكام العسكرية .

وأصدر حزب الوفد بيانا يستنكر فيه تصرفات عمال كفر الدوار. أما الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو» التى كانت تؤيد الثورة منذ أن كانت تنظيما سريا للضباط الأحرار، فقد وجدت نفسها فى موقف لا تحسد عليه، فهى تؤيد النظام الذى يقوم بإعدام العمال الذين من المفروض أنها تدافع عن مصالحهم .. مما جعل كثيرا من أنصارها يتركونها إلى الحزب الشيوعى المصرى الذى كان يرى أن حركة الجيش ذات اتجاه فاشى .

خامسا : الحريات

اتجه النظام الجديد إلى القضاء على أية معارضة تقف فى طريقه، فأخذ يعتقل الزعماء السياسيين دون اتهام، ويفرض الرقابة على الصحف. وكان من الطبيعى أيضا أن يقاوم يوسف صديق هذا الاتجاه، ويرفض الاعتقالات العشوائية للسياسيين بدون اتهام وبدون تحقيقات جدية، كما طالب برفع الرقابة على الصحف وإعطاء الفرص لكل من يريد أن يعبر عن رأيه فى سياسة البلاد، والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين .



يوسف صديق أثناء إلقاء خطابه فى بنى سويف الذى أعلن فيه أن الثورة «لا شرقية ولا غربية» مما أغضب السفير الأمريكى.

سادسا : الحياد

خلال عام ١٩٥٢ قام يوسف صديق بجولة فى بعض المحافظات، صحبه فيها عبدالعزيز على وزير الشئون البلدية وفتحى رضوان وزير الإرشاد القومى. وقد خطب يوسف صديق فى بنى سويف، وقال إن الحركة لا شرقية ولا غربية، فصدر قرار من مجلس قيادة الثورة بمنع إذاعة تسجيل الخطبة، لأن تصريح يوسف صديق قد أغضب السفارة الأمريكية. وصرح جمال عبدالناصر للسفير الأمريكى بأن هذا رأى يوسف صديق الشخصى ولا يعبر عن رأى المجلس(٧١)، وقد أدى ذلك إلى زيادة شقة الخلاف بين يوسف صديق وزملائه.

(٧١) راجع كتاب «حقيقة ثورة يوليو»، للكاتب الإنجليزى جول جوردون ـ الناشر: الدار العالمية للكتب والنشر ـ ترجمة عادل عبدالصبور، ص ١٩٢ ، حيث يقول : «ولقد جعلت نخبة الثورة سفارة الولايات المتحدة على علم بالتطورات أولا بأول ، حيث تم إبلاغ كامفرى بإلغاء الدستور وخلع يوسف صديق ...» .

وأصدر عبدالناصر تعليماته للصحافة بعدم نشر اسم يوسف صديق أو صور له[٧٢].

هكذا كانت التناقضات تنمو يوما بعد يوم بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة. حتى محمد نجيب لم يتخذ موقفا واضحا، بل سلك مسلكا نفعيا محضا؛ إذ حاول الاستفادة الشخصية من التناقضات الموجودة داخل المجلس بين يوسف صديق وخالد محيى الدين من جهة، وباقى أعضاء مجلس القيادة من جهة أخرى، فكان يمالئ مجلس القيادة بأن يداعب يوسف صديق ويناديه بالرفيق يوسف ستالين. وذات مرة كان يوسف يزور محمد نجيب بمنزله، فاشتكى له نجيب من بعض أعضاء مجلس القيادة شكوى مرة، فقال له يوسف: أنت رئيس المجلس وتشتكى لى؟ ماذا تريد منى؟ هل تريد منى أن أعتقلهم؟. وانتهى الحديث وانصرف يوسف إلى منزله، وقام نجيب على الفور بدعوة مجلس القيادة إلى الانعقاد بدعوى أنه يحذرهم من أن يوسف صديق سيعتقل فلانا وفلانا من أعضاء مجلس الثورة. والغريب أن نجيب تصرف نفس التصرف مع خالد محيى الدين[٧٣] .

---

(٧٢) راجع مجلة صباح الخير فى العدد ١٤٩٢ ـ بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ ـ حديث مع الأستاذ «حلمى سلام» ص ٢٣، ٢٤، تحت عنوان «أسرار الثورة أعطاها لى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر»، حيث يقول : «... وأذكر أننى بعد فترة قصيرة من قيام الثورة أقنعت جمال عبدالناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة الثورة، ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور ، وافق عبدالناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال . وتم تصوير أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وأعدت الصورة الهدية. وذات مساء ـ قبل نزول المصور إلى الشارع بيوم واحد ـ اتصل بى جمال قائلا : يا حلمى الغى فكرة الصورة الهدية. وقلت بدهشة : لكن إحنا طبعناها فعلا وجاهزة للتوزيع مع المصور غدا!

فرد بحدة : لا .... ألغى الهدية وتعال حالا عندى هنا .

أصدرت أمرا إلى المسئولين بدار الهلال بعدم توزيع الصورة مع المجلة . وذهبت فى الحال إلى جمال عبد الناصر . وشرح لى الأسباب التى دفعته إلى إلغاء الصورة الجماعية قائلا : ما تتضايقش يا حلمى .. لأن فيه اتنين من الذين يظهرون فى هذه الصورة وسيراهم الناس غدا ، سوف يختفون بعد فترة .. وأنا لا أريد الناس أن ترانا اليوم ١٥ شخصا وبعد فترة يجدوننا وقد نقصنا اثنين .

وسألته عن الاسمين فقال : يوسف صديق، وعبد المنعم أمين» .

(٧٣) راجع مذكرات خالد محيى الدين «والآن أتكلم»، ص ٢١٣ ، حيث يقول : «والحقيقة أننى فى هذه الفترة كنت أقف وحدى تماما ، حتى محمد نجيب كان يقف معهم ضد أى توجه ديمقراطى ، وضدى شخصيا. وبينما كان الجو متوترا ، زاده نجيب توترا بأن جاء إلى «مجلس القيادة»، وقال إن أحد الضباط قال له إن خالد وثروت عكاشة غير راضيين عن هيمنة جمال عبدالناصر على المجلس . وبعدها حاول نجيب أن يبرر لى تصرفه بأنه خشى أن يكون هذا الضابط مدسوسا عليه من عبد الناصر ليتعرف على رد فعله ، وأنه طرح الأمر ليبرئ نفسه .

وبدأ الزملاء يستشعرون حالة من التوجس إزائى ، وبدأوا يلحون على حسين شافعى بأن يتيقظ لما يجرى فى سلاح الفرسان» .

لقد كان محمد نجيب يتصرف بأسلوب يدفع بالمجلس نحو الدكتاتورية، معتقدا أنه سيستفيد من ذلك بصفته رئيس المجلس، وأنه سيستطيع أخيرا أن يستخلص السلطة والحكم لنفسه[٧٤] .

سابعا : اعتقال الضباط الأحرار بسلاح المدفعية

ثار فريق من الضباط الأحرار بسلاح المدفعية يتزعمهم اليوزباشى محسن عبدالخالق على الاتجاه الدكتاتورى للمجلس[٧٥]، وعلى تصرفات بعض أعضاء مجلس القيادة، وطالبوا بأن يكون تمثيل الضباط داخل مجلس قيادة الثورة بالانتخاب . وأيد يوسف صديق مطالبهم على أساس أن مجلس قيادة الثورة لم يكن مجلسا منتخبا من الشعب أو من الجيش. وهاج أعضاء مجلس القيادة وشعروا بأن كراسى الحكم تهتز من تحتهم، وثار عبد الناصر وسأل يوسف صديق: هل تضمن نجاحك فى الانتخابات؟ فرد عليه يوسف قائلا : إن هذا لا يهم وإنما المهم هو شرعية وجودى ووجودك فى المجلس.

وقام مجلس القيادة يوم ١٥ يناير عام ١٩٥٣ باعتقال ضباط المدفعية (٣٥ ضابطا)، وكان من بينهم القائمقام رشاد مهنا والضابط الحر أحمد حمروش، وتم إيداعهم سجن الأجانب بملابسهم العسكرية ـ بالمخالفة للأعراف والتقاليد العسكرية، ودون تحقيق أو محاكمة.

لقد كان يوم ١٥ يناير عام ١٩٥٣ نقطة تحول خطيرة فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى؛ إذ أودع الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين فى سجن الأجانب .

وثار يوسف صديق على هذا الإجراء الذى يضرب عرض الحائط بتقاليد الجيش المصرى، والذى اتخذ ضد ضباط أحرار شرفاء وطنيين .

---

(٧٤) راجع خالد محيى الدين، المرجع السابق ص ٢١٣، حيث يقول : «ويمكننى أن أقول بضمير مرتاح إن محمد نجيب كان فى هذه الفترة من أكبر المتحمسين لانفراد مجلس الثورة بالسلطة ، كل السلطة ، وكانت هذه وجهة نظر العديد من الضباط ، لكن نجيب يتحمل مسئولية كبرى .. فقد كان يدفع الأمور دفعا فى هذا الاتجاه، مستندا إلى موقعه كرئيس لمجلس قيادة الثورة» .

(٧٥) راجع ذكريات يوسف صديق بمجلة روز اليوسف ـ العدد ١٣٤٦ ـ بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤ ، ص ٨ .
راجع كتاب «قصة ثورة ٢٣ يوليو» ـ الجزء الأول مصر والعسكريون، ص ٣١٠، للأستاذ أحمد حمروش .

وقدم يوسف استقالته من مجلس قيادة الثورة للرئيس محمد نجيب رئيس المجلس[٧٦]، وأصر عليها، وذلك بالرغم من كل المحاولات التى بذلت معه لإثنائه عنها. وكان قد كتب فى خطاب استقالته مخاطبا محمد نجيب :

«لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بينى وبينك من حب صادق، ولا أقبل أن أهدم مصر على يديك لما بينى وبينها من عهد قديم» .

وامتنع يوسف صديق عن حضور جلسات مجلس قيادة الثورة، كما امتنع عن التوجه إلى اللواء السابع مشاة الذى كان قائدا له منذ قيام الثورة .

إن استقالة يوسف صديق يوم ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ بعد أن أعلن محمد نجيب فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢سقوط الدستور، وبعد أن قام مجلس الثورة بضرب تقاليد الجيش المصرى باعتقال الضباط وإيداعهم سجن الأجانب برتبهم وملابسهم العسكرية، إن ذلك يوضح أن يوسف صديق كان بطلا ديمقراطيا انحاز لحق الشعب فى الحرية والديمقراطية، ولحق الجيش المصرى فى صيانة تقاليده العسكرية .

ولم يعلن مجلس الثورة نبأ استقالة يوسف صديق خوفا من أى ردود أفعال محتملة، واحتفظوا بأمر الاستقالة سرا .

ثامنا : الكفاح المسلح ضد الإنجليز

كان يوسف صديق يؤمن دائما بأن جلاء المستعمر عن مصر لن يكون إلا بالكفاح المسلح؛ إذ يقول فى قصيدة له عام ١٩٤٦ فى الاحتفال بيوم الجيش[٧٧]:

ضعوا الأقلام وامتشقوا الحساما

فربُّ السيف قد حمل الوساما

(٧٦) راجع مذكرات محمد نجيب «كلمتى للتاريخ»، ص ٥٩ .
راجع مجلة أكتوبر ـ العدد ٨٢٥ ـ بتاريخ ١٦ أغسطس عام ١٩٩٢، مقال للواء حماد فى ذكرى مرور ٤٠ عاما على ثورة يوليو تحت عنوان «كيف تخلص مجلس الثورة من يوسف صديق وعبد المنعم أمين».

(٧٧) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٨٢ .

وقولوا للـذى يرجـو خلاصـا

بتنميق الكـلام : كفى كلامـا

هى الدنيـا صـراع لا اقتنـاعُ

بغيـر الجيش لن نحيـا كرامـا

وبعـد ذلك بحـوالى سـبع سنوات فى مـارس عـام ١٩٥٣ أثناء وجـوده بـالمنفى فى سويسرا، يقول فى قصيدة بعنوان «من الجنة»[٧٨]:

إن الجـلاء الـذى تبغينـه أربٌ

يُنال بالسيف لا يرجى مـن الدولِ

فـلاَ يَغُـرَّنْـكِ وعـدٌ لا وفـاء لـه

كم فى خصومكِ من لؤمٍ ومن مَطَلِ

لذلك لم يكن غريبا أن ينادى يوسف صديق منذ قيام الثورة بالكفاح المسلح ضد الإنجليز .. حتى يقض مضاجعهم ويرغمهم على الجلاء. كان يناقش هذا الموضوع دائما داخل مجلس الثورة وخارجه، ويدعو القوى السياسية المصرية (الوفديين والشيوعيين والإخوان المسلمين، والقوى الوطنية المستقلة) للتضامن من أجل تحرير الوطن بالكفاح المسلح .

وفى حوالى شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ كان يوسف مدعوا للغداء بمنزل الصاغ صلاح عبدالحفيظ ـ وهو بلدياتنا من بنى سويف ـ وكان موجودا الصاغ حسن الدسوقى، وتصادف وجود السيد عبد الحفيظ الصيفى الذى كان عضوا بارزا بالإخوان المسلمين. ودار الحديث حول الكفاح المسلح، فأبدى عبد الحفيظ الصيفى تأييده للفكرة واقتناعه بها، ووعده بعرضها على المرشد العام للجماعة .

وبعد ذلك بأيام تم لقاء بين يوسف ونفس المجموعة والمرشد العام للإخوان المسلمين، حيث أبدى المرشد العام موافقته على التعاون مع كافة الأحزاب السياسية بمن فيهم الشيوعيون للكفاح المسلح ضد الإنجليز .

(٧٨) المرجع السابق، ص ٤٥ .

وأبلغ عبدالحفيظ الصيفى الصاغ صلاح عبدالحفيظ بأن المرشد العام قد فوض كلا من حسن عشماوى وصالح أبو رقيق وصلاح شادى، ومنير دله وعبدالحفيظ الصيفى فى التنسيق مع مجموعة يوسف صديق (حسن الدسوقى وصلاح عبد الحفيظ) والأحزاب السياسية الأخرى حول فكرة الكفاح المسلح ضد الإنجليز. وتم لقاء بينهم وبين يوسف صديق، وفى تلك الجلسة أبلغوا يوسف بأن جمال عبد الناصر اتصل بهم وأبلغهم بأنه يرحب بالتعاون معهم فى مجلس القيادة، لكن هناك معارضة من الشيوعيِّيْن يوسف صديق وخالد محيى الدين، وقد نفى يوسف صديق فى تلك الجلسة ما ادعاه عبدالناصر .

وفى اليوم التالى توجه عشماوى وصلاح شادى إلى جمال عبدالناصر وأبلغاه بما دار بينهم وبين يوسف صديق، خاصة تكذيب يوسف لما ادعاه عبدالناصر ضده وضد خالد محيى الدين .

وفى حوالى شهر يناير عام ١٩٥٣ كان طلاب الجامعة يحتفلون بذكرى شهداء الكفاح المسلح فى القناة. وكانت قد تكونت لجنة من الطلبة تضم الشيوعيين والإخوان المسلمين والوفديين، وأعلن فى هذا الاحتفال تكوين جبهة من القوى الثلاث. لكنّ عناصر تنتمى للسلطة حاولت فض المؤتمر بالقوة، فتصدى لهم الطلبة وأرغموهم على الفرار .

وفى مساء نفس اليوم حضر عبد الحكيم عامر إلى منزلنا بثكنات الجيش بالعباسية، ونسب إلى يوسف صديق تدبيره أحداث الجامعة، فأنكر يوسف ذلك واتهمهم باستفزاز الطلبة والاعتداء عليهم .

وفى اليوم التالى لإيداع مجموعة من ضباط سلاح المدفعية فى سجن الأجانب (يومى ١٤، ١٥ يناير سنة ١٩٥٣) ومعهم بعض ضباط يوسف صديق (منهم حسن الدسوقى) اجتمع مجلس القيادة، فهاجم يوسف صديق إجراء القبض على الضباط وأكد تأييده لما ينادون به، ووصف مجلس القيادة بعدم الشرعية، فهو مجلس غير منتخب لا من الشعب ولا من الجيش، وقدم استقالته من المجلس كما سبق ذكره، مما نتج عنه توقف أعمال لجنة الكفاح المسلح ضد الإنجليز .

الفصل السادس

الإبعــاد والنفـى

إبعاد يوسف صديق إلى أسوان

بعد أيام قلائل من تقديمه لاستقالته، اصطحبنا يوسف (أنا وطفلينا حسين ونعمت) إلى قريتنا «زاوية المصلوب»، ولعله أراد بذلك أن يتخلص من المحاولات التى كانت تبذل معه للعدول عن استقالته. وكان يوسف إزاء تلك المحاولات قد أصر على استقالته من مجلس الثورة، وأبدى استعداده للاستمرار كضابط فى الجيش، لكن مجلس الثورة لم يوافق على ذلك خوفا من أن يطالب ضباط الجيش والشعب بأن يقدّم باقى أعضاء المجلس استقالاتهم ويعودوا إلى ثكناتهم .

أقمنا حوالى أسبوع فى قريتنا، وذات صباح فوجئنا بأربعة زائرين: الصاغ وحيد جودة رمضان، اليوزباشى عبد المجيد شديد، اليوزباشى محمد السقا، وضابط آخر لا أعرفه. استقبلهم يوسف صديق بترحاب شديد، فقد كان يحب الضباط بصفة عامة وضباط كتيبته بصفة خاصة. جلسوا بحجرة الصالون وأخذوا يتكلمون، لكنى لم أجلس معهم بالرغم من معرفتى الوطيدة بهم قبل الثورة ومن أيام خلية العريش. وبعد فترة خرج يوسف من حجرة الصالون لسبب ما، التقت عيوننا .. ففهمت من نظرته أن هناك أمرا مهما. تبعته إلى إحدى الحجرات الجانبية، ولما سألته عن الأمر، أجابنى بصوت خفيض بأنهم حضروا كى يدعوه إلى العشاء عند الصاغ صلاح زعزوع فى مدينة بنى سويف (وهو من الضباط الأحرار ومن أبناء مديرية بنى سويف). واستطرد يوسف

قـائلا : «وبعـد العـشـاء سنسـتـقل القطار إلى مـدينة أسـوان لبـضـعـة أيام للراحـة والاستجمام، حيث إن الأعصاب متوترة والنفوس ثائرة».

وطلب منى يوسف أن أصطحب طفلينا «حسين ونعمت»، وأن أتوجـه إلى محطة القطار (محطة الواسطى) وأستقل القطار المتجه إلى أسوان، وأن هذا القطار سيصل محطة أسوان قبل القطار الذى سيستقله هو والضباط من مدينة بنى سويف. وأضاف أنه يريد أن ينزل من القطـار فيجدنى أمامه أنا وحسين ونعمت .

وغادر يوسف المنزل مع ضباطه، وطبعا لم يكونوا يعلمون شيئا مما اتفقنا عليه.

اصطحبت طفلينا وتوجهت إلى محطة قطار مركز الواسطى، وركبنا القطار المتجه إلى أسوان. كانت الساعة نحو الرابعة عصرا، وكانت إمكانياتنا المالية لا تسمح لنا إلا بالركوب فى الدرجة الثالثة. وبعد رحلة شاقة أرهقتنى أنا والطفلين أشد الإرهاق - سواء بسبب عدم الراحة أو عدم نظافة المكان، أو وقوف القطار بجميع المحطات بلا استثناء، علاوة على نظرات الطفلين المرهقيْن الجائعين - وصلنا فى حوالى العاشرة من صباح اليوم التالى إلى محطة قطار مدينة أسوان . أمسكت طفلىّ المرهقين بيدىّ وجلسنا على إحدى الآرائك الخشبية المتناثرة على رصيف المحطة .

انتظرنا وصول يوسف برفقة حراسه - أسفة، أقصد ضباطه - فى القطار التالى، ووجدتنى رغما عنى أستعيد شريط ذكرياتنا ... كفاحنا ضد النظام الملكى الفاسد .. ولجنة شبرا النسائية للمقاومة الشعبية .. وتنظيم الضباط الأحرار .. واجتماعات التنظيم بالعريش .. والمنشورات التى كنت أحملها فى حقيبتى معرضة نفسى للخطر من أجل الثورة. يوسف صديق .. ذلك البطل الجسور الذى خرج ليلة الثورة وصدره ينزف دما، ليحقق بشجاعته النصر للثورة وللضباط الأحرار وينقذهم من أعواد المشانق التى كانت تنتظرهم .. ها هو يوسف صديق يجنى جزاء «سنمار»، ويُبعد ألف كيلو متر عن القاهره .. إلى أسوان، وضباطه حراس عليه، يا لمرارة المأساة !!

.. بطل الثورة تحت الحراسة فى أسوان!! والذين هربوا ليلة الثورة جالسون على مقاعد الحكم يحيطون الشعب الأعزل بالبنادق والدبابات .

وبالرغم من مرارة المأساة وجدتنى ابتسم، فقد تخيلت ضباط عبدالناصر عندما يصلون مع يوسف ويفاجأون بى واقفة فى انتظاره على محطة أسوان، وفشل خطتهم فى استدراج يوسف بعيدا عنى إلى مدينة بنى سويف ومنها إلى أسوان .

تصورت دهشتهم من المفاجأة .. ابتسمت وقلت فى نفسى «الأيام بيننا». وبعد نحو ساعة كان القطار «الديزل» الذى يقل يوسف صديق وضباطه قد وصل إلى محطة أسوان. نزل منه يوسف مع رفقاء السلاح: الصاغ وحيد جودة رمضان، واليوزباشى عبدالمجيد شديد، واليوزباشى محمد السقا. وكما توقعت، ما إن شاهدونى حتى ظهرت عليهم الحيرة الشديدة، كأنهم يسألون أنفسهم: كيف وصلت ؟ ومتى ؟.

أخذتهم المفاجأة حتى إنهم لم يجدوا كلمة ينطقون بها. كان وجه يوسف صديق جامدا صامتا لا يعبر عن أى شىء، كما لو أن ما حدث كان شيئا طبيعيا يحدث كل يوم .

اتجهنا إلى سيارة ملاكى كانت فى انتظارنا. السيارة بالطبع لا تسعنا جميعا، فاضطروا إلى استخدام سيارة أخرى .. تقدمتنا حتى وصلنا إلى الاستراحة الحكومية التى كان قد تم حجزها من قبل، والتى رُوعى أن تسع يوسف وضباطه، فكانت مكونة من حجرتين: حجرة ليوسف، والأخرى للضباط، فلما جئت أنا وطفلانا أخبرهم يوسف بأن عليهم أن يبحثوا لهم عن مكان آخر لإقامتهم .. فالاستراحة تسع أسرته فقط. انتابهم الخوف من البعد عن سجينهم فخرجوا مهرولين، وعادوا بعد الظهر وقد أعدوا استراحة أخرى كبيرة، ربما تابعة لوزارة الرى، وكانت مكونة من عدة حجرات ومجهزة جيدا وبها طباخ لإعداد الطعام .

وانتقلنا إلى المعتقل الجديد ـ أقصد الاستراحة الجديدة ـ صباح اليوم التالى، حتى نكون تحت بصر حراسنا كتعليمات عبدالناصر . لقد أصبح ضباط يوسف صديق ضباطا عليه، ولكن إحقاقا للحق فإنهم بالرغم من كل شىء كانوا يكنّون حبا وتقديرا عظيما لقائدهم يوسف صديق. كان حالهم كحال أهل العراق نحو الحسن بن على بن أبى طالب أثناء مذبحة كربلاء: قلوبهم معه وسيوفهم عليه .

وعلمنا أنه فى فجر اليوم التالى لسفرنا إلى أسوان، توجه البوليس إلى قريتنا وألقوا القبض على شقيقى محمود توفيق زوج سهير ابنة يوسف صديق من زوجته الأولى ..

ولعل ذلك كان أحد إجراءات مجلس قيادة الثورة للضغط على يوسف، كما تم القبض على ابن خالى يوسف كمال .

ومن الطرائف الهزلية أنه بعد مرور سنوات كثيرة - فى الستينيات - فوجئنا بخطاب وارد إلينا من الجهة الحكومية التى تتبعها استراحة أسوان، تطالبنا بأجر إقامتنا فى الاستراحة نحن والضباط. فأرسل يوسف هذه المطالبة إلى جمال عبدالناصر بعد أن كتب له عليها: «منذ متى يدفع المعتقلون أجر إقامتهم فى المعتقل؟ أنت أولى منى بذلك».

ومرت أيام وبدأ يوسف يشعر بالملل، وعندما كان يسأل عن موعد عودتنا إلى القاهرة، كان أحد الضباط يخرج ويعود بعد فترة قائلا إنه اتصل بالقاهرة وأبلغوه بأن العودة ستكون بعد أسبوع، وتنقضى الأيام وتتكرر نفس الأكذوبة .

اتصل يوسف صديق تليفونيا بجمال عبدالناصر، وأبلغه بتصميمه على الاستقالة من المجلس، وبالتالى فلا مبرر لبقائنا فى أسوان[٧٩].

وانتهت إجازة نصف العام الدراسى، وأصبح من الضرورى أن أعود إلى القاهرة كى يستأنف حسين دراسته. وحضرت السيدة سهير ابنة يوسف صديق لكى تشرف على رعاية والدها، فعدت أنا وحسين ونعمت إلى منزلنا بثكنات الجيش بالعباسية، وأستأنف حسين الدراسة .

وبعد ذلك بحوالى أسبوعين عاد يوسف من أسوان إلى منزله الآخر بحلمية الزيتون. وبعد فترة وجيزة - فى شهر مارس عام ١٩٥٣ - زاره الصديقان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وعرضا عليه السفر إلى سويسرا للاستجمام لمدة ثلاثة شهور[٨٠]، وحتى يهدأ التوتر داخل الجيش، يعود بعدها للعمل فى صفوف القوات المسلحة حسب رغبته. فوافق يوسف كى لا تصطدم أسلحة الجيش ببعضها البعض، ويستغل الإنجليز الموجودون فى القناة الموقف ويزحفون إلى القاهرة ويضربون الثورة ويعيدون فاروق إلى عرش مصر. وخلال زيارة عبد الناصر وعبد الحكيم ليوسف بمنزله بحلمية الزيتون التقطت لهم مجموعة من الصور التذكارية .

(٧٩) راجع مجلة روزاليوسف - العدد ١٣٤٦ - بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤، ص٨.
(٨٠) راجع المرجع السابق.



عبدالناصر وعبدالحكيم عامر يودعان يوسف صديق أمام منزله بحلمية الزيتون قبل نفيه.

وقبل أن يسافر يوسف إلى منفاه بسويسرا، أقام له الضباط حفلا بنادى ضباط الجيش. وانتهز يوسف فرصة الحفل ليرد على الشائعات التى كانوا يطلقونها لتهميش دوره، ودور كتيبته (الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة) ليلة الثورة، بادعاء أن الكتيبة ١٣ مشاة هى التى اقتحمت القيادة العامة ليلة الثورة، فقال يوسف صديق : إن من يروجون هذه الشائعات لن يستطيعوا أن يسلبوا يوسف صديق المجد والنصر الذى حققه ليلة الثورة، لأن كلتا الكتيبتين: مدافع ماكينة، و١٣ مشاة يتبعان يوسف صديق. فكتيبة مدافع ماكينة كان يوسف صديق قائد مقدمتها التى نفذت اقتحام القيادة ليلة ٢٣ يوليو، والكتيبة ١٣ مشاة كانت تتبع يوسف صديق فى تنظيم الضباط الأحرار منذ الخدمة العسكرية بالعريش . فكلتا الكتيبتين تتبعان يوسف صديق .

يوسف صديق فى المنفى

سافر يوسف صديق - بمفرده - فى شهر مارس عام ١٩٥٣ إلى منفاه بمدينة «لوزان» بسويسرا، وأقام بها عدة شهور عانى فيها الاغتراب وجحود الرفاق مما جعل

حالته الصحية تسوء برغم أنه فى بلد من أجمل بلاد العالم. وهناك كتب قصيدته «من الجنة»[٨١]، التى تحدث فيها عن دوره فى الثورة، وسلوك رفاقه معه، والقبض على ضباطه ونفيه إلى سويسرا.

وكالعادة كلما اتصل يوسف بجمال عبد الناصر مستفسرا عن موعد عودته إلى مصر، كان جمال يُماطله، فغادر يوسف سويسرا متجها إلى لبنان مرورا بإيطاليا لقضاء عدة أيام .

وأقام يوسف بالجنوب اللبنانى فى بلدة من أجمل ما خلق الله سبحانه وتعالى تسمى « بكفية». وكان يرسل لى أحيانا أخباره مع بعض من يثق بهم .

وذات مرة أرسل لى يخبرنى بأن الضابط الحر الصاغ جمال حمَّاد الملحق العسكرى بسفارتنا فى سوريا والمسئول أيضا عن لبنان، اقترح عليه الموافقة على أن يكون سفيرا لمصر فى سوريا ولبنان، لكن يوسف لم يبد اهتماما بالاقتراح سواء كان صادرا عن باعث شخصى لجمال حماد، أو كان مكلفا بجس نبضه .

وبعد عدة أيام اتصل بى تليفونيا الصاغ وحيد جودة رمضان ليطمئن علينا، ثم فاجأنى بقوله: «مبروك حتبقى سيدة لبنان الأولى».

استشعرت أنه يتكلم على مسمع من عبد الناصر، وأنهما يريدان الوقوف على رأيى أو رد فعلى بالنسبة لهذا الموضوع . أجبته قائلة: «هل قررتم أن تزوجونى لكميل شمعون»[٨٢]؟!

ضحك الصاغ وحيد رمضان، وأنهى المكالمة .

الفـــــخ

بعد عدة أيام فوجئت فى حوالى الساعة الثامنة صباحا برنين التليفون .. رفعت السماعة لأردَّ على المتحدث، فإذا به بلا مقدمات يقول :«البقية فى حياتك .. يوسف صديق مات»، وأغلق الخط على الفور دون أن يعطينى فرصة لأية أسئلة .

(٨١) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، ص ٤٠، قصيدة «من الجنة».
(٨٢) كميل شمعون هو رئيس جمهورية لبنان حينذاك .


فى المنفى فى سويسرا.

أخذتنى المفاجأة وتملكتنى الوساوس، وبدأت أفكر هل مات أم اغتيل؟ .. فكل شىء وارد فى تاريخ الثورات والانقلابات .

حاولت أن أتماسك بقدر المستطاع حتى أقوى على التفكير وأتصرف بشكل سليم .

اتصلت بعبد الناصر تليفونيا فى منزله، فردت علىَّ زوجته، ولما سألتها عن جمال، ردت علىَّ قائلة :

ـ جمال فى الإسكندرية ..إنتى ما بتقريش جرايد؟

رددت عليها قائلة :

ـ لا .. جوزك منبِّه علىَّ أبعد عن السياسة .

ـ فردَّت زوجة جمال قائلة :

وهىَّ الجرايد سياسة ؟!

رددت عليها بقولى :

- جوزك بيقول كده.

وانتهى الحديث بيننا على هذا النحو .

اتصلت بعبد الناصر فى مكتبه، فأخبرنى أحد الضباط أنه فى الإسكندرية. أبلغت الضابط فحوى المكالمة التليفونية التى تلقيتها، وطلبت منه إبلاغ ذلك لجمال عبدالناصر بأقصى سرعة ممكنة وأنا فى انتظار تأكيد أو نفى هذا الخبر .

الوقت يمر وكل دقيقة كأنها دهر من الزمان، ولم يتصل بى أحد من مكتب عبدالناصر ليطمئننى .

وأثناء تفكيرى فى تلك المكالمة المريبة خطر على بالى خاطر غريب، لماذا لا يكون جهاز مخابرات عبد الناصر هو صاحب هذه المكالمة التليفونية بهدف دفعى إلى طلب السفر إلى يوسف للاطمئنان عليه؟! وبهذا يكونون قد ضربوا عصفورين بحجر واحد: الأول أن يتخلصوا من إلحاح يوسف صديق بطلب العودة إلى مصر، فهاهى أسرته ذهبت إليه وسينشغل بأسرته فترة من الوقت لا بأس بها. والثانى أن يتخلصوا منى بسفرى إلى لبنان فلا أبقى فى مصر أتحرك هنا وهناك، وأتكلم مع هذا وذاك لكى تظل قضية يوسف صديق حية ساخنة فى أذهان الجيش والشعب .

وأخيرًا بعد عدة ساعات سمعت رنين التليفون، رفعت السماعة فإذا بالمتحدث الصاغ وحيد رمضان، وإذ به يسألنى عن صحة الحديث الذى دار بينى وبين زوجة عبدالناصر، فأكدت له حدوثه، وانقطع الاتصال التليفونى فورا. أدركت أن عبدالناصر كان يسمع الحديث من سماعة أخرى، وعندما تأكد مما يريد وهو ما قلته لزوجته، أغلق الخط، ودون أن يعطى الصاغ وحيد فرصة إنهاء المكالمة بالشكل اللائق .

وبعد فترة قصيرة اتصل بى اليوزباشى محمد السقا تليفونيا، ونفى لى تماما خبر موت يوسف صديق، وقال إن الأمر مجرد إشاعة. وبعد تفكير سريع قررت أن أبلع الطعم الذى ألقاه لى عبدالناصر، أو أدخل الفخ الذى نصبه لى وليوسف صديق. طلبت من محمد السقا نقل رغبتى فى السفر أنا وأولادى إلى لبنان للاطمئنان بنفسى على زوجى .

وفى صباح اليوم التالى حضر اليوزباشى السقا ليخبرنى بموافقة عبدالناصر على طلبى، وأضاف أن السفر بالبحر متعة كبيرة، ولكننى أفهمته بأننى لا أحب سفر البحر، وأفضل السفر بالطائرة .

وانصرف محمد السقا على أن يعود بعد قليل ومعه مصور فوتوغرافى لالتقاط صور لى وللأولاد (حسين ونعمت) لاستخراج جوازات السفر لنا جميعا .

ووصلت إلى سمعى شائعة تقول إنهم (مجلس الثورة) ينوون نفى يوسف صديق إلى الهند، أو تعيينه سفيرا لمصر فى الهند. وكانت الأوبئة والأمراض منتشرة بالهند فى ذلك الوقت. أدركت أنهم يريدون إبعاد يوسف إلى هناك، فقد تصيبه بعض أمراض الهند ويموت هناك فيتخلصوا منه نهائيا. وذكرنى هذا بأيام الملك فاروق عندما نقلوا يوسف فى الأربعينيات إلى الإسماعيلية وقت أن كان وباء الكوليرا يجتاح منطقة القنال، لعل وباء الكوليرا يخلصهم منه .

وجعلتنى الشائعات التى سمعتها والتى تهدف إلى تكريس إبعاد يوسف صديق عن مصر بنفيه إلى لبنان أو الهند، أو تعيينه سفيرا فى أى منهما، أصمم على تنفيذ خطتى التى كانت ببساطة شديدة تتمثل فى ضرورة عودة يوسف إلى مصر برغم أنف الجميع. ولمعرفتى بيوسف قدرت أنه سيرحب بالفكرة تماما.

أحضر لى اليوزباشى محمد السقا جواز سفرى أنا وطفلىَّ حسين ونعمت يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٣[٨٣]، وعندما تصفحته لاحظت أنه صالح للسفر إلى لبنان فقط. اتفقت معه على أن يكون السفر يوم أول أغسطس، أى بعد خمسة أيام، أكون خلالها قد أعددت نفسى وطفلىَّ للسفر .

وفى مساء اليوم السابق على السفر أى يوم ٣١ يوليو، بدأت فى إعداد حقيبة السفر.. حقيبة واحدة فقط. وضعت البدلة العسكرية الخاصة بيوسف صديق وجميع لوازمها من رتب وشارات وكاب وغير ذلك فى أسفل الحقيبة، ثم كدست فوقها ملابسنا ومتعلقاتنا. وكنت على يقين من أن بعض الضباط سيحضرون لتوصيلنا، مما يعفينا من

(٨٣) جواز سفر رقم ٥٣/٢٤٣٤ صادر عن المملكة المصرية - وزارة الداخلية - إدارة جوازات السفر، بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٣ من القاهرة باسم تهانى محمد توفيق (اسمى الرسمى).

تفتيش الحقيبة بجمرك مطار القاهرة، وقد حدث ما توقعت. ففي صباح اليوم الأول من أغسطس حضر اليوزباشي محمد السقا لاصطحابنا إلى مطار القاهرة، وفي الجمرك سألني الموظف المختص: هل معك مجوهرات ؟

رددت عليه ضاحكة: إطلاقا.

وضحك اليوزباشي محمد السقا أيضا فهو يعلم أننا لا نملك سوى راتبنا . ومررت من الجمرك دون فتح الحقيبة .

وكان في وداعي بالمطار شقيقتي «خيرية»، وشقيقتي «سعاد» وابنها توفيق سعيد (١٤سنة) الذي كان قد رسم لي صورة - بالقلم الرصاص على ورقة صغيرة - وأنا أستقل الطائرة، وكتب أسفل الرسم عبارة: «نهاية المطاف» .. وما إن قدم لي الصورة حتى انفجر باكيا .

حلقت بنا الطائرة متجهة إلى بلد عربي شقيق، إلى البلد العزيز لبنان .

العودة سرا من المنفى

وصلنا إلى مطار بيروت ظهرا، وكان يوسف في استقبالنا ومعه الصاغ جمال حماد (الملحق العسكري لسفارتنا بسوريا ولبنان)[٨٤]، وهو أحد الضباط الأحرار، وكان قبل وظيفة الملحق العسكري يعمل مديرا لمكتب اللواء محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة، وعندما وجد أن الجو السياسي داخل مجلس قيادة الثورة ملبد بالسحب والغيوم أدرك بحسه وذكائه قرب نهاية محمد نجيب فآثر الابتعاد عن الصراعات، وعين

---

(٨٤) راجع مجلة أكتوبر - العدد رقم ١١٨٥ - بتاريخ ١١ يوليو سنة ١٩٩٩، ص ٢٢، ٢٣، مقال للمؤرخ العسكري اللواء جمال حماد تحت عنوان «قصة يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة»، حيث يقول : « ... وطلب يوسف صديق عقب استقالته أن يعود ثانية للخدمة بالجيش . ولكن مجلس الثورة رفض ذلك بشدة خشية من التفاف الضباط حوله، فطلبوا منه السفر إلى أسوان للاستجمام وبعد عودته أرسلوه إلى سويسرا للعلاج. وبعد أن أمضى هناك ثلاثة أشهر طلب العودة إلى مصر، ولكن مجلس الثورة رفض ذلك وسمح له بالسفر إلى لبنان.

وقد قدر لي شخصيا أن أشارك في هذه القصة الغريبة، فقد كنت أتولى في ذلك الوقت منصب الملحق العسكري، وكمندوب للثورة في أربع دول عربية وهي سوريا ولبنان والأردن والعراق وكان مقر عملي الرئيسي في دمشق. وفوجئت ذات يوم قبل حلول العيد الأول للثورة بقليل ببرقية شفرية تصلني من القاهرة تفيد بأن العقيد يوسف صديق قد وصل إلى لبنان منذ بضعة أيام، وكان المطلوب مني أن أعرف مكان إقامته وأن أتصل به لإخطاره بأن مجلس الثورة قرر بقاءه في لبنان إلى أجل غير مسمى، وأنه محظور عليه العودة إلى مصر إلا بإذن من مجلس الثورة. =

ملحقا عسكريا لسفارتنا بسوريا ولبنان والأردن والعراق، وكانت تربطه بيوسف صديق زماله سلاح وصداقة ومودّة .

وما إن التقيت بيوسف على أرض مطار بيروت وسألنى عن الأخبار فى مصر، حتى انطلق لسانى دون أن أشعر باتهامات لمجلس قيادة الثورة وتوجهاته السياسية الدكتاتورية وعلى رأسه جمال عبدالناصر. لم أتنبّه لما أقول إلا عندما شاهدت الصاغ جمال حماد يضحك، كأنما كنت أقول ما كان يتمنى هو أن يقوله، أو لعله كان يضحك من شر البلية، ولكن للحقيقة لم تصل كلمة مما قلته لجمال عبد الناصر أو لأى شخص آخر .

توجهنا إلى ضاحية «بكفية» فى جنوب لبنان حيث كان يقيم يوسف فى أحد فنادقها. ووجدت مدير الفندق الخواجة «أنطون» قد أعد حفل غداء على شرفى، وكان حريصا على أن تتضمَّن قائمة الطعام أصنافا مصرية. واكتشفت من استقبالهم الحار لى مدى حبهم العميق ليوسف صديق وتعلقهم به، حتى أنهم ما إن علموا بوصول حرم «الكولونيل صِديق» حتى توافدوا علينا رجالا وشبابا ونساء بمن فيهم نزلاء الفندق مرحّبين بنا .

وجلسنا جميعا نتناول الغداء ومعنا جمال حماد وسط هذه المظاهرة من الحب والإخلاص. وأثناء تناول الغداء سألنى الخواجة «أنطون» عما إذا كانت مصر أجمل أم لبنان، فقلت له :

بلادى وإن جــارت علىَّ عزيــزةٌ

وأهلى وإن ضـــنُّوا علىَّ كـــرامُ

= وبرغم صعوبة مهمتى فى الاهتداء إلى مقر إقامته، فقد ساعدتنى الظروف على أن أعرف أنه توجه عقب وصوله إلى مطار بيروت إلى أحد المصايف فى جبل لبنان وهو «بكفية» حيث أقام فى أحد الفنادق هناك .

ولم ألبث أن توجهت إليه بالفندق حيث رحبت به ترحيبا حارا بحكم زمالتنا القديمة فى حرب فلسطين .. حيث خدمنا معا فى الكتيبة السابعة مشاة التى كان يتولى قيادتها وقتئذ العقيد أ.ح على على عامر (الفريق أول رئيس أركان حرب الجيش فيما بعد) وكنت أعمل أركان حرب هذه الكتيبة .. كما عرفته كزميل من أشجع الزملاء فى تنظيم الضباط الأحرار، وشهدته ليلة ٢٣ يوليو مع مجموعة من الزملاء (عبدالناصر وعامر وزكريا والبغدادى) وهو يسير حاملا رشاشه خلف الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش، هابطا من سلم مبنى رئاسة الجيش بعد اقتحامه له على رأس قوته الصغيرة فى طريقه لوضعه فى سجن الكلية الحربية التى تحولت يومئذ إلى معتقل للأسرى (هذا المشهد تحول إلى صورة زيتية ضخمة فى جناح الثورة بالمتحف الحربى). وسألت الأخ يوسف عن أى مطالب يريدها كى تكون =

فرد الخواجة «أنطون» قائلا : برافو يا مدام !! رد لبق .

وبعد الغداء توجهنا إلى حجراتنا بالفندق لننال قسطا من الراحة بعد ذلك اليوم الشاق والشيّق .

جلست أنا ويوسف، فرويت له الأحداث الجارية فى مصر بالتفصيل، سواء داخل مجلس الثورة أو داخل الجيش، أو فى الشارع المصرى ، كما رويت له الشائعات المنتشرة، ومنها شائعة نفيه إلى الهند فى صورة سفير لمصر بها، فعلق يوسف ضاحكا: لعلهم يريدون تكريمى بدفنى مع الجميلة «ممتاز» فى «تاج محل». ورددت عليه: لا، إحنا نندفن فى قريتنا زاوية المصلوب وليس فى تاج محل .

نظر إلىَّ يوسف نظرة من استشعر شيئا معينا فى تعقيبى ، طالبا الإفصاح والإيضاح .

ودون أن أتكلم قمت وأخرجت ملابسه العسكرية من الحقيبة وهو ينظر إلىَّ مندهشا، وقمت بوضع الملابس فى الدولاب. فهم يوسف ما أقصده وما أهدف إليه بإحضار الملابس العسكرية ولكنه عقب بجدية قائلا : سوف نقابل صعابا كثيرة ومحنًا أكثر، فهل أنت مستعدة ؟

قلت له: أنا مستعدة تماما .

واتفقنا .

وخلال الأيام الثلاثة التالية أخذنا نتجول فى البلدة كسائحين لا يحملون للدنيا هما، ولا يفكرون فى غير الاستمتاع بالحياة. وكان الأصدقاء اللبنانيون يشيرون لنا إلى المصريين المكلفين بمراقبة تحركات يوسف صديق من رجال المخابرات المصرية. أطلع

= إقامته مريحة، فطلب منى الاتصال بالمسئولين بالقاهرة كى يرسلوا له زوجته السيدة علية توفيق. وبعد اتصالاتى معهم أخطرونى برقيا بموعد وصولها بطائرة شركة مصر إلى بيروت . ومررت عليه بسيارتى فى الفندق الذى يقيم به فى «بكفية»، وتوجهنا إلى المطار حيث استقبلنا زوجته وطفليها (حسين ونعمت) وذهبنا جميعا بعد ذلك إلى الفندق حيث تناولنا طعام الغداء. وكان يوسف فى غاية الفرح والسعادة لالتئام شمل الأسرة، بينما لاحظت مدى ما كانت تعانيه زوجته من توتر وضيق بسبب هذا النفى الإجبارى لهم فى لبنان، وكانت الشتائم ضد المسئولين عن هذا النفى تنطلق من فمها كطلقات الرصاص .

وعلمت بعد بضعة أيام أن يوسف قد ترك الفندق فجأة وسافر سرا إلى القاهرة، وأدركت على الفور أن لزوجته دخلا كبيرا بلاشك فى قرار عودته مع أسرته إلى القاهرة ...».

يوسف أصدقاءه اللبنانيين على رغبتنا فى العودة سرا إلى مصر، فقام الخواجة «أنطون» بتغيير ما معنا من ليرات لبنانية إلى جنيهات مصرية، وأخذ منا جوازات السفر وسلمها للخواجة «يوسف البيه» صديقه الذى كان يعمل مديرا لمطار بيروت، وهذا قام بالحجز لنا على الطائرة التى تغادر بيروت صباح يوم الخامس من أغسطس ١٩٥٣ متجهة إلى مصر. أى أننى لم أقضِ فى مصيف لبنان الرائع و«بكفية» الجميلة سوى ثلاثة أيام غير يوم السفر ويوم العودة. وقد أشاع الخواجة «أنطون» أن «الكولونيل صديق» وعائلته سيذهبون لقضاء يوم فى بلدة جميلة مشهورة جنوب «بكفية».

وفى صباح يوم ٥ أغسطس حضرت السيارة ذات الستائر التى ستقلنا إلى المطار، فصعد إلينا الخواجة «أنطون» ووجدنا على أهبة الاستعداد، فقال لنا:

- يبدو أنكما لم تناما طوال الليل فى انتظار هذه اللحظة. ثم استطرد موجها الحديث ليوسف، قائلا :

- كولونيل إحنا كلنا هنا بنحبك، أرجوك خليك معنا، سفرك خطر عليك .. سيقبضون عليك فى مصر، ولا تعرف ماذا سيفعلون بك أيضا، إن الحكومات العسكرية لا يؤمن جانبها.

فرد عليه يوسف شاكرا له هذه العواطف النبيلة، وقال له إنه يفضل مواجهة الخطر فى بلده بين أهله ومواطنيه على أن يظل منفيا خارج وطنه .

استقللنا السيارة التى انطلقت إلى مطار بيروت، وعندما هبطنا من السيارة وجدنا فى انتظارنا الخواجة «يوسف البيه» مدير المطار وبيده جوازات السفر وتذاكر الطائرة، وكان قد أنهى لنا كافة إجراءات السفر. واصطحبنا إلى سيارة تابعة للمطار أقلتنا وهو معنا حتى توقفت أسفل سلم الطائرة. وقبل أن نصعد إلى الطائرة ودعنا الخواجة «يوسف البيه» الذى احتضن يوسف قائلا له : لبنان ترحب بك فى كل وقت وأىّ وقت وسنتابع أخبارك إلى آخر العمر .

لن أنسى ما حييت شهامة ومروءة واخلاص أهل لبنان بصفة عامة، وأهل «بكفية» الجميلة الوديعة بصفة خاصة. لقد التفوا حولنا .. حارسين لنا .. ومضللين لرجال مخابرات عبدالناصر الذين كانوا يتعقبون يوسف صديق هناك ويرصدون حركاته . كان أهل لبنان نعم الأهل والأصدقاء الأوفياء .

ومما يدل على وفاء هؤلاء الأصدقاء، أنه بعد مرور أكثر من عشرين عاما توجه طالب مصرى إلى لبنان بحثا عن عمل في الإجازة الصيفية، وقادته قدماه إلى «بكفية»، وتقدم إلى أحد الفنادق للعمل، فسأله صاحب الفندق عندما عرف أنه مصرى، عمن كان السبب فى نجاح ثورة ٢٣ يوليو، وتصادف أن كان هذا الشاب يعرفنا عن طريق صلة خاله بنا، فأجاب بأن يوسف صديق هو الذى أنقذ ثورة يوليو من فشل محقق، فمنحه صاحب الفندق الوظيفة، وأضاف قائلا للشاب المصرى : «لقد كان يوسف صديق منفيًّا هنا .. أحمِّلك له ولأسرته سلاما من أهل بكفية» .

وعندما عاد الشاب إلى مصر توجه إلى خاله وروى له ما حدث وطلب منه إبلاغنا سلام وتحية الأصدقاء فى لبنان .

دارت محركات الطائرة، وانطلقت عائدة بنا إلى مصر الحبيبة، ثم هبطت بنا فى مطار القاهرة ظهرا. وكان يوسف يرتدى بذلته العسكرية ويرد على تحية كل من يصادفه من العسكريين، الذين استقبلونا بمنتهى الاحترام والترحاب .

ركبنا أتوبيس المطار إلى ميدان الأوبرا، ثم أخذنا «تاكسى» واتجهنا إلى منزل الصاغ حسن الدسوقى بمنيل الروضة، ووجدنا فى زيارته شقيق زوجته الصاغ صلاح عبد الحفيظ، أخبرناهما بعودتنا سرا من لبنان وبأننا متوجهان إلى قريتنا «زاوية المصلوب» .

وتوجهنا بنفس «التاكسى» إلى قريتنا، ومن هناك أرسل يوسف برقية تلغرافية للواء محمد نجيب بصفته رئيس مجلس قيادة الثورة يخبره فيها بعودته إلى مصر وتوجهه إلى قريته «زاوية المصلوب»، ويؤكد للمرة الثالثة تصميمه على الاستقالة من مجلس قيادة الثورة .

تحديد إقامة يوسف صديق

فى صباح اليوم التالى حضر مأمور مركز شرطة الواسطى إلى منزلنا ليبلغ يوسف بأنه صدر قرار البكباشى جمال عبدالناصر وزير الداخلية بتحديد إقامته بمنزله بالقرية، وعقب ذلك بفترة وجيزة انتشر رجال المباحث فى أنحاء القرية .

وما إن انتشرت أنباء تحديد إقامة يوسف صديق فى القرية، حتى تحولت القرية التى لا تضم سوى عائلتنا إلى معسكر، كل من لديه بندقية أو طبنجة بصورة قانونية أو غير قانونية أخرجها من مخبئها وحملها استعدادا لما ستسفر عنه الأحداث. وبفطنة أهل الريف أدركوا أنه لا بد سيحضر زوار كثيرون ليوسف صديق من القاهرة، فبدأوا يشغلون رجال المباحث بدعوتهم إلى الطعام وشرب الشاى فى منازلهم، وفى نفس الوقت كان بعض شباب القرية ينتظرون على مشارف القرية وصول ضيوف يوسف صديق القادمين من القاهرة، فكانوا يستقبلونهم ويعطونهم ملابس ريفية «جلاليب» لارتدائها إخفاءً لمظهرهم، ثم يصحبونهم عبر الزراعات حتى يدخلوهم إلى منزلنا. أذكر من أولئك الزوار، الضباط : الصاغ صلاح عبدالحفيظ الذى حضر إلينا قبل صدور قرار تحديد الإقامة وظل عندنا بعد القرار عدة أيام، والصاغ حسن الدسوقى، والصاغ نصر جعيصة الذى حضر بملابسه العسكرية، وزوجته السيدة «ملك»، والصاغ شرطة يوسف صبرى[٨٥] ؛ ومن المدنيين: شقيقى محمود توفيق وعبد الحفيظ الصيفى .

الكفاح المسلح ضد الإنجليز

تجددت مناقشة فكرة الكفاح المسلح ضد الإنجليز، التى كانت قد توقفت بسبب اعتقالات يناير سنة ١٩٥٣ وتحديد إقامة يوسف صديق فى أسوان ثم نفيه إلى خارج البلاد .

وتشكلت لجنة سميت «اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية للكفاح المسلح»، وتكونت اللجنة من محمود توفيق عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، ويوسف صبرى عن الوفد، وعبدالحفيظ الصيفى عن الإخوان المسلمين، وحسن الدسوقى وصلاح عبدالحفيظ عن الجيش وهما يمثلان يوسف صديق المحددة إقامته .. والثلاثة يمثلون الاتجاه المستقل (غير الحزبى). وكانت هناك فكرة لإصدار منشور باسم اللجنة يوضح أسباب إصرار اللجنة على الكفاح المسلح كسبيل للتحرير، ومن أهم هذه الأسباب أن

(٨٥) الصاغ شرطة يوسف صبرى : أحيل إلى المعاش بعد ذلك ، وعمل فى الصحافة ، وعين فى الستينيات رئيسا لتحرير مجلة روز اليوسف .

الكفاح المسلح هو الفرصة الحقيقية لإظهار القيادات الوطنية والسياسية الحقيقية، ولكن لم تخرج الفكرة إلى حيز التنفيذ .

وخلال فترة تحديد الإقامة، زار البكباشي جمال عبد الناصر مدينة بنى سويف (عام ١٩٥٣)، وأثناء جلوسه فى السرادق، دخل إليه الصاغ صلاح عبدالحفيظ، وأخبره بأنه جاء موفدا من يوسف صديق ليرحب به فى محافظة بنى سويف - مسقط رأس يوسف صديق - فوجئ عبدالناصر بهذا الموقف لكنه رد قائلا :

- يوسف صديق صديقنا وحبيبنا، أبلغه بأن يطلق زوجته «العقربة» ويعود للعمل معنا .

رد صلاح عبد الحفيظ :

ـ يوسف صديق استقال من مجلس الثورة ولن يعود إليه، أنا متأكد من ذلك .

وانصرف صلاح عبد الحفيظ، تاركا عبد الناصر وقد تولَّد فى نفسه حقد دفين لم يفارقه حتى الموت، كان أحد آثاره أن أحال صلاح عبدالحفيظ إلى التقاعد، بمعاش لا يتجاوز عشرين جنيها .

انتهت الإجازة الصيفية للمدارس، وكان لابد أن نعود إلى القاهرة حتى يتمكن طفلانا من استئناف الدراسة .

وعدنا إلى القاهرة، فحُددت إقامة يوسف فى منزله بحلمية الزيتون، وتوجهت بطفلىَّ (حسين ونعمت) إلى منزلنا بثكنات الجيش بالعباسية .

الفصل السابع

أزمة الديمقراطية

يوسف صديق والجبهة الوطنية

انطلقت اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية للكفاح المسلح ضد الإنجليز - منذ إعادة تشكيلها فى أغسطس عام ١٩٥٣ بعد عودة يوسف صديق من المنفى - فى نشاطها لجذب القوى السياسية سواء الحزبية، أو غير الحزبية التى كان يمثلها يوسف صديق وحسن الدسوقى وصلاح عبدالحفيظ .

وانضم إلى اللجنة فيما بعد اليوزباشى محمد رياض ممثلا لمحمد نجيب. وعقد أول اجتماع للجنة بمنزل الصاغ حسن الدسوقى بمنيل الروضة[٨٦]، وحضر ذلك الاجتماع عن الإخوان المسلمين حسن عشماوى الذى طلب بعد نهاية الاجتماع الانفراد باليوزباشى محمد رياض ممثل محمد نجيب، مما دعا حسن الدسوقى إلى الاعتراض على تلك الأحاديث الجانبية السرية. وقد اتضح فيما بعد أن سبب ذلك الحديث الجانبى كان محاولة حسن عشماوى إقناع محمد رياض، بأن يستقل الإخوان المسلمون ومحمد نجيب بالتعاون معا دون باقى أعضاء اللجنة .

وعقد اجتماع ثان - فى أواخر عام ١٩٥٣ - بمنزل حسن الدسوقى، حيث طلب ممثل محمد نجيب مساندة اللجنة وموافقتها على تعيين اللواء عبدالمنعم صالح - كبير الياوران

(٨٦) راجع مذكرات الصاغ حسن احمد الدسوقى .

فى ذلك الوقت - قائدا عاما للقوات المسلحة، وذلك فى حالة سيطرة محمد نجيب على السلطة . إلا أن اللجنة رفضت مما ترتب عليه انقطاع ممثل محمد نجيب عن حضورأعمال اللجنة بعد ذلك. ثم تشكلت لجنة منبثقة عن اللجنة التحضيرية فى الجامعة، مكوّنة من كريم كُريّم عن القوى الوطنية، وعبد المنعم تمام عن الوفد، ومحمود كامل عن الإخوان المسلمين، وفكرى عبدالجواد عن الشيوعيين - بغرض تحقيق الوحدة بين قواعدها .

وفى يوم ١٢ يناير عام ١٩٥٤ عقد مؤتمر عام بالجامعة، وأعلن فيه تضامن شباب الوفد والإخوان والشيوعيين والوطنيين المستقلين فى إطار جبهة موحدة لتحرير الوطن عن طريق الكفاح المسلح .

خلافات محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة

وصلت الأمور بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة إلى طريق مسدود برغم كل التنازلات التى قدمها والمرونة التى أبداها .

لم يكن محمد نجيب ذا فكر واضح أو موقف محدد، ولم يرتبط بتنظيم داخل الجيش، ولم يعقد اتفاقات مع القوى السياسية المختلفة، لذلك فإنه عندما قدم استقالته.. لم يكن يراهن إلا على حب الشعب له .

وفى صباح يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ أعلن مجلس قيادة الثورة قبول استقالة محمد نجيب وتعيين جمال عبدالناصر رئيسا للوزراء. وحُددت إقامة محمد نجيب بمنزله بحلمية الزيتون .. على مسافة لا تزيد على مائة متر من منزل يوسف صديق المحددة إقامته أيضا(٨٧).

وكان لاستقالة محمد نجيب أثر كبير فى نفوس الناس سواء فى مصر أو فى السودان الذى تربطه بمحمد نجيب صلات الدم. وامتد تأثير الاستقالة إلى داخل

---

(٨٧) راجع حديث يوسف صديق لمجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤، حيث يقول : «من طريف ما يمكن أن أذكره لك أن منزلى بحلمية الزيتون حيث إقامتى محددة لا يفصله عن منزل الزميل محمد نجيب إلا شارع واحد هو الممر الذى يفصل بين الحر المعتقل والمعتقل الحر». (لم يكن محمد نجيب محدد الإقامة وقت ذلك الحديث).

الجيش، وكانت أقوى ردود الأفعال وأسرعها فى سلاح الفرسان الذى استطاع خالد محيى الدين أن يبث فيه الأفكار التقدمية .

وفى اليوم التالى لاستقالة محمد نجيب دعا ضباط سلاح الفرسان أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى اجتماع عام وعاجل فى مساء ذلك اليوم، لم يحضره سوى حسين الشافعى . وتوجه جمال عبدالناصر إلى الاجتماع بأمل السيطرة على الموقف داخل السلاح، لكنه فوجئ بحالة التذمر والاستياء التى تسيطر على الضباط .

وجد عبدالناصر أن التيار أقوى من أن يقف فى طريقه، فتركهم وذهب لاستشارة أعضاء مجلس القيادة، ثم عاد بعد ذلك إلى سلاح الفرسان ومعه خالد محيى الدين، ليعلن لهم موافقة مجلس القيادة على عودة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية، وتكليف خالد محيى الدين بتشكيل الوزارة، وعودة أعضاء مجلس القيادة إلى وحداتهم.

وقوبلت هذه القرارات بالترحيب من جميع ضباط السلاح . وفى الصباح توجه خالد محيى الدين ليطلع محمد نجيب على قرارات مجلس القيادة .

ثار ضباط الصف الثانى فى الثورة على هذه القرارات التى تهدد مصالحهم الشخصية .. لقد أصبحوا رجال سلطة يجنون المكاسب والمغانم والنفوذ، فكيف بعد ذلك يعودون ضباطا عاديين لا يحصلون إلا على رواتبهم .

وتحرك الضباط، فحاصرت المدفعية سلاح الفرسان، وقام البوليس الحربى باعتقال بعض ضباط سلاح الفرسان . كما قام اليوزباشى كمال رفعت وداوود عويس بالتحفظ على اللواء محمد نجيب فى «ميس» سلاح المدفعية بألماظة.

وخرجت المظاهرات منذ الصباح الباكر تعم شوارع القاهرة وهى تهتف بحياة محمد نجيب، كما عمت المظاهرات شوارع الخرطوم . وبمرور الوقت ازدادت المظاهرات انتشارا، وكانت تهتف ضد جمال عبدالناصر وصلاح سالم . واستمرت المظاهرات حتى أعلنت الإذاعة مساء يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٥٤ عودة محمد نجيب .

وفى صباح اليوم التالى (٢٨ فبراير) انطلقت مظاهرات ضخمة من جامعة القاهرة متجهة إلى ميدان عابدين، وأثناء عبورها كوبرى قصر النيل، أطلق عليها البوليس

الرصاص فقتل من قتل وأصيب من أصيب[٨٨]، ولكن المظاهرة واصلت مسيرتها إلى ساحة عابدين، حيث خطب فيهم محمد نجيب وقطب الإخوان عبدالقادر عودة .

وعاد محمد نجيب إلى مجلس قيادة الثورة، ولكن بلا سلطات .

وفى أول مارس عام ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها أخبار القبض على ١١٨ شخصا، بينهم عبدالقادر عودة، وأحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة، كما تقرر إيقاف الدراسة بجميع الجامعات (القاهرة، عين شمس، الإسكندرية)، حيث كانت المظاهرات قد اجتاحتها أيضا .

وبعد ذلك بعدة أيام تم اعتقال مجموعة من الإخوان المسلمين والوفديين والشيوعيين .

يتضح من هذا أن ما بدا أنه انتصار لمحمد نجيب، لم يكن انتصارا كاملا، بل جولة من جولات الصراع بينه وبين مجلس قيادة الثورة بينما كل منهما يستعد للجولة الحاسمة .

ووجد مجلس القيادة وعلى رأسه عبد الناصر أن جميع القوى السياسية فى البلاد تقف فى صفوف المعارضة ضد المجلس، فقرر أن يعطى نفسه فرصة لالتقاط الأنفاس وتدبر الأمر للقضاء على معارضيه بعد ذلك، فصدرت قرارات مجلس قيادة الثورة فى ٥ مارس سنة ١٩٥٤ والتى أعلنها جمال عبدالناصر، وتضمنت عقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤، ويكون لها مهمتان:

- الأولى، مناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره .
- والثانية، القيام بمهمة البرلمان إلى أن يتم انعقاد البرلمان الجديد .

كما قرر المجلس إلغاء الرقابة على الصحف، وإلغاء الأحكام العرفية، والإفراج عن المعتقلين السياسيين .

---

(٨٨) يصف يوسف صديق قرار عبد الناصر بإطلاق الرصاص على طلبة الجامعة يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤ فى قصيدة بعنوان «المجد الزائل»، كتبها وهو معتقل فى السجن الحربى ، فيقول :

ولو سئل التاريخ جاء مصدقا

ويشهد قصر النيل أنك قاتل

وهكذا ساد مصر جو من الحرية والارتياح، وعادت الحيوية إلى الصحف، فتوهم البعض انتصار الديمقراطية على الدكتاتورية .

ولكننى وغيرى ممن هم على دراية بفكر وأسلوب وطموحات الحكام الجدد، كنا ندرك أن الصراع بين مجلس قيادة الثورة ومحمد نجيب، هو صراع على السلطة، وبالتالى فإن الدكتاتورية آتية أيًا كان المنتصر. وكنا نحاول جاهدين أن نتمسك بالقدر البسيط الذى تحقق من الديمقراطية فى الأيام القليلة السابقة .

كان تحليل اللجنة التحضيرية أن قرارات مارس ستُلغى، لذلك رأت اللجنة تأمينا لهذه القرارات، إصدار بيان للشعب ينشر فى «جريدة المصرى» .. يناشد الشعب الحفاظ على هذه القرارات، وتسيير المظاهرات الشعبية فى نفس اليوم الذى تصدر فيه القرارات بحل مجلس قيادة الثورة وعودة الجيش إلى ثكناته . وفعلا قام الصحفى أمين عبدالمؤمن المحرر بجريدة المصرى - لسان حال حزب الوفد فى ذلك الوقت - بتسلم صورة البيان، وأعده للطبع والنشر يوم ٣٠ مارس عام ١٩٥٤ تقريبا[٨٩]. وكانت الخطة أن تطبع «المصرى» طبعة عادية ليس فيها البيان، حتى تتم موافقة الرقيب، وبعد انصراف الرقيب من مبنى الجريدة، يعاد طبع الصفحة الأولى وفيها البيان، ثم تطرح فى الأسواق .

وظلت اللجنة فى حالة انعقاد دائم بمنزل الصاغ حسن الدسوقى انتظارا لتوقيع الزعماء والقادة على البيان، ولكن حضر إلى اللجنة السيد «هارون المجددى» مندوب الإخوان المسلمين، وأبلغ المجتمعين بأن الإخوان قرروا عدم التوقيع على البيان أو الاشتراك فى المظاهرات، بدعوى أنهم أفرج عنهم من المعتقل توا ولم ينظموا صفوفهم بعد .

كان هذا هو موقف الإخوان المسلمين فى اللحظات الحاسمة، بالرغم من أن حسن عشماوى كان قد وافق على البيان وعلى نشره بعد أخذ رأى المرشد العام .

واتضح بعد ذلك أن سبب انسحاب الإخوان المسلمين هو زيارة جمال عبدالناصر للمرشد العام بمنزله، حيث استطاع تحييد موقفه بعد إعطائه بعض الوعود عن إشراك الإخوان فى السلطة .

(٨٩) راجع مذكرات الصاغ حسن أحمد الدسوقى .

رسالة يوسف صديق إلى اللواء محمد نجيب

كان يوسف صديق محدد الإقامة فى منزله بحلمية الزيتون منذ أن عدنا من قريتنا عند بدء العام الدراسى . وبالرغم من تحديد الإقامة استطاع الصحفى «أمين عبدالمؤمن» - المحرر بجريدة المصرى، والذى كان على اتصال دائم باللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية للكفاح المسلح - أن يتسلل ليلا من فتحة فى السور الجانبى لحديقة «الڤيللا» ليقابل يوسف صديق ويحصل منه على الرسالة[٩٠] التى خطها يوسف يوم ١٧ مارس عام ١٩٥٤ للواء محمد نجيب. كان يوسف قد استعرض فى رسالته الوضع الراهن الذى تمر به البلاد، واقترح قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين، برئاسة الدكتور وحيد رأفت وكيل مجلس الدولة، تعد لإجراء انتخابات عامة للبرلمان الجديد .

كانت تلك هى المرة الأولى التى يطرح فيها علنا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديمقراطية .

ونشرت جريدة المصرى رسالة يوسف صديق يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٤ على صدر صفحتها الأولى[٩١].

وأحدث اقتراح يوسف صديق تأثيرا كبيرا بين طبقة المثقفين، فقد تبنت نقابة الصحفيين الاقتراح وضمنته توصياتها، كما كان له رد فعل كبير داخل الجامعات المصرية[٩٢].

---

(٩٠) راجع جريدة المصرى - العدد ٥٨٦٤ - ص ١ - بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ تحت عنوان «رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس محمد نجيب». (راجع ملحق الوثائق).

(٩١) راجع مذكرات اللواء محمد نجيب « كلمتى للتاريخ » ص ١٣٢ ، حيث يقول : «وكتب القائمقام يوسف صديق بطل الثورة الشجاع مقالا فى جريدة المصرى يوم ٢٤ مارس، اقترح فيه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين ... برئاسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات البرلمان الجديد . وجد هذا الرأى صدى طيبا فى نفسى .. إذ يعيد الحياة للأحزاب فيضمن الديمقراطية .. ويحقق تشكيل جبهة وطنية لا توجد خارج إطارها قوى سياسية ذات بال».

(٩٢) راجع مذكرات صلاح نصر - الجزء الأول - ص ٢٦٠ ، حيث يقول: «ومن ثم حينما قام يوسف صديق فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ باقتراح إقامة وزارة إئتلافية برئاسة وحيد رأفت لإجراء الانتخابات الجديدة كما وضحت من قبل ، تبنت نقابة الصحفيين هذا الاقتراح ، وضمنته توصياتها التى اتخذتها فى اجتماع مجلس النقابة الذى عقد فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ .. وفى الأيام التالية اجتمعت هيئات التدريس فى الجامعات .. واتخذت قرارات مشابهة ...».

أما عن موقف مجلس قيادة الثورة، فقد أوعز جمال عبد الناصر إلى مصطفى أمين - كانت علاقتهما لا تزال فى شهر العسل - أن يهاجم اقتراح يوسف صديق. وفعلا صدرت جريدة الأخبار فى اليوم التالى (٢٥ مارس) وبها مقال لمصطفى أمين بعنوان «سلاطة»[٩٣]، يهاجم فيه الاقتراح ويتهم يوسف صديق بالشيوعية ويقول : «إن اقتراح يوسف صديق يجمع الشامى على المغربى والوفدى على الاشتراكى، و الأخ المسلم على الشيوعى»، ثم وصف الاقتراح فى النهاية بأنه «سلاطة روسيّة»، ثم تساءل عن رأى اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى هذا الاقتراح .

وقام يوسف صديق بالرد على مصطفى أمين بجريدة المصرى فى اليوم التالى[٩٤] (٢٦ مارس) مفندا ادعاءاته ومقررا «أن مبدأه هو مبدأ كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه، وأن وحدة مصر هى السلاح الأول الذى تتحقق به جميع أهدافها . لقد أصبحت بضاعة الاتهامات بائرة، عند الشعب، فقد أصبح الشعب المصرى كامل الوعى مرهف الحس يميز الغث من السمين» .

ثم عاود يوسف صديق الرد ثانيةً على مصطفى أمين فى مجلة روز اليوسف فى ٢٩ مارس[٩٥]، مقررا أن استقالته من مجلس القيادة كانت بسبب الدستور، وأن استعمال

---

(٩٣) راجع جريدة الأخبار بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ - مقال للاستاذ مصطفى أمين تحت عنوان «سلاطة». (راجع ملحق الوثائق).

(٩٤) راجع جريدة المصرى بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤. (راجع ملحق الوثائق).

(٩٥) راجع مجلة روز اليوسف - العدد رقم ١٣٤٦ - ص ٨ - بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤. (راجع ملحق الوثائق).

راجع كتاب «حقيقة ثورة يوليو» للكاتب الإنجليزى جول جوردون . وهو من أبرز الخبراء البريطانيين فى شئون الشرق الأوسط - الناشر: الدار العالمية للكتب والنشر - ترجمة عادل عبدالصبور، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠، رقم الإيداع ٤٣١٥ / ٢٠٠٠ . حيث يقول فى ص ١٧٣: «وإذا كان لدى الحركة الديمقراطية من بطل فهو يوسف صديق ، عضو نخبة الثورة سابقا ، إذ بعد استقالته فى يناير عام ١٩٥٣ أرسل صديق إلى أسوان ، وفى شهر مارس من نفس العام غادر صديق البلاد ، ثم عاد سرا بعد عدة شهور ، وظل مختفيا فى قريته ، ومن هناك اتصل بمحمد نجيب (ربما ليعرض عليه التحالف) . وفى أواخر عام ١٩٥٤ ، دخل الدوامة السياسية ، وقام بكتابة خطاب مفتوح إلى نجيب نشرته جريدة المصرى قبل يوم من قرار مجلس قيادة الثورة بعزله ، ففى عبارة شجاعة كتب صديق يقول:

«إن استمرار الحكومة الحالية فى السلطة والتنظيم الذى أسسته - بعد أن أصدر الناس حكمهم - يعنى الاستمرار فى ذات السياسة ، بما يترتب على ذلك من فشل وخطر. ومادامت الحكومة قررت أن تترك الناس يقررون شئونهم الخاصة ، فليس لها الحق فى فرض أو اقتراح أى شىء إننا تحركنا فى ٢٣ يوليو للسماح للناس بتقرير شئونهم الخاصة دون وصاية تفرض عليهم».

وطبقا لرؤية صديق ، فقد كان لدى الحكومة خياران :إما أن تعيد البرلمان المنحل فى يناير ١٩٥٢، أو تشكل حكومة ائتلافية تضم كل الأحزاب والتجمعات السياسية المعروفة فى الدولة : الوفد ، والإخوان المسلمين ، والاشتراكيين ، =

العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجي، وأن الجيش أصبح من الوعى بحيث لا يستخدم ضد الشعب .

وحاول البعض إقناع محمد نجيب بأن يتبنى اقتراح يوسف صديق بعد الذى نشرته جريدة المصرى، فيعلن عن تشكيل وزارة مدنية يرأسها الدكتور وحيد رأفت وكيل مجلس الدولة. لكنه تردد كعادته، وأجّل التفكير فى الأمر إلى ما بعد انتهاء زيارة الملك سعود لمصر .. مع أن الساعات الحاسمة فى تاريخ مصر الحديث لم تكن تحتمل ذلك التردد. ولم تنقض سوى ساعات حتى انطلقت المظاهرات المدبرة - التى اشتركت فيها قوات البوليس الحربى بملابس مدنية، ومنظمات الشباب، وهيئة التحرير، وعمال النقل وعمال مديرية التحرير - تهتف لاستمرار الجيش فى الحكم. ولأول مرة فى تاريخ أمة من الأمم تخرج المظاهرات تهتف ضد الديمقراطية .. هتافات مأجورة «لا أحزاب ولا برلمان»، بل وصلت المأساة لذروتها عندما هتف المتظاهرون بسقوط الحرية !! .

أدرك محمد نجيب عندما سمع تلك الهتافات أن القطار قد فاته، وأن التاريخ لم ينتظر تردده، فأسقط فى يده وانهار تماما .

وفى اليوم التالى (٢٩ مارس) سقط نجيب مغشيا عليه بالمطار بعد توديعه للملك سعود، ونقل إلى بيته للعلاج، ليخرج منه بعد ذلك إلى استراحة السيدة زينب الوكيل بضاحية المرج مُحدد الإقامة طوال عهد عبد الناصر، لا يجد ما يؤنسه فى وحدته سوى القطط والكلاب الضالة، محاطا بجنود تمكن منهم الجهل، فنسوا أن سجينهم كان رئيسا لمصر .

= والشيوعيين ، واقترح أن يتولي وحيد رأفت رئاسة الوزراء بصورة مؤقتة، وأن أى حل آخر يشبه إعطاء السم لرجل مريض . كذلك كان دفاع صديق المفتوح عن مشاركة الشيوعيين فى الائتلاف الحكومى بمثابة هزة لقاعدة الحكم العسكرى ، وبخصوص عدم اعتقال أو تكميم صديق على وجه السرعة، فلربما كان ذلك يعكس قرارا ماكرا باستقصاء وبحث اقتراحه ، لاسيما فيما يتعلق بالنقطة الخاصة بمشاركة الإخوان والشيوعيين فى الائتلاف الحكومى. وحينما سئل خالد محيى الدين عن اقتراح صديق، شعر خالد بأنه مضطر لتوصيفه بأنه لا معنى له. والأكثر أهمية من الاقتراح، أن دور صديق المعروف كعضو سابق فى المجلس الثورى كان أمرا يهدد نزاهة النظام. ففى البداية أحجم صديق عن مناقشة مشاركته سواء فى الثورة أو فى النخبة العسكرية التى قادت هذه الثورة ، وتاليا كتب صديق بطلاقة عن انشقاقه بعد أن أعلن مجلس قيادة الثورة عن نيته للاستقالة. ففى مقالاته التى نشرت «بالمصرى» و«روز اليوسف» اتهم صديق النخبة العسكرية بأنها تخلت عن أهداف ثورتها . كما أشار على وجه الخصوص إلى تأييده لضباط المدفعية الذين تم اعتقالهم فى يناير ١٩٥٣ ، وكذلك دفاعه عن الجبهة الوطنية ، إنه لم يتوقف عن النشاط السياسى حتى مع ظروف تحديد إقامته، كما أنه قرر أنه سوف يستمر حتى يقوم مجلس قيادة الثورة بإعادة الحريات المدنية ويعود الجيش للثكنات ، ولذلك بعد فترة وجيزة أمر مجلس قيادة الثورة بالقبض عليه».

وفى نفس اليوم (٢٩ مارس) أعلن مجلس الثورة إرجاء تنفيذ قرارات مارس حتى نهاية فترة الانتقال .

وعقب إذاعة البيان توجه عبد الناصر لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك، حيث ألقى خطابا، وكذلك ألقى الصاوى أحمد صاوى خطابا .

ونزلت القوات المسلحة إلى الشارع بدعوى حفظ الأمن، لكن الدور الذى لعبه الصاوى أحمد صاوى فى تضليل عمال النقل المشترك لصالح استمرار مجلس الثورة فى السلطة لم يُذكر له طويلا، فبعد فترة وجيزة قام البكباشى أحمد أنور قائد البوليس الحربى بالاعتداء عليه بالضرب فى مطار القاهرة أمام المودّعين أثناء سفر عبدالناصر إلى باندونج. وهكذا انتهى دور الصاوى بعد أن استنفد الغرض منه، وبعد أن قبض الثمن[٩٦].

ونشرت جريدة الأخبار خبرا عن اجتماع مفاجئ للجمعية العمومية لمجلس الدولة. وخشى أعضاء مجلس الثورة أن يكون ذلك الاجتماع لاتخاذ قرارات ضد استمرار المجلس فى الحكم، فأصدروا توجيهها لرجالهم بالتوجه إلى مجلس الدولة وفض الاجتماع بالقوة. وفعلا توجه «الرجال» إلى مجلس الدولة واعتدوا على الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة بالضرب، إلى أن أصدر بيان تأييد لمجلس قيادة الثورة .

هكذا دفع الدكتور السنهورى ثمن ما زرعت يداه، عندما تحالف مع سليمان حافظ ـ فى الشهور الأولى للثورة ـ ضد الديمقراطية .

وبدأ مجلس قيادة الثورة فى تصفية حساباته مع خصومه، ففى يوم ٣٠ مارس صدر قرار بالتحقيق مع حسين أبو الفتح رئيس تحرير جريدة المصرى التى ناضلت ببسالة من أجل الديمقراطية، ثم صدر قرار فيما بعد بإغلاقها ومصادرة أموالها.

(٩٦) راجع مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ الجزء الأول ـ ص ١٨١.



الفصل الثامن

الاعتقـــــال

فى صباح اليوم الأول من إبريل عام ١٩٥٤، كان «حسين» ابنى يلعب الكرة فى حديقة «ڤيللتنا» بثكنات الجيش بالعباسية، حين فوجئ بوالده يحضر فى سيارة برفقة بعض الضباط. قام يوسف صديق بضرب الكرة بقدمه ناحية حسين ووقف يتكلم معه، إلا أن حسين بالرغم من صغر سنه (٩ سنوات) أدرك بحاسته أن هناك أمرا سيئا، فأخذت عيناه تدمعان. نهره والده وأفهمه بأن رجالنا لا يبكون، وأنه أصبح رجل المنزل، وعليه أن يتحمل المسئولية، واصطحب «حسين» من يده ودخل إلى المنزل حيث كنت أقف عند مدخل الباب فى انتظاره . وفى الداخل علمت منه أنه صدر قرار باعتقاله بسجن الأجانب بمنطقة «باب الحديد» (ميدان رمسيس الآن). وأضاف أن عبدالناصر كلف أحد تلاميذه (تلميذ يوسف صديق) بأن يقوم بتنفيذ أمر الاعتقال حتى يضمن أن يتم ذلك بسهولة ودون مصادمات، وأن الضابط - رحمه الله - توجه إلى يوسف صديق بمنزله بحلمية الزيتون وأخبره بقرار الاعتقال، وقال له : أيا كان هدف عبد الناصر من تكليفى أنا بالذات بتنفيذ قرار اعتقالك، فأنا أفضل من يصطحبك إلى سجن الأحرار، وحتى أكون شاهدا أمام التاريخ على اعتقال البطل الحر يوسف صديق. وإذا كنتَ تفضل أن يحضر غيرى، فسوف أنصرف فورا معلنا رفضى تنفيذ قرار اعتقالك .

طيَّب يوسف صديق خاطر الضابط قائلا: «أيا كان هدف عبد الناصر، فإنك تلميذى وستظل تلميذى إلى الأبد، لأنى أعلم أنك مغلوب على أمرك». وارتدى يوسف ملابسه فى

منزل حلمية الزيتون، وحمل حقيبة ملابسه واستقل معه السيارة متوجها إلينا فى ثكنات العباسية لتوديعنا وإحاطتنا بالأمر، ثم انصرف بصحبة تلميذه إلى سجن الأجانب .

تحديد إقامتى

بعد قليل فوجئت بحضور عدد من الجنود ببنادقهم ودخولهم إلى حديقة «الڤيلا»، فخرجت إليهم لاستجلاء الأمر، عرفت منهم أن تعليمات صدرت لهم بالحضور إلينا لأن القائمقام يوسف صديق ستحدد إقامته فى بيتنا .

أدركت - طبعا - أنه تقرر تحديد إقامتى أنا، وأن الأمر مختلط على الجنود . فكرت سريعا، وارتديت ملابسى على عجل وخرجت. وعند خروجى قلت للجنود عندما يحضر «يوسف بك» أبلغوه بأننى ذهبت إلى الطبيب، وسوف أعود بعد قليل. وعرفت منهم أن «حكمدار» القوة ذهب إلى مقر رئاسته لإحضار التعليمات ولم يَعُدْ بعد .

توجهت إلى منزل الصاغ صلاح عبد الحفيظ صديق يوسف لأبلغه بالأمر، لكنى لم أجده، فقامت السيدة زوجته بالاتصال به تليفونيا حيث كان، فأرسل إلىَّ الصاغ حسن الدسوقى، الذى رويت له ما حدث، وأبلغنى هو بأن هناك إشاعة تقول إنهم سيعتقلون السيدة زينب الوكيل. عدت إلى المنزل فوجدت «حكمدار» القوة قد عاد ومعه التعليمات.. وهى تحديد إقامتى بالمنزل وعدم خروج أحد من المنزل أو دخوله .

كانت أحوالنا المالية صعبة للغاية، فيوسف صديق أحيل إلى التقاعد قبل اعتقاله بأيام قليلة بمعاش شهرى ٤٨ جنيها فقط، بالرغم من أنه كان عضوا بمجلس قيادة الثورة لكنه أحيل إلى التقاعد على رتبته العسكرية فقط (قائمقام) .

بعد ذلك بأيام حضر إلىَّ الصاغ حسن الدسوقى على الباب الرئيسى «للڤيللا» وسلمنى مبلغ ثلاثة جنيهات، وأبلغنى بأن يوسف أرسل لى هذا المبلغ، وانصرف .

لقد قرر عبدالناصر ليس فقط اعتقال يوسف وتحديد إقامتى، بل قرر أيضا محاصرتنا اقتصاديا .

كيف أتصرف لتدبير مصاريف البيت والأولاد، والنقود قد نفدت ؟

استغنيت عن خدمات الشغال «حسين عبد الجواد»، وأبلغته بأن عليه أن يبحث له عن عمل فى مكان آخر لأنى لن أستطيع دفع أجره .

أصبحنا مضطرين للاقتراض من «الكانتين» الموجود فى ثكنات الجيش، فكنا نقترض منه فى صورة مواد غذائية. وللحق فإن الرجل صاحب «الكانتين» كان مدركا للظروف التى نمر بها، فاحتملنا دون أى تذمر، بل إنه عندما كان يرى الشغال فى ذهابه أو إيابه كان يسأله: «عاوزين حاجة، الكانتين كله تحت أمركم» .

وكنت فى ذلك الوقت أعانى من مرض «عرق النّسا»، وكنت أحيط ساقىَّ برباط من الصوف وأتوكأ على عصا، وعندما كنت أضطر للذهاب إلى الطبيب كان يتبعنى أحد جنود تحديد الإقامة بملابسه المدنية، وكان يوسف الأزهرى ابن شقيقتى «خيرية» دائم الحضور للاطمئنان علينا .

ومن الوقائع الغريبة أنه عندما حضرت قوة تحديد الإقامة .. كان عندنا بالمنزل الأستاذ «عويس ياسين»، وهو قريب لنا، ومدرس لابنى حسين .. المهم قامت قوة تحديد الإقامة بمنعه من الخروج، فتوقف عدة أيام عن التوجه إلى عمله أو منزله. داومنا الاتصال بإدارة المخابرات من خلال قوة تحديد الإقامة، وأخيرا سمحوا له بالخروج . وعلمت بعد ذلك أنه فور خروجه متوجها إلى منزله تم اعتقاله وإيداعه السجن الحربى .

وبلغنى أن البكباشى عبدالمنعم عبدالرءوف الذى كان معتقلا بسجن الأجانب قد هرب، وبناء على ذلك قرروا نقل يوسف صديق إلى السجن الحربى .

وعشت فى تلك العزلة التامة لا يصاحبنى سوى مرض «عرق النسا»، والضائقة المالية الشديدة التى جعلتنى أوفر ثمن الدواء . كانت صلتى الوحيدة بالعالم هى زيارات يوسف الأزهرى - ابن شقيقتى - والذى كان ينقل لى الأخبار والشائعات التى تتردد، مثل اعتزام مجلس القيادة اعتقال الإخوان المسلمين، وبعض ضباط الجيش .

وذات صباح حضر «حكمدار» قوة تحديد الإقامة، وأبلغنى بأن رئاسته تخطرنى بأنه نظرا لإحالة يوسف صديق إلى التقاعد، فيجب علىَّ إخلاء المسكن، حيث إنه تم تعيين قائد آخر للواء السابع مشاة، وسيحتاج «الفيللا» للسكن فيها. قلت له أن يبلغ رؤساءه بأننى لن أترك المسكن، فيوسف صديق تركنى هنا وسيعود ليجدنى حيث تركنى، وهو

الوحيد الذى يملك أن يخرجنى من هنا، أما إذا كانوا مصرّين على أن أترك المسكن فعليهم إخراجى منه بالقوة .

سألت نفسى كثيرا، لماذا يكرهنى عبد الناصر ؟

ثم قلت لنفسى لعله اختلاف التوجه السياسى بيننا، بدليل أنه كان حريصا دائما على إبعاد يوسف صديق عنى أطول مدة ممكنة، ظنا منه أن لى تأثيرا فكريا كبيرا عليه، مع أن يوسف لم يكن أحد يستطيع التأثير عليه .

اعتقالى بسجن مصر العمومى

مر يوم، وعند فجر اليوم التالى (الأول من مايو عام ١٩٥٤) استيقظت من النوم على صوت سيارات عسكرية كثيرة تسير بالطريق المار أمام «الڤيللا» بصورة لافتة للانتباه. تذكرت الشائعة التى ترددت حول اعتزام مجلس الثورة اعتقال بعض ضباط الجيش والإخوان المسلمين، وما هى إلا لحظات حتى سمعت طرقا عنيفا على الباب. أدركت أنهم حضروا لاعتقالى، فارتديت ملابسى على عجل وأيقظت حسين من النوم ثم فتحت الباب . وجدت أمامى ضابطا أسمر طويلا بملابسه المدنية وخلفه آخرون . وأخذ هو ومن معه يفتشون المنزل .. كل سنتيمتر مربع بالمنزل تم تفتيشه، وكانوا يأخذون كل ما يجدونه: صورا شخصية لنا، صورا لأصدقاء يوسف اللبنانيين، أوراق مسودّات شعر، مسودة الاستقالة التى كان يوسف قد قدمها للواء محمد نجيب فى شهر يناير ١٩٥٣، وكذلك خطة اقتحام مبنى رئاسة الجيش الملكى التى كان يوسف قد رسمها على ظهر غلاف علبة سجائر. وفجأة وجدت الضابط يقول لى : «المنشورات دى وجدناها فى جيب چاكت البدلة دى ، هل هى تخصك؟ أم تخص يوسف صديق؟». كان الضابط يسألنى وهو ممسك بمنشورات فى يده دون أن يطلعنى عليها . أخذتنى المفاجأة للحظات، ولكنى تمالكت أعصابى، وقلت له : «هذه المنشورات لا تخصنى ولا تخص يوسف صديق، إنها تخصكم أنتم يا رفقاء سلاح يوسف صديق» .

ومن المؤسف حقا أن أعلم بعد ذلك، أنه عندما صدر قرار اعتقالى ، توجهت قوة الاعتقال ـ على سبيل الخطأ ـ إلى منزل السيدة توحيدة صبرى زوجة يوسف صديق

الأخرى بحلمية الزيتون[٩٧]، وقامت القوة بنفس التمثيلية: تفتيش المنزل .. ثم العثور على المنشورات، ثم اصطحبوها إلى إدارة المخابرات حيث اكتشفوا أنها ليست الزوجة المقصودة، فأعادها اليوزباشى محمد السقا تلميذ يوسف إلى منزلها ثانية، وتوجه أفراد القوة إلى العنوان الصحيح .. إلى منزلى بثكنات الجيش بالعباسية، ليؤدوا نفس التمثيلية من جديد، ولكن مع الشخص المقصود .

وطلب منى الضابط أن أصحبه للتحقيق معى، فطلبت منه أن أصطحب طفلىَّ «حسين ونعمت» لتوصيلهما إلى منزل أختى بحى شبرا، لكنه رفض بحجة أنه غير مصرح له بذلك. كتبت عنوان أختى فى ورقة، وطلبت من حسين أن يصطحب شقيقته بعد بزوغ النهار ويسيرا إلى ميدان العباسية، ومن هناك يستقلان سيارة «تاكسى» كما فعلنا كثيرا من قبل، ويعطى العنوان للسائق لكى يوصلهما إلى منزل أختى. كما طلبت منه أن يروى لخالته ما حدث . ومما يجدر ذكره أننى علمت بعد ذلك من حسين أثناء إحدى زياراته لى بالسجن، أنه عندما اصطحب أخته وسارا مخترقين قشلاقات الجيش متجهين الى ميدان العباسية، شاهدهما الرجل الطيب صاحب «الكانتين»، فاستوقفهما عندما رآهما يسيران بمفردهما على هذا النحو، فروى له حسين ما حدث، فدخل الرجل

(٩٧) راجع كتاب «أوراق يوسف صديق» السابق الإشارة إليه، موضوع «نبذة عنه» بقلما ابنته سهير يوسف صديق ، ص ٢٨، تحت عنوان «القبض على والدتى : السيده توحيده صبرى» . حيث تحكى سهير ابنة يوسف صديق من السيدة توحيدة صبرى ، فتقول : «بعد القبض على والدى وإيداعه سجن الأجانب فوجئنا فى فجر أحد الأيام بحضور عدد كبير من رجال الداخلية (وكان زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية فى هذا الوقت) .. حضروا إلى منزلنا وانتشروا فى جميع غرف المنزل وفى الحديقة التى تحيط بالفيللا من كل جانب للتفتيش، وإذا بأحدهم يخرج من غرفة كانت مخصصة للخادمة ومعه عدد كبير من منشورات الحزب الشيوعى «الراية»، وقال لرئيسه «وجدت هذه المنشورات يافندم فى شنطة حديد بالغرفة»، وأذكر أننى أخذتها منه لاعرف ماهى وكانت ساخنة «طازة» بتاريخ نفس اليوم، فقلت للخادمة أمامهم: «من أمتى إنتى زعيمة كبيرة وإحنا مش مقدرينك»؟! .. طبعا الخادمة صغيرة وأمية لا تعرف القراءة والكتابة. عند هذا طلب رئيسهم من والدتى أن تتوجه معهم إلى وزارة الداخلية للتحقيق معها فى أمر المنشورات. ولما كانت والدتى من أسرة محافظة وليس لها أى علاقة بالسياسة، وهى فى حزن على زوجها المعتقل بالسجن الحربى وزوج ابنتها (زوجى) المحبوس فى سجن القناطر، وأن المنزل الذى غزاه رجال الداخلية فجرا ليس به سواها وأبنائها (سهير كاتبة هذه السطور وعمرها ١٧ سنة وطفلتها الرضيعة ليلى ، ومحمد ١٦ سنة، ومحمود ١٤ سنة، وأحمد ١٢ سنة، والخادمة صاحبة المنشورات وعمرها ١٨ سنة)، فما كان من والدتى إلا أن طلبت أن تتصل بالرئيس محمد نجيب أو وزير الداخلية، أو أن تأخذ معها ابنها محمد ليعرف ماذا سيحدث لها ، ولكن الرجال القادمين لتنفيذ المهمة المحددة ـ وهى تلفيق تهمة خطيرة لزوجة الرجل السجين، والذى كان له الفضل فى جلوسهم على كرسى الحكم ـ رفضوا أى مطالب لها واقتادوها إلى وزارة الداخلية. وهناك اكتشفت أن المقصود بتلفيق هذه التهمة لها هى زوجته الثانية / علية توفيق . فقد أعاد الضابط محمد السقا والدتى إلى المنزل. وبنفس المنشورات التى خرجت من شنطة الخادمة، ذهبوا إلى منزل الزوجة الثانية حيث تم القبض عليها وعلى خدم المنزل، وتركوا ابنها حسين وابنتها نعمت وهم أطفال صغار بمفردهما بالمنزل».

إلى محل تجارته وأحضر قطعتين من الحلوى «جاتوه» .. قطعة لحسين والأخرى لشقيقته، وكلف أحد عمال المحل بتوصيلهما إلى أن «ركبا التاكسى».

كما روى لى حسين أنه عندما توجه لإدارة المخابرات للحصول على تصريح زيارة لوالده بالسجن الحربى، استقبله ضابط بملابس مدنية وطلب له كوب عصير، ثم سأله عن حال والده، كما استفسر منه عن أين يقيم هو وشقيقته، وأخرج من حافظته مبلغا من المال أراد أن يعطيه لحسين، ولما رفض حسين، قال له الضابط : «فضل والدك على البلد كلها»، لكن حسين أصرَّ على الرفض وشكر الضابط الشهم وانصرف بعد تسلم التصريح .

هذه نماذج لمعدن الإنسان المصرى .

وخرجت مع الضابط إلى حيث تنتظرنا سيارة ملاكى، سارت بنا حتى خرجت من منطقة ثكنات العباسية، ثم سارت فى شوارع القاهرة. فوجئت بالسيارة تتوقف أمام قسم شرطة، وطلب منى الضابط النزول معه إلى القسم، رفضت وقلت له إنه يمكنه أن ينزلنى بالقوة أمام هؤلاء الناس الذين بدأوا يتكاثرون فى تلك المنطقة. نزل الضابط بمفرده ودخل إلى قسم الشرطة ثم عاد بعد قليل ليستقل السيارة، وهمس للسائق بأمر ما. وسارت السيارة إلى أن توقفت أمام بناء ضخم بمنطقة «القلعة» مكتوب عليه «سجن مصر العمومى، تأديب وتهذيب وإصلاح» .

اجتزنا بوابة السجن حتى وصلنا إلى مكتب المدير، وكان وقتها العميد «أحمد مسلم» الذى سلمنى الضابط له وأخذ توقيعه على أوراق تسليمى، وانصرف . اصطحبنى أحد الضباط إلى سجن النساء، وهو جزء من سجن مصر مخصص للنساء. وجدت زنزانة مفتوحة وبها سرير «سفرى» بدون فرش، وواضح على الزنزانة التى كانت تحمل رقم «٥» أنها نُظفت حديثا، فأدركت أن عبد الناصر «عمل الواجب» وراعى صداقته وزمالته لزوجى ! .

وجاءت المعتقلات السياسيات الأقدم منى فى السجن للترحيب بى - أذكر منهن السيدة «ميمى» زوجة الشاعر كمال عبد الحليم، والسيدة «مارى» زوجة الكاتب المعروف سعد كامل، والرسامة آمال عبد النور - عرّفننى بأنفسهن وعرفتهن بنفسى، وأخبرننى

بأنه منذ عدة أيام والسجن على قدم وساق، ومن حين لآخر يقومون بتنظيف زنزانة معينة، والشائعة المنتشرة أنه سيتم القبض على زينب الوكيل زوجة مصطفى النحاس باشا، وإحضارها إلى هنا، ونحن فى حالة ترقب ننتظر الشخص الذى سيأتى والذى جعلهم ينظفون الزنزانة. أخذت أتكلم معهن، وكنت ثائرة جدا فلم أكن أتوقع هذا من رفقاء سلاح يوسف صديق الذين كان يطلق عليهم الفرسان .. لم أكن أتخيل أن يقبضوا على زوجته التى أسهمت فى تنظيم الضباط الأحرار وحملت منشوراتهم فى حقيبتها معرضة نفسها للخطر، وأن يتركوا طِفْلَيْ يوسف صديق بمفردهما فى صحراء العباسية يبحثان عن أهل يوسف صديق الذى أنقذ «الضباط الأحرار» ليلة الثورة، ولولاه لأُعدموا رميا بالرصاص، ولولاه لما جلسوا على كراسى الحكم .

بعد قليل استكملوا فرش الزنزانة رقم «٥»، ثم حضر مدير السجن ومعه آخر عرّفنى عليه بأنه مدير مصلحة السجون، وكان يبدو على وجهيهما مسحة من الحزن والاستنكار، لدرجة أننى همست لنفسى : مازال فى مصر رجال شرفاء .

وعشت أيام الحبس الانفرادى داخل الزنزانة رقم «٥» لا أخرج منها إلا يومين فى الأسبوع لأتوجه إلى مستشفى السجن لعمل جلسات كهرباء على ساقى المريضة، لمدة ربع ساعة، ثم أعود إلى زنزانتى .

وبعد بضعة أيام من اعتقالى، وصلنى خبر عن طريق زميلاتى السياسيات بأنه تم اعتقال مجموعة من شباب العائلة منهم أبناء شقيقتىَّ «خيرية وسعاد»: جمال الأزهرى، ومحيى الأزهرى، ويوسف الأزهرى، ووائل الأزهرى الذى كان عمره ١٣ عامًا وفى السنة الثانية الإعدادية، وتوفيق سعيد الأزهرى الذى كان عمره ١٦ عاما وكان طالبا فى المرحلة الثانوية، والأستاذ أحمد حامد الأزهرى، والأستاذ يوسف كمال ابن خالى .. حتى «الشغال» حسين عبد الجواد الذى كان يقوم بخدمتنا قبضوا عليه وأودعوه السجن الحربى، ليس هو فقط، بل وشقيقه «رجب» الذى كان يعمل لدينا قبل ذلك بسنوات. ومما يذكر أن وجود الشقيقيْن حسين ورجب عبد الجواد بالسجن الحربى، وهما أميَّان ولا ينتميان لأى حزب سياسى، أثار حالة من الاستغراب، لذلك كان كثير من المعتقلين السياسيين يسألونهما عن سبب اعتقالهما، فكانا لا يجدان إجابة إلا أنهما «بتوع يوسف صديق» .

ومن الطريف أيضا أن حسين عبدالجواد كان معتقلا فى عنبر واحد مع الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس، ونشأت بينهما زمالة سجن، حتى إن حسين عبدالجواد كان يعتبر نفسه من أصدقاء الأستاذ إحسان المقربين، وبعد الإفراج عنه كان مداوما على زيارة «صديقه» إحسان للاطمئنان عليه، وكان دائم الزهو بهذه العلاقة إلى أن توفاه الله .

عادت الزميلة «ميمى» يومًا من المحكمة وقد صدر عليها حكم بالسجن ٨ سنوات بتهمة قيادة وتأسيس منظمة شيوعية. وأصابنا هذا الحكم بالاستياء من النظام الجديد. لقد كانت عقوبة هذا الاتهام فى عهد الملك فاروق لا تزيد على ثلاث سنوات، ولكن الآن فى عهد «حركة الجيش المباركة» أصبح الحكم ثمانى سنوات، وأصبحت الجريمة السياسية أشد من الجريمة الجنائية .. فالمحكوم عليه فى جناية يُفرج عنه بعد تمضية ثلاثة أرباع مدة العقوبة، أما المحكوم عليه فى جريمة سياسية فلابد أن يقضى فى السجن مدة العقوبة بالكامل .

أعود إلى أيامى فى الزنزانة رقم «٥» بعنبر النساء بسجن مصر العمومى، بعد فترة من اعتقالى، فأذكر أن ذلك كان وقت إعدام أئمة الإخوان المسلمين المحكوم عليهم فى قضية محاولة اغتيال جمال عبد الناصر بميدان المنشية بالإسكندرية. وقد كان لهذه الأحكام تأثير سلبى فى نفوسنا، خاصة أننا كنا غير مصدقين لقصة محاولة الاغتيال، علاوة على ما صاحب ذلك من محاكمات غير قانونية وأسلوب فج من البكباشى جمال سالم عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المحكمة .

فى تلك الأثناء طلبتنى إدارة السجن، فتوجهت بصحبة أحد الضباط إلى هناك. دخلت إلى حجرة جانبية، فوجدت شخصا ما يقف فى أحد أركان الحجرة كالتمثال، وشخصا مدنيًا يجلس إلى مكتب وبجواره ضابط بوليس ضخم الجثة، وأمام المكتب يجلس شخص مدنى آخر عرفت فيما بعد أنه كاتب التحقيق. وبدأ وكيل النيابة التحقيق معى بأن قدم لى ورقة «فلوسكاب» مكتوبا بها أسماء كثيرة، وطلب منى قراءتها، فرفضت وقلت له: اقرأها أنت إذا شئت، أما أنا فلا أريد أن أقرأ شيئا .

أخذ يقرأ بصوت مسموع، أسماء كثيرة .. أعضاء مجلس الثورة .. وأسماء أخرى لا أعرفها، ولكن لفت نظرى اسم شخص يدعى «نصير»، وكنت أسمع اسمه يتردد على أنه من الرياضيين .

كان وكيل النيابة يقرأ الأسماء، وأنا أنتظر أن أعرف الموضوع وما علاقتى بتلك الأسماء، ولما انتهى من القراءة سألته عن الأمر، أجابنى بأن تقرير جهاز المخابرات يقول إننى كنت أعد لاغتيال هذه الشخصيات .

وجدتنى بالرغم منى أضحك ـ وشر البلية ما يضحك كما يقولون ـ أنا السيدة المريضة المحددة إقامتها وزوجها معتقل، متهمة بالإعداد لاغتيال كل هؤلاء الضباط الحكام الذين تسهر القوات المسلحة على حمايتهم وحراستهم!! على أثر ضحكى، ضحك وكيل النيابة أيضا، سألته : كيف سأجمع كل هؤلاء الضباط فى مكان واحد لكى أقوم باغتيالهم ؟ وكيف سأغتالهم ؟ رد علىَّ موضحا بأننى كنت ـ حسب ما جاء بمحضر التحريات ـ سأقوم بشراء قنبلة ومسدس، فسألته : وممن سأشترى هذه الأشياء ؟ رد قائلا : كنت ستقومين بالشراء من شخص اسمه «عرابى» . فسألته: «...عرابى ؟»، ردَّ قائلا: واضح أنك تعرفينه وتذكرين اسمه جيدا، فقلت له: هل يمكن لاسم «عرابى» أن يُنسى ؟ هل يمكن أن تنسى سيادتك عرابى باشا وموقعة التل الكبير؟ أما عن معرفتى به .. فأنا أتذكر أن الطيار حسن عزت «عديل» البكباشى أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة، وهو صديق للأسرة، زارنا ذات يوم فى أواخر عام ١٩٥٢ وكان معه صديق له، عرفنا به قائلا: «... عرابى»، فعلق فى ذهنى «عرابى» لارتباطه باسم عرابى باشا .. يومها تركت الضيفين مع يوسف وعدت إلى مشاغلى المنزلية، ولم أَرَهْ بعد ذلك ولم أسمع عنه إلا الآن. ثم استطردت : ولكن كيف سيتم اغتيال كل هذه الشخصيات بقنبلة ومسدس ؟ هل هم «حزمة» مربوطة مع بعضها ؟ مع أن لكل منهم عمله ومنزله وسيارته وحراسه؟ كيف سأجمعهم فى مكان واحد ثم أقوم باغتيالهم جميعا بقنبلة ومسدس ؟ لو سيادتك أردت إخراج لص مختبىء فى حقل ذرة بالقنبلة والمسدس فلن تستطيع، فكيف أفكر هذا التفكير الساذج وأنا زوجة ضابط جيش وابنة ضابط جيش ووالد زوجى ضابط جيش، وعاصرت حربين وثورة (الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين وثورة ٢٣ يوليو)، وأعلم جيدا كيف يُعَدُّ للقتال .. لستُ أنا التى تفكر فى عمل انقلاب ضد حكومة عسكرية بقنبلة ومسدس، هذا كلام سفهاء، وعلى كل حال فأعضاء مجلس الثورة أسماء معروفة وقد تكون مستهدفة، ولكن الشخص الذى ذكرته ضمن الأسماء ويدعى «.. نصير»، ماذا فعل هذا المسكين حتى يفكر أحد فى اغتياله،

وأنا أعرف أن كل اهتماماته رياضية بحتة، وليس له علاقة بالجيش أو بالسياسة، ردَّ علىَّ وكيل النيابة قائلا : ألا تعرفين أنه ضابط بالجيش ؟ فوجئت بهذه المعلومة، وقلت له: طبعا لا أعرف، وعلى كل حال ماذا فعل هذا المسكين فى حياته حتى يفكر أحد فى اغتياله ؟.

قدم لى وكيل النيابة ورقة «فلوسكاب» بيضاء وقلما، وطلب منى أن أنقل الأسماء التى قرأها علىَّ بخطى فى الورقة «الفلوسكاب»، فطلبت منه إملائى الأسماء وأنا أكتبها. وفعلا تم ذلك حتى انتهيت من كتابة كل الأسماء بخط يدى ووقعت على الورقة باسمى، وتسلمها وكيل النيابة . ثم فتح ملفا أمامه وأخرج منه مجموعة من الأوراق البيضاء الفاخرة، وقدمها لى على أساس أنها منشورات ضبطت بمنزلى أثناء التفتيش . أمسكت بالأوراق وفحصتها، وجدتها ١٣ رزمة منشورات من ورق أبيض فاخر لا يتناسب مع إمكانات المنظمات الشيوعية الفقيرة، كما لفت نظرى فى الصفحة الأخيرة لأحد المنشورات كلمتان غريبتان هما «يعقوب»، «عرقوب» .. ضحكت وسألت وكيل النيابة : هىَّ مخابرات عبد الناصر بتستعين بشخص مشعوذ يصنع لها المنشورات الشيوعية ؟ ثم استطردت : هذه المنشورات ذات الورق الفاخر والكلام الغريب لا يستطيع طبعها سوى مطابع مخابرات عبد الناصر. وأمسكت بإحدى «رزم» المنشورات، وأستأذنت وكيل النيابة فى قلمه، ورسمت مربعا حول جملة «لسان حال الحزب الشيوعى المصرى»، وكتبت أسفل المربع :«تعرض على السيد جمال عبد الناصر وزير الداخلية لإبداء شهادته فى هذا، فإذا قال إن هذه المنشورات تخصنى فسأقبل كل ما جاء ضدى بهذه القضية دون مناقشة»، ووضعت القلم على المنضدة وقمت واقفة لأنصرف. شاهدت ابتسامة على وجه وكيل النيابة، وفوجئت بضابط البوليس الذى كان جالسا يسألنى: «وهو جمال عبد الناصر حايعرف إزاى» ؟

رددت عليه وأنا متجهة إلى باب الخروج قائلة : «أنا وعبدالناصر ولدنا فى خلية واحدة»، وانصرفت .

لقد طلبت شهادة جمال عبدالناصر لأنه يعلم تماما أننى كنت على صلة بتنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو»، وليس تنظيم الحزب الشيوعى المصرى، فسيعرف على الأقل مدى فشل رجاله .. حتى فى التلفيق .

وبعد ذلك بعدة أيام عاد وكيل النيابة لاستئناف التحقيق معى. واجهنى هذه المرة بتقرير للمخابرات ينسب إلىَّ أننى كنت أنوى شراء سلاح فى شهر يوليو سنة ١٩٥٤ لعمل انقلاب، سألت وكيل النيابة :«كيف ذلك وأنا محددة الإقامة منذ أول إبريل سنة ١٩٥٤ وكنت أتوقع اعتقالى بين يوم وآخر، وهو ما حدث فعلا بعد ذلك بشهر واحد، أى فى الأول من مايو، فهل كنت سأشترى السلاح بعد القبض علىَّ؟ هىَّ البيضة الأول أم الدجاجة ؟ ومن ناحية أخرى بكم سأشترى السلاح ؟ ومن أين ؟ وهل أنا أملك أموالا لشراء سلاح يكفى لعمل انقلاب على حكومة عسكرية ؟ أم يا ترى قصة القنبلة والمسدس إياها» ؟.

سألت وكيل النيابة : «هل هذا الكلام يمكن أن يصدقه إنسان ؟ هل هناك إنسان عاقل قرأ هذا الكلام قبل أن تواجهونى به»؟ وبدأت أثور وصوتى يرتفع ويحتد عليهم. طلب منى وكيل النيابة عدم الصياح والاحتداد وإلا سيحبسنى، ضحكت ساخرة من قوله، وقلت له : «هُوَّ أنا دلوقتى مش محبوسة؟ إلا اذا كنت تقصد أن تُعدَّ لى سجن تفصيل .. افعلوا ما تستطيعون وما يحلو لكم، حتى لو علقتم لنا المشانق فى الشوارع، فإن هذا لن يرهبنا»، وتركتهم وانصرفت خارجة من غرفة التحقيق .

حضرت شقيقتى «خيرية» لزيارتى، وكانت تحمل لى مفاجأة قاسية لم أكن أتخيلها.. لقد استدعت نيابة أمن الدولة العليا طفلى «حسين» الذى لم يكن قد بلغ سن العاشرة بعد لأخذ أقواله، وأخذوا يسألونه عمن كان يزور والده فى المنزل، وماذا كانوا يقولون، وسألوه عن المنشورات، وهل رآها بالمنزل من قبل .. واستمروا فى سؤاله لعدة جلسات فى أيام متفرقة .

جعلنى هذا الخبر أكثر سخطا على جمال عبد الناصر ونظامه . فقد أدركت أنهم يحاولون بشتى الطرق تلفيق قضية قلب نظام الحكم لنا، بدليل المنشورات التى دسوها علينا، وأخذ أقوال طفلى «حسين»، ومحاولة استمالة الشقيقيْن اللذين كانا يعملان عندنا (حسين ورجب عبد الجواد) .. فعند التحقيق قدموا لهما أكواب العصير ووعدوهما بغداء من «الكباب»، ثم سألوهما عن المنشورات وهل سبق لهما رؤيتها فى منزل يوسف صديق بثكنات الجيش بالعباسية. وما إن نفى الاثنان رؤيتهما لهذه المنشورات من قبل، حتى قامت الدنيا ولم تقعد، وبدلا من أن يأكلا «الكباب» أكلا ضربا مبرحا بأيدى

وأقدام جنود السجن الحربى، حتى أنهما سقطا على الأرض فأخذ جنود حمزة البسيونى (مدير السجن) يدوسونهما بالأقدام والأحذية الميرى الغليظة، مما تسبب فى كسر عدة ضلوع لرجب عبد الجواد، فوضعوه فى مكان يسمى «الثلاجة» لإيقاف النزيف الداخلى الذى أصابه .

والواقع أن أسلوب معاملة المعتقلين والمعتقلات السياسيين فى سجن مصر، كان يختلف حسب مبادئ وأفكار مديره. ففى الوقت الذى اعتقلت فيه ـ وهو شهر مايو عام ١٩٥٤ ـ كان مدير سجن مصر العميد «أحمد مسلم»، وللحق فقد كان بمثابة الأب لنا جميعا، بل إنه كان كذلك حتى بالنسبة للمسجونين والمسجونات لجرائم جنائية، كان يعاملهم على أنهم بشر لا حيوانات .. كان إنسانا ذا خلق رفيع وذكاء وفطنة وشعور وطنى حقيقى، حتى لو اضطرته الظروف إلى الجهر بغير ذلك. لذلك عندما نقل من السجن، أقمنا له حفل وداع ودعوناه لحضور الحفل، وقامت الزميلة الرسامة المبدعة أمال عبدالنور برسم لوحة له، وأهديناه إياها . كما قامت الزميلة «مارى» بإلقاء كلمة تحية له ووداع باللغة الفرنسية حيث إنها فرنسية الأصل، وألقيت بدورى زجلا فى تحيته .

وللأسف الشديد عاصرت فى نفس السجن مديرا آخر شريرا بمعنى الكلمة، كان يتعامل مع المساجين كأنهم حيوانات .. فبعد أن كان يصرف لهم وجبة لحم طوال الأسبوع اختصرها إلى ثلاثة أيام فقط، وقال للمساجين إنه سيتم تخفيض مدة العقوبة مقابل تخفيض اللحم، وطبعا معظم المساجين جهلاء، فصدقوا وسكتوا. كما قام فى الأسبوع الأول من الشتاء بعمل حملة تفتيش على عنبر المسجونات الجنائيات، وقام بمصادرة الملابس الموجودة معهن غير ملابس السجن، حتى ولو كان «شبشب» ترتديه السجينة ليقيها شر برد الشتاء، أو جلبابا ترتديه أسفل جلباب السجن ليساعدها على مقاومة البرد .. فملابس السجن كانت كأنها مصنوعة من «شاش» لا تقى الإنسان من برد الشتاء، وطلب من السجَّانات تحرير بلاغ لأى سجينة ترتكب مخالفة لمعاقبتها حتى ولو تأخرت فى دورة المياه. وبعد أن انتهى من المسجونين والمسجونات، بدأ يتقدم فى اتجاه المعتقلين والمعتقلات لأسباب سياسية. بدأ بأسلوب الإزعاج والاستفزاز، فقام بتركيب ميكروفون موجه إلى كل معتقل أو سجين، ميكروفون ردىء يذيع ضوضاء على

مدار اليوم بالكامل، لا تستطيع أن تميز ما يذيعه غير الضوضاء والجلبة التى ترهق الأعصاب .

أرسلت له عدة مرات مع مرءوسيه بأننى مريضة ولا أتحمل هذا الإزعاج، وأن عليه إيقاف هذه الضوضاء وإلا سوف أقدم شكوى لرءوسائه .. ولكن دون جدوى .

وذات ليلة قمت أنا والزميلات المعتقلات بالسهر حتى الصباح، ونحن نتحدث مع بعضنا البعض من خلال نوافذ الزنازين . وفى الصباح خرجت فى «الفسحة» وتوجهت إلى السلك الممتد إلى الميكروفون .. وجذبته بشدة حتى قطع وفصل عن الميكروفون. وكان مكتب المدير «الهُمام» فى مواجهتى، لذلك كان يشاهد ما أفعله، ولم يتدخل أحد من ضباط السجن . نادى مدير السجن على أحد الضباط وسأله من أكون، فقال الضابط إنها السيدة علية توفيق حرم القائمقام يوسف صديق، فطلبنى ، ولما ذهبت إليه قال :

ـ كيف حالك ؟ أرجو أن تكونى سعيدة ؟

قلت له :

ـ جدا .. أتدرى لماذا أنا سعيدة جدا ؟

سأل :

ـ لماذا ؟

قلت له :

ـ لأننا أصبحنا لا نعرف للراحة طعما على يديك، وليكن واضحا فى عقل سيادتك أن دوام الحال من المحال .

رد قائلا :

ـ أنا أعرف أنك زوجة يوسف صادق .

فقلت له: «وأيضا لا تعرف اسمه»!، وتركته وانصرفت .

استمر ذلك المدير فى معاملته غير الإنسانية، واستمررت أنا والزميلات فى مواجهته فى كل مناسبة. وقمت بنظم قطعة زجل فى شخصه قلت فيها :

من يوم ما اتكرم شرفنا ∴ السيد المدير بلاغات

فرض قيود وسدود ∴ دوخنا ورا الأمانات

راجل طويل وعريض ∴ كمان وله شنبات

شمر كمامه وبرمهم ∴ قال إيه على الستات

نقل ذلك المدير وحل محله مدير آخر أفضل منه كثيرا . وذات يوم فوجئت بحملة من الضباط لتفتيش الزنازين، وعندما فتشوا أوراقى عثروا فيها على القصيدة التى كنت أهجو فيها المدير الشرير، فسلموها لرئيسهم، وهذا راح يقرؤها منفعلا بصوت عالٍ، ثم علق بانفعال أكبر قائلا لضباطه: «توقعوا منها وداعا كهذا»، فرددت عليه قائلة «المعاملة بالمثل والبادى أظلم» .

بعد أن اعتقلت فى أول مايو عام ١٩٥٤، ظللت حوالى شهرين بدون أى زيارة، فلم أر طفلىَّ (حسين ونعمت) أو أيًا من أشقائى أو شقيقاتى. وبعد ذلك سمح بالزيارة .. مرة كل شهر، وقد زارنى طفلاى مع خالتهما ووالدتى حوالى أربع مرات، وبقدر ما كنت أسعد برؤيتهم كان ينتابنى وينتابهم ألم شديد عقب انتهاء الزيارة. ولم تدم الزيارة الشهرية، فبعد حوالى أربعة شهور، منعت الزيارة، وأصبحت لا أرى طفلىَّ ولا يرياننى، حتى أننى قررت فى نفسى أنه عند أول زيارة تالية سأقوم باحتجازهما معى فى السجن .. وليحدث ما يحدث، لكن الزيارة التالية لم تأت، فقد ظللت بدون زيارة لمدة ثمانية أشهر إلى أن أفرجوا عنى .

وكانت تصلنى أخبار يوسف صديق بصورة غير منتظمة، وغالبا كان ذلك عندما تحضر شقيقتى «خيرية» لزيارتى ومعها طفلاى، فكانت تحكى لى أخبار أفراد عائلتنا المعتقلين سواء بالسجن الحربى، أو بمعتقل «القلعة» .

كان يوسف صديق ساخطا بشدة على جمال عبد الناصر ليس بسبب اعتقاله له، بل بسبب اعتقاله لى أنا، حتى أنه كتب قصيدتيْن يهجو فيهما عبدالناصر بسبب هذا التصرف، الأولى بعنوان «فرعون»[٩٨] التى قال فيها:

(٩٨) راجع ديوان شعر يوسف صديق «ضعوا الأقلام»، قصيدة «فرعون»، ص ٤٧ .

سجنْت النســاء ولـم تحتـرمْ .·. وقـار الشيــوخ وطولَ الذقون

أعرِضَـى يُبـــاح ويُلقـى بـه .·. على ناظريْكَ بقاع السجــون؟

أما القصيدة الثانية بعنوان «المجد الزائل»[٩٩]، فقد قال فيها:

وأظهرت بأسك للنساء بخ بخ .·. أتيت بما لـم تستطعه الأوائلُ

كان يوسف صديق رجل مواقف، يبنى رأيه فى أى موقف أو قرار على مدى تأثير هذا الموقف أو ذلك القرار على المصلحة الوطنية لمصر وشعبها، لذلك لم تكن مفاجأة لى عندما علمت أنه بالرغم من اعتقاله .. أرسل برقية تهنئة لجمال عبدالناصر بمناسبة توقيعه اتفاقية الجلاء . وعندما قال البعض ليوسف : كيف تهنئ باتفاقية تنص على عودة الإنجليز إلى مصر فى حالة الاعتداء على أى بلد حليف لإنجلترا ؟ رد عليهم يوسف قائلا: «إننا لن نسمح لهم بالعودة ثانية أيا كان المكتوب فى الاتفاقية .. المهم الآن أن يرحلوا عن بلادنا» .

هذا هو يوسف صديق دائما، يسمو فوق كل ما هو شخصى ومهما كان النكران والجحود، أمام المصلحة العليا للوطن .

الإفــراج

أصدر عبدالناصر قرارا بالإفراج عن يوسف صديق، لكن يوسف رفض أن يفرج عنه.. وطالب عبد الناصر بأن يفرج عنى أولا . فأرسل له عبدالناصر يخبره بأن قرارَىْ الإفراج عنه وعنى قد صدرا، وأن عليه الخروج من السجن وأننى سألحق به خلال ساعات، فأفرج عن يوسف بعد ١٤ شهرا (من ابريل ١٩٥٤، حتى يونيو ١٩٥٥). وصلنى خبر الإفراج عن يوسف صديق وأنه من المنتظر الإفراج عنى بين لحظة وأخرى .

ومرت اللحظات والساعات والأيام ولم يفرج عنى .

وذات صباح أثناء «الفسحة» قالت لى الزميلة «أمال عبد النور»، وهى عربية الأصل (فوالدها من «حلب»، ووالدتها من «فلسطين») ورسامة مبدعة، قالت لى : أنت ستخرجين

(٩٩) راجع المرجع السابق .

«إفراج» وتتركيننا دون أن تقولى عنى بعض أبيات الشعر مثلما فعلت مع الآخرين، فقلت لها هذه الأبيات :

أمال يابنت العرب ∴ يا أم الكفاح العنيف
صوتك موسيقى وطرب ∴ ودينى دمك خفيف
يابنت حيفا وحلب ∴ للنيل كسبناك
يا أم الكفاح الصلب يسلم محيّاك
مجرم جاسوس راحلك ∴ فى البيت واتحنجل
وتهمتك عنده ∴ بين مطرقة ومنجل

وذات يوم من شهر يوليو عام ١٩٥٥ حوالى الساعة ١١ صباحا ـ بعد حوالى شهر من الإفراج عن يوسف صديق ـ فوجئت بالعميد «محمود صاحب» مدير السجن أمامى فى الزنزانة وخلفه عدد من الضباط .. على وجهه ابتسامة عريضة وسعادة غامرة وأبلغنى بخبر الإفراج عنى. ومن فرط سعادته هنأنى عدة مرات، حتى خلت أنه هو الذى حصل على الإفراج وليس أنا، كما أبلغنى أن ضابطيْن حضرا لتسلمى من السجن .

وما إن سمعت زميلاتى المعتقلات السياسيات الضوضاء الناتجة عن حضور مدير السجن ومن معه، وصوته وهو يهنئنى بالإفراج، حتى تعالت أصواتهن بالتهانى، ثم ارتفعت الهتافات : «عاش كفاح الشعب المصرى .. عاش كفاح يوسف صديق .. عاش كفاح علية توفيق»، والغريب أن السجينات الجنائيات أيضا أخذن يرسلن التهانى، ويبلغن بعضهن نبأ الإفراج عنى بأصوات مرتفعة :

ـ الست علية زنزانة خمسة سياسة .. إفراج .

وأخذن فى ترديد الهتافات وراء الزميلات المعتقلات،حتى تحول عنبر النساء إلى مظاهرة كبيرة من الهتافات والتهانى، فهرول مدير السجن إلى مكتبه طالبا منى اللحاق به فور الانتهاء من إعداد نفسى للرحيل .

تحديد إقامتى بمنزل زوجة زوجى

ودعت الزنزانة رقم «٥» بعنبر النساء بسجن مصر العمومى، والتى عشت فيها ١٤ شهرا (من مايو عام ١٩٥٤ حتى يوليو عام ١٩٥٥)، كما ودعت زميلاتى: ميمى، مارى، وآمال .. لقد كنّ لى نعم الشقيقات، وكم أتمنى أن يأتى الوقت الذى يقرأن فيــه هذه السـطور فقد تكون هى الأخرى تحية وداع .

ودعت الرجل الفاضل العميد «محمود صاحب» مدير السجن، والضباط، ثم ركبت سيارة ملاكى مع ضابطيْن يرتديان الملابس المدنيّة، وانطلقت بنا السيارة إلى سجن أخر .. إلى تحديد الإقامة .

أثناء انطلاق السيارة فى شوارع القاهرة، سألت الضابطيْن :

– إلى أين نحن متجهون الآن ؟

رد أحدهما :

– إلى منزل زوجك بحلمية الزيتون

فقلت له : إن هذا المنزل ليس منزل يوسف صديق، لكنه منزل ملك زوجته الأخرى السيدة توحيدة صبرى . وكانت المفاجأة هى أن الضابطيْن يعرفان ذلك، لكن التعليمات التى صدرت إليهما تقضى بتحديد إقامتى مع يوسف صديق فى نفس المنزل، وهو يقيم بمنزل حلمية الزيتون، فيكون تحديد إقامتنا معا هناك .

أصابتنى الدهشة من ذلك القرار الذى يحدد إقامة زوجة بمنزل الزوجة الأخرى، دون مراعاة لأية مشاعر إنسانية .. لكنها أوامر الحاكم !

وجدت يوسف فى انتظارى ومعه «حسين» ابنى، وباقى أبناء يوسف صديق . علمت من «حسين» أنه عرف بأمر الإفراج عنى عندما ذهب مع خالته لطلب تصريح لزيارتى ، ورآهما اليوزباشى محمد السقا وهما يتكلمان مع الضابط المختص بموضوع التصريح، فأمسك سماعة التليفون وتكلم مع شخص ما قائلا : «أرسلنا لكم قرار الإفراج عن السيدة علية توفيق، متى سيتم الإفراج عنها؟ .. غدا؟ .. شكرا»، وبالتالى فهمت شقيقتى أن اليوزباشى « محمد السقا» أراد إبلاغها بقرار الإفراج وموعده بطريقة غير مباشرة، فأرسلتْ «حسين» لإبلاغ والده .

وبعد أن تم الإفراج عنا - أنا ويوسف - بدأنا نعود للحياة الأسرية الطبيعية، فنقلت طفليَّ من منزل خالتهما السيدة «خيرية توفيق» زوجة المستشار أحمد محمد الأزهرى، حيث كان الطفلان يقيمان طوال فترة اعتقالى، وكانت لهما نعم الأم، وكان المستشار أحمد الأزهرى (وهو بمثابة عم ليوسف صديق) لهما بمثابة الأب .

وكان طبيعيا أن نجلس - أنا ويوسف - ونستعيد ما مرَّ بنا من أحداث. وقد علمت من يوسف أنه أثناء وجوده بالسجن الحربى فوجئ بشخصيْن مدنيين يتوجهان إليه بصحبة أحد الضباط، حيث كان يجلس بحديقة السجن، وقدمهما له الضابط على أنهما من «نيابة أمن الدولة العليا»، وأضاف أحدهما أنه حضر لأخذ أقواله فى الاتهامات المنسوبة إليه. رد يوسف على المتكلم قائلا :

- الدولة لديها أمن كثير، نحن نريد أمن الشعب .

وقام بطردهما من أمامه بجرأته المعهودة .

وأضاف لى يوسف أنه أرسل إلىَّ بألاَّ أقبل التحقيق، وأن أطردهم كما فعل . أخبرته بأن هذه الرسالة الشفوية لم تصلنى ، ولم أعلم بها إلا الآن .

كما روى لى يوسف حجم التعذيب الذى تعرض له الإخوان المسلمون فى السجن الحربى، وكيف كانوا يقفون صفوفا ليرددوا أغنية «يا جمال يا مثال الوطنية» التى تذاع عليهم عبر الميكروفون، والجنود يحملون «السياط» ويدورون حولهم ليلهبوا ظهر كل من يتراخى فى أداء الأغنية، هذا بخلاف من ينزلون ضيوفا على «العروسة»(١٠٠) وتلهب السياط ظهورهم حتى يتطاير اللحم فى الهواء وتسيل الدماء .

وأعتقد أن مثل هذا العنف الذى تعرض له بعض جماعة الإخوان المسلمين كان سببا فى ازدياد مساحة العنف فى نفوس هذه الجماعة .

بدأنا نبحث عن أثاثنا وملابسنا وكافة حاجياتنا التى تركناها بمنزلنا بثكنات الجيش بالعباسية، فلم نجد أى شىء .. لا أثاث، ولا ملابس، كأننا لم نسكن هناك يوما . وجاءتنا

---

(١٠٠) العروسة : عبارة عن شكل صليبى يتم ربط الشخص به مفرود الذراعين، ممدود الجسد ، وتقيد يداه فى طرفى الصليب ، وتقيد رجلاه من أسفل .

الإجابة بأن المسكن شُغل بواسطة القائد الجديد للواء السابع مشاة، وبأنهم لا يعرفون شيئًا عن متعلقاتنا .

وهكذا أصبح لزامًا علينا أن نبحث عن مسكن جديد .

وبحثنا على عجل فى المنطقة القريبة من منزل حلمية الزيتون، فوفقنا إلى شقة صغيرة فى منطقة الزيتون، وبدأنا فى تأثيثها شيئًا فشيئًا، على قدر إمكانياتنا المادية المحدودة . وأمام مسكننا الجديد كانت هناك قطعة أرض فضاء .. رابط فيها جنود تحديد الإقامة داخل خيمة عسكرية يرصدون منها ما كلفهم به رؤساؤهم، ويمنعون خروجنا أو دخول أى زائر إلينا .

وبعد أن التقطنا أنفاسنا من فترة الاعتقال بشقتنا الصغيرة، بدأنا على مهل نبحث عن مسكن آخر أفضل . وبعد حوالى شهرين وجدنا ضالتنا .. «ڤيللا» بضاحية عزبة النخل التى تتسم بالهدوء والسكينة، وكانت من حسن الحظ واسعة ذات حديقة كبيرة وإيجارها يناسب ظروفنا المالية. وأتذكر أن زارنا بها السيد زكريا محيى الدين .. فقد فوجئنا ذات يوم بإصابة ابنى «حسين» بارتفاع كبير فى درجة الحرارة، وكنا فى آخر الشهر، وطلبت من يوسف أن يتصل بأحد ما ليرسل لنا طبيبا من المستشفى العسكرى، إلا أنه رفض وطلب منى إعطاءه أسبرين وعصير ليمون، ويبدو أن السيد زكريا محيى الدين علم عن طريق التقارير التى تكتبها قوة تحديد الإقامة بمرض «حسين»، فوجدناه فى المساء يزورنا ليطمئن على صحة « حسين» .

أخذنا فى ترتيب أمر إقامتنا بالسكن الجديد، وقد استغرقنا ذلك بعض الوقت. وتعرفنا على جار لنا هو «الخواجة جَوانى»، وهو ليس بخواجة لكنهم ينادونه هكذا .. إنسان طيب ذو خلق وشهامة، وكانت زوجته السيدة «نرجس» بمثابة أخت لى، فقد صرنا جيرانا وأصدقاء. اقترح علىَّ «الخواجة جوانى» استغلال حديقة «الڤيللا» بإنشاء مزرعة دواجن عليها مثل التى أنشأها بمنزله، فهى هواية لطيفة ومفيدة ومسلية. وجدتها فكرة صائبة، خاصة فى ظروف الحصار الاقتصادى الذى فرضه علينا جمال عبد الناصر. فمعاش يوسف كان ٤٨ جنيها فى الشهر .. يصرف منه على أسرتيه، ويساعد أقاربنا الذين اعتقلوا وفصلوا من عملهم بسببنا. وحضر «الخواجة جوانى» وأشرف

بنفسه على إعداد الأماكن اللازمة لتربية الدواجن، كما أمدنا من مزرعته بسلالات أجنبية، وعلمنا أصول تربيتها، وقد ساعدنا ذلك كثيرا على مواجهة أزمتنا الاقتصادية .

رفع تحديد الإقامة عنى

ذات يوم شاهدتْ ابنتى نعمت (٧ سنوات) أطفالا يلعبون، وتصادف أن باب «الڤيللا» كان مفتوحا، فخرجتْ لتلعب معهم، ففوجئت بعدم وجودها بالمنزل، ولما بحثت عنها شاهدتها خارج «الڤيللا» فأسرعت إلى الخارج لإعادتها. جرى خلفى أحد أفراد الحراسة، ولما سألته عن سبب متابعته لى، تعلل بأن خروجي من المنزل ممنوع لأنى محددة الإقامة، وسببت الذين أعطوه هذه الأوامر. جرى الجندى متوجها إلى محطة السكة الحديد ـ وهى قريبة جدا من المنزل ـ حيث إن بها «تليفون» عمومى، تعقبته، فوجدته ـ كما توقعت ـ يتصل تليفونيا بشخص ما وأخذ يحكى له ما قلته له. انتزعت من يده سماعة التليفون، وقلت للشخص الذى على الطرف الآخر: هربتم ليلة الثورة والآن تتصنعون البطولة على النساء والأطفال!! وأغلقت خط التليفون وعدت إلى المنزل .

وبعد أقل من أربع وعشرين ساعة على تلك المكالمة صدر الأمر برفع تحديد الإقامة عنى ، وبقائها مستمرة على يوسف صديق .

الفصل التاسع

من أجل مصر

يوسف صديق وتأميم قناة السويس

قام جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ . اشتعل يوسف صديق حماسا مؤيدا عبدالناصر، وهبط عليه وحى الشعر فنظم قصيدة «الله أكبر»[١٠١] وأهداها إلى عبدالناصر على صفحات جريدة الجمهورية .

ووقع خبر تأميم عبد الناصر لقناة السويس على الغرب وقع الصاعقة، فأخذ يهدد ويتوعد، وحاول أن يرهب عبد الناصر، وأرسل رسولا: «منزيس» - رئيس وزراء أستراليا فى ذلك الوقت - للتفاوض، لكنه أتى فى الحقيقة مهددا متوعدا حتى نعدل عن قرارنا بتأميم القنال .

وما إن سمع يوسف صديق بخبر إرسال الغرب لـ «منزيس» حتى ثار وأخذته العزة الوطنية، فنظم قصيدة موجهة إلى «منزيس»[١٠٢] نشرتها جريدة الجمهورية يوم وصول «منزيس» إلى مصر، أذكر منها :

رسولَ الغربِ حَيِّ النيل واخفض ∴ قوامَكَ بالتحيةِ والجبينا

وحَيِّ معالم التاريخ واركع ∴ تبرّكْ بالقنال وطورِ سينا

(١٠١) راجع ديوان شعر يوسف صديق « ضعوا الاقلام »، ص ٥٧، قصيدة « الله أكبر » - بمناسبة تأميم قناة السويس .

(١٠٢) راجع المرجع السابق ، ص ٦٣، قصيدة « إلى منزيس » .

إلى الوادى المقدس جئت فأخلعْ .·. بـه نعليـكَ شــأن المؤمنينــا

وتمتم بالســلام تكـنْ حصينــا .·. وتحيــا ســالما ما دمت فينا

سـعيتَ إلى العرينِ فكـن لبيبــا .·. يخُــون اللــبُّ من زار العرينـا

يوسف صديق يدعو للمقاومة الشعبية

قامت حرب السويس .. عدوانا استعماريا ثلاثيا على مصر. وما كان شيء ليمنع يوسف صديق من أن يخرج ليذود عن وطنه، حتى لو كان ذلك الشيء الجنود المدججين بالسلاح الذين وضعهم عبد الناصر ليمنعوه من الخروج من منزله .

هب يوسف صديق وارتدى ملابسه العسكرية وخرج إلى الشارع .. كاسرا تحديد الإقامة .. يدعو الناس إلى الانتظام فى صفوف المقاومة الشعبية، واتخذ من مدرسة المعلمين بعزبة النخل مقرا للمقاومة الشعبية .

لقد كان منظرا فريدا .. يوسف صديق بملابسه العسكرية يسير وخلفه جنود حرس تحديد الإقامة يتبعونه .

هذا هو موقف يوسف صديق المحددة إقامته، فى الوقت الذى طالب فيه أحد أعضاء مجلس القيادة جمال عبد الناصر بتسليم نفسه للسفارة البريطانية تفاديا للحرب وحلا للنزاع بين الدولتين .

وبعد أيام قلائل صدر قرار برفع تحديد الإقامة عن يوسف صديق. لقد كان ذلك القرار اعترافا بالأمر الواقع الذى فرضه يوسف صديق، أو اعترافا بالأمر الواقع الذى فرضته مصر عندما نادت أبناءها ليسرعوا بالذود عنها ضد العدو الغاشم .

وأرسل عبدالناصر ليوسف صديق ضباطا ومعلمى تدريب وأسلحة حديثة، وسيارات عسكرية وذخيرة لتدريب المواطنين على استخدام السلاح، وعلى حرب العصابات .

والتف كل رجال وشباب عزبة النخل حول يوسف صديق يتدربون فى المقاومة الشعبية .. حتى الشباب الصغير، زملاء «حسين» ابنى، والذين لم يتجاوزوا الثالثة

عشرة من عمرهم انتظموا فى المقاومة الشعبية، أذكر منهم موريس، وأمازيس، وجوزيف، ومحمود وكثيرين غيرهم .

كانت أياما رائعة كشف فيها الشعب المصرى بكل طوائفه عن معدنه الأصيل، وعن تضامنه والتحامه وقت الشدة .

انتهت أزمة قناة السويس وتوقفت المعارك الحربية، وذات صباح فوجئنا بعدم وجود الضباط والمعلمين والسلاح والسيارات .. اختفى كل شىء كأنه حلم ليلة صيف .. حتى دون أن يقولوا لنا السلام عليكم .

ورُفع تحديد الإقامة عن يوسف صديق، فتصور البعض أن الخطر قد رفع عنه أيضا خاصة عندما شاهدوه ينظم المقاومة الشعبية، فبدأوا يتوافدون علينا للتهنئة برفع تحديد الإقامة. وكان ضمن هؤلاء اثنان من «المساعدين» الفنيين بالقوات المسلحة، كانا يسكنان بمنطقة عزبة النخل، ويبدو أنهما سمعا عن يوسف صديق، فحضرا للتهنئة وللتعرف عليه، وترددا علينا عدة مرات، وفجأة اختفيا ولم نعد نراهما. وذات يوم زارتنا سيدة عرفنا أنها زوجة أحدهما، وأخبرتنا بأنه تم القبض عليهما، ومنذ ذلك الوقت لم يتم صرف راتبيهما، مما أرغم زوجتيهما على أن تبيع كل منهما أثاث بيتها لإطعام أطفالها. والحقيقة أن يوسف قد استنتج ماحدث منذ انقطاعهما فجأة عن زيارتنا، وكان يرى أن ما حدث لهما كان بسبب زياراتهما له. صحيح أن تحديد الإقامة قد رفع، ولكن المراقبة السرية ومتابعة تحركاته ومراقبة المكالمات التليفونية لم تتوقف .

وبعد ذلك عرفنا أنــه أُفرج عنهما لكنهما فُصلا من عملهما بالقوات المسلحة .

تقدم يوسف صديق لانتخابات مجلس الأمة

خلال عام ١٩٥٧ تقرر فتح باب الترشيح لانتخابات مجلس الأمة . وذات يوم فوجئنا بحضور وفد من عائلتنا، علاوة على بعض شخصيات مركز الواسطى ومديرية بنى سويف . وكان سبب حضورهم مطالبة يوسف صديق بترشيح نفسه لانتخابات مجلس الأمة عن مديرية بنى سويف . كان رأى يوسف أن جمال عبدالناصر لن يسمح بذلك، لكن أفراد الوفد خالفوا يوسف فى الرأى. وبعد مناقشات طويلة اتفقوا على خوض

التجربة، وفعلا توجهوا معا إلى مديرية أمن بنى سويف، التى كانت تتلقى طلبات الترشيح، وقدموا الأوراق . وحدث ما توقعه يوسف صديق، فقد رُفض الطلب لأن اسم يوسف صديق كان مدرجا ضمن أسماء المعزولين سياسيا[١٠٣].

ومن الأمور المحزنة أن يوسف صديق عندما توجه إلى بنى سويف، نزل ضيفا على قريب لنا هو سعد الدين حسين حلمى (المدرس بمديرية تعليم بنى سويف)، وبعد أن غادر يوسف صديق بنى سويف تم اعتقال سعد الدين ولم يفرج عنه إلا ليموت بمنزله .. فقد كان مريضا بالقلب ولم تتحمل حالته الصحية ما تعرض له داخل المعتقل .

منزل يوسف صديق ملاذا للوطنيين فى كل العصور

كان منزل يوسف صديق فى عهد الملك فاروق ملاذا للمناضلين يختفون فيه عن أعين البوليس السياسى. فقد اختبأ كمال عبد الحليم بمنزل يوسف صديق بثكنات الجيش بالعباسية فى الأربعينيات .. هربا من البوليس السياسى الذى كان يطارده، ونشرت صورته بالصحف، ورصدت مكافأة كبيرة لمن يرشد عنه. وفى عهد جمال عبدالناصر، لم يختلف الأمر كثيرا .. فمطاردة الوطنيين من كافة الاتجاهات السياسية كانت مستمرة، والمعتقلات تحتضن المئات منهم .. كل ما حدث هو تغيير اسم البوليس السياسى إلى المباحث العامة. ولاقى الإخوان المسلمون والشيوعيون التعذيب فى السجون والمعتقلات، وتم إعدام أئمة الإخوان المسلمين، واستشهد العديد من المناضلين تحت وطأة التعذيب مثل الشهيدين شهدى عطية الشافعى ومحمد عباس .

ظل منزل يوسف صديق ملاذا للوطنيين. ففى أواخر الخمسينيات أو أوائل الستينيات حضر إلى منزلنا النقابى والمناضل المعروف محمد على عامر .. وكانت المباحث العامة تبحث عنه، فاستضافه يوسف صديق فى منزله ، ومنحه حجرة مستقلة لها باب يفتح على الحديقة، وأثثنا له الحجرة قدر المستطاع، وكانت زوجته وأولاده يترددون عليه من حين لآخر .

(١٠٣) راجع ملحق الوثائق .

وتردد على منزلنا فى تلك الفترة السيد خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة. كما تردد علينا كثير من الضباط، أذكر منهم عبدالمجيد شديد الذى كان لازال يعمل ضمن نظام عبدالناصر، وكان يمكن أن يُضار بسبب ذلك، بالرغم من استئذانه جمال عبدالناصر فى زيارة يوسف صديق. كما كان يتردد علينا أيضا وحيد جودة رمضان وحسن أحمد الدسوقى، وصلاح عبدالحفيظ، ونصر جعيصة، ويوسف صبرى.. وأذكر من المدنيين: مراد حسين، ومحمود الهلالى .

ومما يذكر أننا كنا - أنا ويوسف - ذات صيف فى أواخر الخمسينيات، فى الإسكندرية، وذهبنا فى المساء لنجلس بأحد الكازينوهات التى تطل على البحر، فوجدنا الصاغ وحيد جودة رمضان يجلس هناك مع شخص آخر، ولما رآنا، استأذن من صديقه، وحضر إلينا وجلس معنا، وأخذ يتحدث عن خلافه مع عبد الناصر، وكيف تحول عبد الناصر إلى ديكتاتور يريد أن يتخلص منه ويبعده عن مصر بتعيينه سفيرا بإحدى الدول الأوروبية، لكن وحيد قرر عدم قبول ذلك، وعدم السفر. كان يتكلم بغضب شديد وفى قمة الانفعال. عقبت على كلامه قائلة إن عليه أن يعود إلى القاهرة الليلة ولو فى آخر قطار، وفى الصباح الباكر ينفذ قرار عبد الناصر حتى ولو كان السفر إلى آخر بلاد الدنيا، إذ كيف يكون ثائرا ضد جمال عبد الناصر ويتهمه بالدكتاتورية بينما الشعب كله يصفق لجمال عبد الناصر الذى أمم القناة .

وكان رأى يوسف مثل رأيى تماما، لذلك أخذ وحيد بما نصحناه به وسافر إلى «برن» بسويسرا، واستمر هناك إلى أن عاد محالا إلى التقاعد .. وعاش بعد ذلك وبينه وبين جمال عبد الناصر جفوة وقطيعة، وكنت أقول لوحيد رمضان فى نفسى: «لقد أُكلت عندما أُكل الثور الأسود» - كما جاء فى ملحمة «كليلة ودمنة» .

اعتقال ديوان يوسف صديق

فى أواخر الخمسينيات، كان يتردد علينا توفيق سعيد (الطالب بكلية التجارة وابن شقيقتى «سعاد») فيقضى معنا معظم الإجازة الصيفية. كان يوسف أبا روحيا له، خاصة منذ أن اعتقل بالسجن الحربى بسبب قرابته لنا. وكان يوسف بطبعه يميل إلى

السهر حتى ساعة متأخرة جدا من الليل يمكن أن تصل إلى فجر اليوم التالي، خاصة وهو متقاعد وغير مرتبط بأي عمل، فانتهزنا هذه الفرصة لاستعادة أشعاره التي نظمها خلال رحلة حياته. كان توفيق سعيد يهوى الأدب والشعر، فراح يدون الأشعار التي يتلوها يوسف صديق .. حتى تمكنا من تدوين معظم الأشعار في «دفتر» كبير.

وذات يوم زارنا الكاتب إبراهيم عبدالحليم، ورأى دفتر الأشعار، فأصر على أن يأخذه ويطبعه في دار النشر التي يملكها. وأمام إلحاح إبراهيم عبدالحليم وافقنا، وأخذ إبراهيم دفتر الأشعار وانصرف .

وبعد أيام قليلة وصلنا نبأ قيام جهة أمنية بمداهمة دار النشر واعتقال ديوان الشعر ومعه صاحب الدار. وعندما أفرجوا عن إبراهيم عبد الحليم، لم يفرجوا عن ديوان شعر يوسف صديق حتى الآن .. يبدو أنهم نفذوا فيه حكما بالإعدام .

وبعد وفاة يوسف صديق، قام ابننا «حسين» بتجميع ما استطاع من شعر والده، سواء من الصحف أو من ذاكرة الأقرباء والأصدقاء، وقام بطبعه في ديوان صغير صدر عام ١٩٩٩[(١٠٤)].

إذاعة صوفيا

ذات صباح من شهر يناير عام ١٩٦٠ سمعت رنين جرس التليفون، كان المتحدث مدير مكتب الرئيس عبد الناصر يسأل عن يوسف صديق ليكلم عبد الناصر . بدأ الحديث بينهما ببعض العبارات الودية، ثم دخل عبد الناصر إلى الموضوع، وهو قيام إذاعة صوفيا (عاصمة بلغاريا) بإذاعة أخبار عن تعذيب يوسف صديق داخل السجن، وكان من نتيجة ذلك أن قام الطلبة المصريون والبلغار بمظاهرة كبيرة اتجهت إلى السفارة المصرية بصوفيا منددةً بتصرف النظام المصري .

واقترح عبدالناصر حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل لمقابلة يوسف صديق وإجراء تحقيق صحفي مصور معه لنفي هذه الادعاءات. لكن يوسف قال له إن الأفضل

(١٠٤) راجع ديوان شعر «ضعوا الأقلام» ليوسف صديق، عن دار الشعب، عام ١٩٩٩.
راجع جريدة الأهرام بتاريخ ٧ فبراير ١٩٩٩، ص ٣٢، مقال الأستاذ فاروق جويدة بعنوان «يوسف صديق بين الثورة والشعر».

أن يتوجه بنفسه إلى السفارة البلغارية ويقابل السفير وينفى بنفسه تلك الادعاءات. اقتنع عبدالناصر برأى يوسف صديق، وصرف النظر عن موضوع التحقيق الصحفى المصور.

وفى صباح اليوم التالى (٢٧ يناير عام ١٩٦٠) استقل يوسف سيارة أجرة «تاكسى» وتوجه إلى السفارة البلغارية. لم يجد السفير فقد كان فى إجازة ببلغاريا، فقابل القائم بالأعمال، حيث شرح له عدم صحة الادعاءات التى بثتها «إذاعة صوفيا»، وأن هذه الادعاءات من شأنها أن تعكر الجو بين شعبيْن صديقيْن، وسلمه رسالة خطية بهذا المعنى[١٠٥].

كانت المخابرات تتتبّع يوسف صديق عندما توجه إلى السفارة البلغارية بالقاهرة، والتقطت له بعض الصور. فقد فوجئنا صباح اليوم التالى (٢٨ يناير) بصورة ليوسف صديق خارجا من السفارة البلغارية، على الصفحة الأولى لجريدة الأهرام[١٠٦]، بجوار مقال «بصراحة» لمحمد حسنين هيكل عن ذات الموضوع.

الإفراج عن شقيقى محمود توفيق

كان شقيقى محمود توفيق قد اعتقل فى عام ١٩٥٤ إبان هبّة مارس بتهمة الشيوعية، وقُدم لمحكمة «الدجوى» الشهيرة، حيث حكم عليه بالسجن ثمانى سنوات، ورُحِّل إلى معتقل الواحات لتمضية مدة العقوبة. وكان معه فى نفس القضية الأستاذ صلاح حافظ رئيس تحرير مجلة روزاليوسف فيما بعد.

---

(١٠٥) راجع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٦٠ ـ الصفحة الأولى ـ مقال «بصراحة» بقلم محمد حسنين هيكل.
وقد جاء فى الرسالة التى كتبها يوسف صديق للقائم بالأعمال الآتى:
«السيد المحترم القائم بأعمال السفارة البلغارية بالقاهرة ..
بعد الاحترام .. مقدمه القائمقام أ.ح يوسف منصور صديق عضو مجلس الثورة السابق، أعرض الآتى:
دأبت إذاعة «صوفيا» فى الأيام الأخيرة على ترديد اسمى فى إذاعاتها فى أخبار ليس لها ظل من الحقيقة. فهى تزعم أننى معتقل، وأننى ألاقى التعذيب فى المعتقل، وتردد ذلك فى مناسبات متعددة، الأمر الذى دعانى للحضور بنفسى إليكم لتأكيد عدم صحة هذه الأخبار. ولما كان ترديد مثل هذه الإذاعات لا يفيد شعب بلغاريا ولا شعب الجمهورية العربية المتحدة، فإننى قد أتيت لسيادتكم راجيا وضع حد لهذه الإذاعات البعيدة عن الحقيقة، والتى من شأنها أن تعكر الجو بين شعبين صديقين يعملان معا فى معسكر السلام. وإننى أرجو أن تقبلوا تحياتى وشكرى.
قائمقام أ.ح يوسف منصور صديق».

(١٠٦) راجع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٦٠، الصفحة الأولى.

وفى حوالى عام ١٩٥٩ أو ١٩٦٠ فوجئت بمكالمة تليفونية تبلغنى بأن أخى محمود توفى فى الواحات بسبب إصابته بالتهاب رئوى. طبعا انزعجت أنا ويوسف جدا، فمحمود توفيق ليس شقيقى فقط بل إنه ابن خال يوسف صديق وزوج ابنته الكبرى. هالنى الخبر حتى أن البيت تحول إلى مأتم. وقام يوسف بالاتصال بزكريا محيى الدين الذى كان وزيرا للداخلية فى ذلك الوقت وأبلغه بالخبر الذى وصلنا. وبعد فترة عاود زكريا محيى الدين الاتصال بيوسف، وأبلغه بأن الخبر غير صحيح وأنه أبلغ جمال عبدالناصر بالموضوع، وأن عبد الناصر أصدر قرارا بالإفراج عن محمود توفيق إفراجا صحيا، وأنه سيتم الإفراج عنه خلال أيام قلائل.

وأخيرا أُفرج عن شقيقى محمود توفيق بعد ست سنوات قضاها فى معتقل الواحات.

مقالات يوسف صديق عن الاشتراكية فى الإسلام

ذات صباح فى أواخر الخمسينيات اتصل جمال عبدالناصر بيوسف صديق تليفونيا، واشتكى له من أن بعض أعضاء مجلس القيادة (كمال الدين حسين وغيره) يقولون إن الاشتراكية ليست من الإسلام. وطلب جمال من يوسف أن يكتب مقالات لتنشر فى «جريدة الشعب» توضح أن الاشتراكية ليست ضد الإسلام، وأنه سيصدر تعليماته لجريدة الشعب بذلك.

تفرغ يوسف لهذا الموضوع، وكتب مقالا عن الاشتراكية فى الإسلام، وانتظرنا نشر المقال، لكنه لم ينشر، فتصورنا أن الصحيفة ربما تريد أن يكون تحت يدها عدة مقالات قبل النشر، فكتب يوسف مقالين آخرين وأرسلهما للجريدة[١٠٧] .. ولم ينشر شىء

(١٠٧) راجع جريدة الأهالى بتاريخ ١٩٩١/٣/٢٧، ص ٧، مقال للأستاذ لطفى واكد تحت عنوان «يوسف صديق بطل مصر الأسطورى»، حيث يقول : «... فى عام ١٩٥٧ كنت رئيسا لتحرير «جريدة الشعب»، وكان صاحب امتيازها الفعلى هو الرئيس جمال عبدالناصر، وفى أحد الأيام طلبنى الرئيس وقال إن يوسف صديق يعانى من أزمة مالية، وكلفنى أن أتفق معه على كتابة بعض المقالات فى الجريدة مقابل أجر معقول. ثم طلب منى ألاّ أنشر شيئا إلا بعد عرضه عليه - أى على الرئيس - وفعلا تم الاتفاق مع يوسف صديق. ونشرنا له بعض إنتاجه ثم أخذ النشر يتعثر لأسباب لا دخل لى فيها .. وكان يحضر أحيانا للمشاجرة معى متصورا أننى المسئول عن تعطيل النشر، وكنت حريصا على إخفاء الحقيقة، ولكنه بدأ يتبينها فامتنع عن تقاضى راتبه الذى كان فى أمس الحاجة إليه. وأخذت أحاول إقناعه بأن تأخير النشر أمر وارد دائما ولكن ليس له علاقة بحقوقه المادية، فألححت عليه فازداد تعنتا وازددت به إعجابا. وأخيرا قال كلمته .. يجب أن تعلم ويعلم سواك أن يوسف صديق لن يقبل منحة من أحد...».

ملحوظة :

- والصحيح أنه لم تنشر أى مقالات ليوسف صديق فى «جريدة الشعب».

أيضا . بعد ذلك عرف يوسف صديق أن الصحيفة ترسل المقالات للرئيس عبدالناصر كتعليماته وهو يحتفظ بها لديه، فتوقف يوسف عندئذ عن الكتابة ولم يرسل شيئا لجريدة الشعب .

العيد العاشر لثورة ٢٣ يوليو

فى الخطاب الذى اعتاد عبدالناصر أن يلقيه على الشعب سنويا فى الاحتفال بعيد الثورة، فاجأ عبدالناصر الجميع فى العيد العاشر للثورة (٢٢يوليو سنة ١٩٦٢) بأن تحدث عن دور يوسف صديق فى ليلة الثورة. صحيح أنه تناول الأمر بحذر وإيجاز شديد، وبالطريقة التى يريدها، إلا أنه قد ذكر دور يوسف صديق. وكانت هذه هى المرة الأولى منذ قيام الثورة التى يتحدث فيها أى مسئول مصرى عن يوسف صديق وعن دوره فى ليلة الثورة، حتى من تحدثوا عن أحداث تلك الليلة قبل ذلك - مثل أنور السادات - تناسوا دور يوسف صديق إرضاء لجمال عبد الناصر .

دعوة يوسف صديق إلى العودة للعمل

بعد خطاب العيد العاشر للثورة بعدة أيام، حوالى يوم ٢٧ يوليو، فوجئنا باتصال تليفونى من جمال عبدالناصر من الإسكندرية، وبدأ الحديث مع يوسف صديق بتهنئته بعيد الثورة، فرد عليه يوسف ضاحكا مازحا: «كل عشرة وأنت طيب يا جمال» (يقصد مرور عشر سنوات على الثورة). كان جمال سعيدا منشرحا للغاية أثنا الحديث، وفجأة سأل :

- أنت لسه مازهقتش من القعدة دى ؟

أجابه يوسف :

- طبعا زهقت .

سأله جمال :

- تحب تشتغل إيه ؟

ـ أشتغل فى الكتبخانة .

ويبدو أن إجابة يوسف فاجأت جمال، فسأله بدهشة :

ـ اشمعنى الكتبخانة ؟

ـ أتسلى بقراية الكتب .

ـ وعشان أنت وثروت عكاشة (وزير الثقافة فى ذلك الوقت) أصحاب .

وانتهى الحديث بأن دعا جمال، يوسف وأسرته للحضور إلى الإسكندرية للتصييف، ولمناقشة موضوع العمل .

وكان طبيعيا أن أستفسر من يوسف عن سبب اختيار «الكتبخانة»، فرد مبتسما: يبدو أن جمال «مبسوط شوية»، وحتى الكتبخانة لن يوافق عليها، وعلى أى حال ستكشف الأيام عما يدور فى ذهنه .

وفى صباح اليوم التالى حضرت سيارة «ملاكى شيفروليه» من رئاسة الجمهورية لتقلنا إلى الإسكندرية، حيث لم نكن نملك سيارة خاصة، وتوقفت بنا السيارة أمام «ڤيللا» فاخرة بضاحية «الرأس السوداء» بالإسكندرية، كان مكتوبا على بابها «ڤيللا إيلى لطفى». وبعد الظهر حضر مندوب من رئاسة الجمهورية ليصطحبنا لمشاهدة الكابينة التى خصصت لنا بالإيجار فى شاطئ المعمورة .

وبعد حوالى شهر، قرر يوسف أن نعود إلى القاهرة، فتوجه إلى عبدالناصر ليشكره على تلك الدعوة قبل أن نغادر الاسكندرية. ألح عبدالناصر على يوسف للبقاء حتى نهاية الصيف، لكن يوسف شكره وأصر على العودة إلى القاهرة .

ولم يتكلم عبدالناصر مع يوسف فى موضوع العمل كما وعد فى حديثه التليفونى ، كما أن يوسف لم يتكلم فى الموضوع أيضا .

وترددت بعد ذلك الشائعات، بعضها فسر تصرف عبد الناصر بأنه كان يضغط على بعض أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا على خلاف معه فى ذلك الوقت، فكان يلوح لهم بالاستعانة بيوسف صديق. والبعض الآخر من الشائعات ذهب إلى أن جمال

عبدالناصر أزاح عن صدره عبئا ثقيلا كان يحمله، وقد تخفف من ذلك العبء فى خطابه فى العيد العاشر للثورة بالحديث عن دور يوسف صديق ليلة الثورة .. ذلك الدور الذى كان يؤرقه ويحاول أن يجد له مخرجا أمام التاريخ. كان الحديث مع يوسف عن «الشغل» قد دار وجمال فى حالة من السعادة الغامرة، ولكن ...

بعد أن تبخرت السَكرة .. عاد الزعيم القابض على السلطة إلى سيرته الأولى .

يوسف صديق فى استقبال جمال عبدالناصر بمطار القاهرة

سبق أن تكلمنا عن كيف تخلص عبدالناصر من وحيد جودة رمضان عندما عينه سفيرا لمصر فى «برن»، وبعد فترة أحاله إلى التقاعد فى أواخر عام ١٩٦١(١٠٨). بدأ وحيد يتردد علينا للزيارة من حين إلى آخر، وكان يتحدث مع يوسف عن مقاطعة جمال عبد الناصر له وعن الحصار الاقتصادى الذى فرضه عليه، وطلب من يوسف أن يتدخل لدى جمال لحل تلك المشكلة .

انتهز يوسف فرصة عودة جمال عبدالناصر من زيارة إلى الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٦٤ أو ١٩٦٥، وذهب على غير عادته لاستقبال عبد الناصر واصطحب معه وحيد جودة رمضان. وعندما اقتربت الطائرة من المطار، توجه يوسف وباقى المستقبلين إلى أرض المطار ليكونوا فى استقبال الرئيس عند هبوط طائرته. لكن سلطات الأمن منعت وحيد رمضان من الدخول إلى أرض المطار، وعندما طلب منهم يوسف تفسيرا لذلك، أخبروه بأن الأمر يحتاج إلى موافقة المشير عبدالحكيم عامر. ولما أخبر يوسف، عبدالحكيم، بالأمر، فوجئ بعبد الحكيم يستنكر حضور وحيد رمضان ورفض السماح له بالنزول إلى أرض المطار . كانت مفاجأة ليوسف، لأنه يعلم عمق العلاقة بين وحيد رمضان وعبدالحكيم عامر، بل إن وحيد رمضان محسوب من رجال عبدالحكيم عامر. ترك يوسف، عبد الحكيم، غاضبا وتوجه إلى أرض المطار، فقد كانت طائرة الرئيس على وشك الهبوط .

---

(١٠٨) راجع مذكرات صلاح نصر ـ الجزء الثانى ـ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ تحت عنوان «منشور سرى يزعج عبد الناصر»، حيث يقول: «... فى خضم ظروف الانفصال القاسية ووسط دموع الحزن والأسى، وزع فى مصر فى الأيام الأولى من انقلاب الانفصال منشور سرى من عشر نسخ، كتب على الآلة الكاتبة .. اتصل علوى بعبد الحكيم، وأبلغه بأن داوود عويس أقر له بأنه مشترك فى موضوع المنشور. كان المشتركون معه هم: وحيد جودة رمضان من الضباط الأحرار وسفير مصر فى «برن» حينئذ ، لطفى واكد ، وعلم بالمنشور محمد السقا ...» .

وما إن رأى جمال عبدالناصر، يوسف صديق، حتى انتابته فرحة كبيرة. وبعد التحيات والابتسامات، أخبر يوسف - بأسلوب كشف عن استيائه - جمال بتصرف سلطات الأمن مع وحيد جودة رمضان، فأصدر جمال أمرا - على الفور - لأحد المسئولين الذين كانوا على مقربة منهما بإحضار وحيد رمضان، وفعلا جاء وحيد وسار بصحبة جمال ويوسف إلى استراحة رئاسة الجمهورية . وتصادف أن كان إسماعيل الأزهرى الزعيم السودانى المعروف فى استقبال عبدالناصر بالمطار . وما إن شاهد المصورون جمال يمسك بيد يوسف صديق ويسيران معا إلى استراحة الرئاسة حتى انهالت آلات التصوير تلتقط عشرات الصور.

الغريب أنه بعد ذلك قام الليثى عبدالناصر بسؤال شقيقه جمال عبدالناصر عن سبب إحضار يوسف صديق لوحيد رمضان معه، فرد جمال «دول برنجى مدافع ماكينة»، يقصد أنها رفقة السلاح التى جمعت بين يوسف صديق ووحيد رمضان .. فكلاهما من أبناء الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة.

وفى ذلك اللقاء صُفِّىَ «الجوُّ» بين عبد الناصر ووحيد رمضان .

زواج ابنتى عبدالناصر وشقيقه

ذات صباح فى أواخر يونيو عام ١٩٦٤، حضر إلينا مندوب من رئاسة الجمهورية، يحمل مظروفا أبيض من الرئيس ليوسف صديق. ولما فتح يوسف المظروف، وجد به دعوة من جمال عبد الناصر، يدعونا فيها لحضور حفل عقد قران ابنته هدى، وذلك مساء يوم الخميس ٢ يوليو عام ١٩٦٤ بمنزل الرئيس بمنشية البكرى .

كانت - بلاشك - خطوة أخرى على طريق ترطيب العلاقة مع يوسف صديق، وقد كان جمال حريصا على أن يحيطنا بحفاوة خاصة ومودة طوال الحفل .

وفى نفس العام تلقينا دعوة منه ومن عبد الحكيم عامر لحضور الاحتفال بزفاف ابنة عبدالحكيم عامر إلى شقيق جمال عبد الناصر بنادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك.

وفى شهر يوليو عام ١٩٦٦ دعانا عبدالناصر لحضور زفاف ابنته منى ، مساء الخميس ٧ يوليو عام ١٩٦٦ بمنزله بمنشية البكرى .



عبدالناصر ممسكا بيد يوسف صديق ومعهما إسماعيل الأزهرى عند وصول عبدالناصر إلى المطار عام ١٩٦٥.

نكسة حرب عام ١٩٦٧

فوجئنا جميعا بما أصاب الجيش المصرى فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧، فلم يكن أحد يتوقع مثل هذه الهزيمة النكراء.

لقد كان وقع الهزيمة عنيفا للغاية على يوسف صديق، فهو ابن بار من أبناء الجيش المصرى الذى طالما تغنى فى قصائده ببطولاته وأمجاده، علاوة على عداء يوسف الفطرى والوراثى والثقافى والسياسى للاستعمار بكافة أشكاله وألوانه، كما أنه وثورة ٢٣ يوليو يشكلان كيانا واحدا لا ينفصل بالرغم من أى خلافات سياسية بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة. وكان مستعدا لأن يفتدى الثورة بحياته من أجل استمرارها، لذلك عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، ارتدى ملابسه العسكرية - دون طلب من أحد - وكسر تحديد الإقامة الذى كان مفروضا عليه وخرج ليذود عن مصر وثورة شعبها ضد الاستعمار والطغيان والعدوان. أما وقع صدمة النكسة على يوسف فقد كان فى قوة الإعصار المدمّر.

وعندما أعلن عبدالناصر تنحيه عن الحكم، وجد يوسف صديق أن تلك اللحظات الصعبة يجب ألا تكون لحظات انهيار بل لابد أن تكون أوقات صمود وتكاتف وتضامن وتلاحم، فارتدى ملابسه وتوجه إلى عبدالناصر ليقف بجانبه ويشد من أزره قائلا له : «لقد خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب، فلننظم صفوفنا لنواجه العدو الذى يهدف إلى هزيمة نظامنا السياسى» ، ولم يترك عبد الناصر حتى عدل عن التنحى .

يوسف صديق فى الاتحاد السوفيتى

منذ نكسة عام ١٩٦٧ .. كأن شيئا ما قد انكسر داخل يوسف صديق، فقد بدأ المرض يحاصره ويستبد به. وخلال زيارة له لعبدالناصر، أثنى جمال على أسلوب العلاج فى الاتحاد السوفيتى ، وقال إنه شخصيا استفاد كثيرا من أسلوبهم فى العلاج. وفى ذات اللقاء أصدر عبدالناصر قرارا بسفر يوسف صديق للعلاج فى الاتحاد السوفيتى .

وفى أوائل سبتمبر عام ١٩٧٠ سافر يوسف صديق إلى الاتحاد السوفيتى للعلاج، وقد تصادف حصول ابنتنا «نعمت» فى نفس العام على الثانوية العامة، فاصطحبها معه حيث التحقت بكلية الآداب بجامعة موسكو .

الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى

وعلى الرغم من أن يوسف صديق سافر إلى الاتحاد السوفيتى بغرض العلاج، فإنه كان حريصا على زيارة بعض البلاد الإسلامية للوقوف على أحوال المسلمين هناك. وعندما عاد إلى مصر ألف كتابا بعنوان «الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى »، وقد كان كتابا من أربعة فصول :

- الفصل الأول، يتناول مرحلة ما قبل الثورة الاشتراكية .
- والفصل الثانى، يتناول المسلمين والثورة الاشتراكية .
- والفصل الثالث، يتناول الحياة الروحية للمسلمين .
- والفصل الرابع، يتناول شهادات واقعية .

وقد أهدى يوسف صديق الكتاب .. «إلى أرواح الذين سقطوا فى المعارك ليزيدوا من أرباح تجار الحروب، إلى كل إنسان ضللوه بزخرف القول فحمل السلاح وراح يقتل نفسه أو يقتل أخاه الإنسان لصالح الشيطان، إلى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» .

وفاة جمال عبدالناصر

فى يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ تلقى يوسف صديق وهو فى الاتحاد السوفيتى نبأ وفاة جمال عبدالناصر، فأصابه النبأ بحزن شديد جعله يرفض البقاء هناك لاستكمال العلاج، ويعود إلى مصر ليشارك شعبها حزنه على فقد رئيسها. وقد تغلبت عليه عاطفة زمالة الكفاح ورفقة السلاح بعد أن أصبح عبد الناصر فى ذمة الله وذمة التاريخ، فنظم قصيدة «دمعة على البطل»[١٠٩]، التى نشرتها مجلة «روزاليوسف»[١١٠].

الدعوة لعودة مجلس قيادة الثورة

كان الشعب لا يزال يعيش أحزان موت رئيسه، والجراح لم تكن قد اندملت بعد، وإذ بأعضاء مجلس قيادة الثورة القدامى يجتمعون، ويصدرون بيانا يعلنون فيه ضرورة انعقاد مجلس قيادة الثورة، ليعود الحال إلى ما قبل تولى عبد الناصر المسئولية .

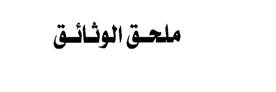
لقد وجدوا الفرصة مواتية للانقضاض على الحكم ثانية . لكن يوسف صديق وخالد محيى الدين اللذين طالما رفضا استمرار مجلس قيادة الثورة فى الحكم منذ قيام الثورة.. كانا على نفس موقفهما المبدئى. فنشرت صحيفة الجمهورية فى صفحتها الأولى رفض يوسف صديق لاقتراح عودة مجلس قيادة الثورة، فهو مجلس وجد فى مرحلة تاريخية معينة، وقد انقضت تلك المرحلة وأخذت مكانها فى التاريخ، وينبغى أن تظل هناك.

وبعد وفاة عبدالناصر بأيام .. تولى أنور السادات زمام الحكم، وهذه قصة طويلة أدخلت البلاد مرحلة جديدة أخرى من تاريخها .. وتاريخ العرب .. وتاريخ الشرق الأوسط .

(١٠٩) راجع ديوان شعر يوسف صديق، ص ٦٩، قصيدة «دمعة على البطل».

(١١٠) راجع مجلة روزاليوسف بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢، فى ذكرى الأربعين لرحيل عبد الناصر.





ملحق الوثائق

رئاسة القوات العربية بفلسطين

رقم القيد ع/٥/٤/٥٠/٣٠٨

التاريخ في ٢٠/١/٩٤٨

[illegible] الثاني

حضرة صاحب العزة قائد اللواء [illegible] بإنشاء [illegible] مواقعهم الدفاعية

قمت اليوم بالمرور على تشكيلات [illegible]

من قطاع اللواء [illegible] الى النقاط التي اريد ان انال عناية [illegible]

[illegible]

انني اعتبر المواقع الدفاعية لهذه [illegible] الجنود [illegible] منظمة

تماما على اصول فن انشاء الاوكار الذي يحملني ان اقدم شكري لقائدها ولرئيس [illegible]

نحاول جميع القادة الوصول بمنشآتهم الى هذا المستوى

[illegible] قائد [illegible]

اللواء

قائد عام القوات [illegible]

صورة طبق الاصل

[illegible]

وثيقة رقم (١)

رئاسة القوات المصرية بفلسطين

رقم القيد ع/٥/٤/٤٨/٤٠٨

المجدل فى ١٩٤٨/٧/٢٥

حضرة صاحب العزة قائد اللواء المشاه الثانى

قمت اليوم بالمرور على كتيبتى البنادق السادسة المشاه والسابعة المشاه فى مواقعهم الدفاعية فى قطاع اللواء قيادة عزتكم وقد لاحظت الملاحظات الآتية التى أريد أن تنال عناية عزتكم

كتيبة البنادق السابعة المشاه

اننى اعتبر المواقع الدفاعية لهذه الكتيبة مثالاً جيداً يحتذى به وتوزيعها ينطبق تماماً على أصول التكتيك الأمر الذى يجعلنى أزجى شكرى لقائدها وأتعشم أن يحاول جميع القاده الوصول بكتائبهم إلى هذا المستوى.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،،

صورة طبق الأصل	**يوزباشى**	**لواء**
	حلمى شلبى	**قائد عام القوات المصرية بفلسطين**

وثيقة رقم (٢)

٢/٤٤٢٤ - ١ - ١ -

المملكة المصرية
ROYAUME D'EGYPTE
114588

جواز سفر PASSEPORT

رقم الجواز No. du PASSEPORT ٤٤٢٤/٥٢
الجهة التي أصدرته BUREAU d'ÉMISSION القاهرة
تاريخ الإصدار DATE d'ÉMISSION ٢٦ يوليه ١٩٥٢

اسم صاحب الجواز NOM du TITULAIRE
تهاني محمد توفيق
Tahani Mohamed Tawfik

الجنسية مصرية NATIONALITÉ Egyptienne

مصحوب بزوجته ACCOMPAGNÉ de sa FEMME
(اسم الزوجية قبل زواجها) (Nom de jeune fille)

و ٢ أطفال et de 2 enfants.

يشتمل هذا الجواز على ٣٢ صفحة Ce passeport renferme 32 pages.

- ٢ - 2 -

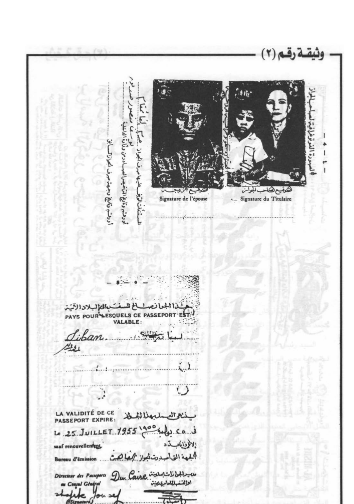
الأوصاف

		الزوجة
المهنة		
محل الميلاد	بني سويف	
تاريخ الميلاد	١٩١٤	
محل الإقامة	القاهرة	
الطول	١ متر ٥٥ سنتي	متر سنتي
العينان	عسليتان	
الشعر	كستنائي	
المميزات الخاصة		

الأطفال

الاسم		السن
حسين يوسف صديق ذكر		١٩٤٢
" نعمت يوسف صديق "	أنثى	١٩٤٨
"	"	"
"	"	"
"	"	"
"	"	"

وثيقة رقم (٢)


Signature de l'épouse

توقيع الزوجة

Signature du Titulaire

توقيع صاحب الجواز

PAYS POUR LESQUELS CE PASSEPORT EST VALABLE:

هذا الجواز صالح للسفر إلى البلاد الآتية

Liban ... لبنان

LA VALIDITÉ DE CE PASSEPORT EXPIRE:

ينتهي العمل بهذا الجواز

Le 25 JUILLET 1955 ... في ٢٥ يوليه ١٩٥٥

sauf renouvellement ... إلا إذا تجدد

Bureau d'émission ... الجهة التي أصدرت الجواز

Directeur des Passeports ou Consul Général ... Du Caire ... مدير الجوازات بمدينة أو القنصل العام بمدينة

(Signature) ... (إمضاء)

الاربعاء
١٩ رجب سنة ١٣٧٣
٢٤ مارس سنة ١٩٥٤
١٥ برمهات سنة ١٦٧٠
العدد ٥٨٦٤
السنة الثامنة عشرة

الثمن ١٠ مليمات
دار المصري: ٩٢ شارع قصر العيني
تليفون ٢٨٤٠٠ (١٠ خطوط)
مكتب الاسكندرية: ٣١ شارع شريف باشا
تليفون ٢٨٨٧ ثلاثة خطوط
العنوان التلغرافي (مصري) بمصر

المصري

الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة
«سعد زغلول»

الاعلانات ت ٤٦٢٤٩
شركة الاعلانات المصرية
شركة مساهمة مصرية
القاهرة ٢٤ شارع جلال ت ٥٧٦٧٠
الاسكندرية ١ شارع رولو ت ٢٣٦١٠
طنطا ميدان الساعة ت ٢١٨٨

٤٠ صفحات

AL-MISRI
92 Sharia Kasr El Aini
CAIRO
24 March, 1954
No. 5864

نجيب يؤكد قيام الجمعية التأسيسية او البرلمان مباشرة

قال الرئيس نجيب امس ان الثورة عند عهدها فى اعادة الحياة النيابية للبلاد وستحقق ما تعاهدنا عليه من اقامة جمعية تأسيسية فى تاريخ نهايته ٢٣ يوليو القادم، وان كان ثمة تغيير فهو الى احسن وذلك لقيام البرلمان مباشرة

لا حزب جديد

وقال الرئيس «انني ما عدت لرياسة الجمهورية الا حرصا منى على وحدة البلاد وتوحيد الكلمة، وليس فى نيتى انشاء حزب جديد»

الغاء الاحكام العرفية

ولن يتأخر موعد رفع الاحكام العرفية عن ١٨ يونيو، وقد يكون الغاؤها قبل ذلك

المعتقلون

ولن يبقى فى المعتقلات الا من يكون قد صدر ضده حكم قضائي

الاعتداء على المحامين

والاعتداء على الاستاذين عبدالقادر عوده واحمد حسين هو الآن محل التحقيق السريع الحازم ولا بد من محاكمة مرتكبي هذا الاعتداء

حقوق الشعب

وقال الرئيس: ولن يجرؤ مخلوق على المساس بأى مشروع من مشروعات الثورة لانها حقوق اكتسبها الشعب وسيدافع عنها ٢٢ مليونا هم اصحابها، ولعلوا ان نواب الامة سيكونون اكثر الناس حرصا على هذه المشروعات :

«التفاصيل على الصفحة الرابعة»

رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس نجيب رأيه فى الظروف التى مرت بها الثورة حتى الآن

اقتراحه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد

مناقشات مجلس الامن عن الملاحة فى القناة

الامم المتحدة، نيويورك فى ٢٢ ...

زار القائمقام اركان الحرب يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة سابقا السيد الرئيس اللواء محمد نجيب وحدثه فى الاوضاع الراهنة، ثم ارسل لسيادته كتابا برأيه فى حل الموقف هذا نصه :

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس ...

١ – ان حل البلاد الآن اشبه بحال المريض ويحاول كل مخلص من ابنائها ...

١ – بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ بدأ مجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التالية

بريطانيا تبلغ مصر

[illegible]

جريــدة المصـرى

الأربعاء ١٩ رجب سنة ١٣٧٣

٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ ـ ١٥ برمهات سنة ١٦٧٠

العدد ٥٨٦٤

السنة الثامنة عشرة

نجيب يؤكد قيام الجمعية التأسيسية أو البرلمان مباشرة

رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس نجيب

رأيه فى الظروف التى مرت بها الثورة حتى الآن

اقتراحه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين

برئاسة الدكتور وحيد رافت لإجراء انتخابات للبرلمان الجديد

زار القائمقام أركان الحرب يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة سابقا السيد الرئيس اللواء محمد نجيب وحدثه فى الأوضاع الراهنة، ثم أرسل لسيادته كتابا برأيه فى حل الموقف هذا نصه :

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام لجمهورية مصر البرلمانية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

فلا شك أنكم تقدرون مدى المسئولية التى أتحملها معكم أمام التاريخ عن مصير هذه البلاد نتيجة للعمل الايجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، والذى لا أستطيع أن أفلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيادة الثورة فى فبراير سنة ١٩٥٣ فالتاريخ دقيق صارم فى حسابه.

ولا يسعنى وأنا أشعر بهذه المسئولية وأرى ما يجرى فى هذه الأيام الأخيرة من أحداث أن أتخلف عن أداء واجبى نحو هذا الوطن بعرض ما أراه كحل للأزمة الشديدة التى تعانيها البلاد فى هذه الظروف العصيبة حتى أكون قد أديت واجبى كاملا نحوكم كزملاء يتحملون مسئولية ضخمة أمام التاريخ ونحو البلاد التى أصبحت فى حاجة ماسة إلى علاج عاجل حاسم تستقر به النفوس وتهدأ الأعصاب وتنام الفتنة التى تطل برأسها على هذا الشعب.

وإنى أعرض رأيى على الوجه الآتى :

١ ـ إن حال البلاد الآن أشبه بحال المريض ويحاول كل مخلص من أبنائها أن يهتدى إلى العلاج الناجع وأن يهدى إليه الآخرين فإذا طال الجدل فى هذا الموقف دون الوصول إلى العلاج تعرضت حياة المريض إلى خطر محقق ليس أخطر منه إلا أن يجرعه السم بدل الدواء.

٢ ـ لا يمكن الوصول إلى العلاج إلا بعد التأكد من معرفة الداء.

٣ ـ بالرجوع إلى التاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ إلى أن وصلنا لهذه الحالة نلمس الآتى:

(أ) بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ بدأ مجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال : «لمن الحكم ؟»

وكان هناك رأيان فى الجواب على هذا السؤال أما أحدهما فكان يرى دعوة البرلمان المنحل ليباشر سلطته الشرعية وأما الآخر فقال بعدم دستورية هذا الحل ورأى أن نذهب مذهبا آخر ثم استقر الرأى على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمعا لهدايتنا إلى التصرف الدستورى السليم فأفتى بأغلبية تسعة أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان وكان الصوت الواحد للدكتور وحيد رأفت.

(ب) سرنا على هدى هذه الفتوى ووصلنا إلى الحالة السيئة الراهنة وتبين لنا أننا ضللنا الطريق.

(ج) بعد أن تبين لنا بوضوح أننا قد ضللنا طريقنا فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن نعود إلى حيث أشكل علينا الأمر فنصحح طريقنا.

٤ ـ على ضوء هذه الحقائق نجد أن علاج الموقف ينحصر فى أحد حلين لا ثالث لهما:

(أ) دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية.

(ب) تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى الوفد والاخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون تشرف على إجراء انتخابات للبرلمان فى أسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش إلى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق أهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التى تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير. وأقترح أن يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رأفت الذى أكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكون الرياسة محلا للخلاف.

٥ ـ أى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة إعطاء المريض السم بدل الدواء فيكون مجافيا للديموقراطية التى تنشدها الثورة، ومن ثم يكون سببا فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج.

٦ ـ إن استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد أن أعلن الشعب رأيه فيها وكذلك استمرار الهيئات التى أنشأتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلا هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها ـ فما دامت الحكومة قد قررت أن تترك للشعب أموره فليس لها أن تفرض عليه أو تقترح له. فإننا قمنا فى يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من أموره دون أن تكون لنا الوصاية عليه، لا سيما بعد أن أعلن هو رغبته فى ذلك، وإصراره عليه. وإننى أسأل الله لكم السداد والتوفيق.

والله ولى التوفيق

القاهرة فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤.

القائمقام أركان الحرب

يوسف منصور صديق

عضو مجلس قيادة الثورة سابقا

سلاطة !!

بقلم مصطفى أمين

. لم تفاجأ الدوائر السياسية بالاقتراح الذى تقدم به القائمقام يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق، الذى يقترح فيه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برياسة الدكتور وحيد رافت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد .

فقد ابلغ الرئيس نجيب الى اعضاء مجلس الثورة أمر هذه الرسالة عندما تلقاها على ورق احمر منذ بضعة ايام !

ولكن الجديد فى الموقف انه لم يصدر حتى الآن اية تصريحات رسمية من رئيس الجمهورية ، وهو رئيس الوزارة فى الوقت نفسه ، عن رأى الحكومة فى اقتراح القائمقام صديق ! فهل هذا الاقتراح من بين الاقتراحات العديدة التى تدرس ، ام هل هو اقتراح لشخص غير مسئول ؟ وهل القائمقام صديق من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة ، أم انه لايزال بعيدا عن مزاولة نشاطه السياسى منذ استقال من مجلس قيادة الثورة لمناسبة دليل عن تدبيره لانقلاب عسكرى ، او دليل عن ميوله الحمراء .. فابعد الى اسوان ، ثم سافر الى سويسرا للعلاج ، ثم عاد فجأة الى مصر .، ثم عين ملحقا عسكريا فى الهند

وهل هو اقتراح يمكن أن ينظر اليه لفترة عابرة .. أم انه أخطر من هذا وأنه لأول مرة فى تاريخ مصر ، يفكر فيه أن الوزارة سيشترك فيها شيوعيون !

ولا يجوز ان يأخذ هذا الاقتراح على غير محمل الخطة للتسلل الشيوعيين اذ دخلوا وزارة ائتلافية فى رومانيا وكان من بين اعضائها وزراء من اليمين ومن أقصى اليمين، ودخلوا بوزير شيوعى واحد ! .. وبعد قليل اصبح الوزير ثلاثة .. وبعد قليل ايضا طلب الشيوعيون وزارة الداخلية .. وبعد قليل طلبوا حكومة جديدة فيها وزير المواصلات شيوعى ونائب رئيس الوزراء شيوعى والوزير الداخلية شيوعى .. وبعد ثلاثة اسابيع طردوا مجلس الوزراء كله وتألفت وزارة شيوعية كاملة بعد اخراج اعضاء الوزارة المؤتلفة من اليمين واليسار وانتهى الأمر كما هو معلوم باعلان الحكم الشيوعى فى رومانيا كلها ..

وحدث مثل هذا فى تشيكوسلوفاكيا وفى المجر ، وفى غيرها من البلاد التى انضمت تحت الستار الحديدى ، حيث لا حكم نيابى ، ولا حرية ، ولا حرية صحافة ! ولكن فيها محاكم ثورة ، ونظام بوليس ، وجاسوسية على نطاق واسع ، واوامر تصدر من موسكو بتعيين الوزراء واقالة الوزراء !

فالدهشة التى يقابل بها مثل اقتراح القائمقام يوسف صديق الذى يجمع الشاى على المغربى ، والوفدى على الاشتراكى ، والأخ المسلم على الشيوعى هى دهشة الذين لم يقرأوا التاريخ الحديث ، ولم يقرأوا شيئا عن التكتيك الشيوعى ..

وقد كان الناس يريدون بيانا من رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة عن رأيه فى هذا الاقتراح ، فالسوق مليئة بالاشاعات ، لا نعرف ما نصدق منها وما نكذب ، وما ناخذ منها وما ندع ..

فقد سمعنا اشاعة بان هناك فكرة لتأليف وزارة مدنية !

ثم سمعنا اشاعة بان الرئيس على ماهر هو المرشح لرياسة الوزارة ...

ثم قرأنا فى صحيفة الجمهورية هجوما عنيفا ضد على ماهر ، وسياسة على ماهر ، فغلب الظن ان هذه الاشاعة غير صحيحة !

ثم سمعنا اشاعة بان هناك فكرة فى انشاء مجلس جمهورى

وان الرئيس نجيب اقترح أن يضم ثلاثة من الوفديين وثلاثة من السعديين وثلاثة من الدستوريين ..

ثم قرأنا فى جريدة الجمهورية لسان حال الثورة هجوما على الوفديين والدستوريين والسعديين جميعا ، وهجوما على الدكتور عبد الحميد بدوى عبد الحميد بدوى ... الدكتور عبد انجليس الفخرى والمستشار الجمهورى سليمان حافظ لانهما زارا ابراهيم عبد الهادى رئيس السعديين

وبعد هذا سمعنا اشاعة أن الوزارة المدنية سيرأسها الدكتور السنهورى .. واشاعة اخرى أن الوزارة سيرأسها الدكتور بهى الدين بركات .. واشاعة ثالثة أن الوزارة سيرأسها الاستاذ عبد الرحمن عزام ..

وقرأنا يوما أن الحزب الجمهورى سيتألف برئاسة نجيب ! وقرأنا فى اليوم التالى انه عدل عن انشاء الحزب الجمهورى ، وقرأنا فى اليوم الثالث ان الرئيس نجيب سيبقى بعيدا عن الأحزاب

ثم قرأنا تصريحا للقائمقام خالد محيى الدين بانه سيرشح نفسه على مبادىء الحزب الجديد ، وانه سيكون فى جناحه التقدمى !

ثم قرأنا تصريحا للبكباشى جمال عبد الناصر بانه ثائر وليس سياسيا ، وقرأنا ان اعضاء مجلس الثورة لا يتقدمون للانتخابات لانهم ثوار وليسوا سياسيين

وهكذا يمكن تلخيص الموقف بانه سلاطة !

والسلاطة انواع !

سلاطة « بلدى » ...

وسلاطة بالخضراوات !

وسلاطة طحينة ..

واخيرا .. « سلاطة روسية » !

والذى نرجوه أن نعرف من المسئول (صاحب سلطة) نوع « السلاطة » التى تطبخ الآن ..

مصطفى أمين

سلاطة !!

بقلم: مصطفى امين

لم تفاجأ الدوائر السياسية بالاقتراح الذى تقدم به القائمقام يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق، الذى يقترح فيه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين برياسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات للبرلمان الجديد.

فقد أبلغ الرئيس نجيب إلى أعضاء مجلس الثورة أمر هذه الرسالة عندما تلقاها على ورق أحمر منذ بضعة أيام!

ولكن الجديد فى الموقف أنه لم يصدر حتى الآن أية تصريحات رسمية من رئيس الجمهورية، وهو رئيس الوزارة فى الوقت نفسه، عن رأى الحكومة فى اقتراح القائمقام صديق! فهل هذا الاقتراح من بين الاقتراحات العديدة التى تدرس، أم هل هو اقتراح لشخص غير مسئول؟ وهل القائمقام صديق من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة، أم انه لا يزال بعيدا عن مزاولة نشاطه السياسى منذ استقال من مجلس قيادة الثورة لمناسبة ما قيل عن تدبيره لانقلاب عسكرى، أو ما قيل عن ميوله الحمراء.. فأبعد إلى أسوان، ثم سافر إلى سويسرا للعلاج، ثم عاد فجأة إلى مصر .. ثم عين ملحقا عسكريا فى الهند.

وهل هو اقتراح يمكن أن ينظر إليه نظرة عابرة.. أم انه أخطر من هذا وأدق فهذه أول مرة فى تاريخ مصر يذكر فيه أن الوزارة سيشترك فيها شيوعيون!

ولا يجوز أن يأخذ هذا الاقتراح على غير محمل الجد فقد سبق للشيوعيين أن دخلوا وزارة ائتلافية فى رومانيا وكان من بين أعضائها وزراء من اليمين ومن أقصى اليمين، ودخلوا بوزير شيوعى واحد!.. وبعد قليل أصبح الوزير ثلاثة .. وبعد قليل أيضا طلب الشيوعيون وزارة الداخلية .. وبعد قليل طلبوا حكومة جديدة فيها وزير المواصلات شيوعى ونائب رئيس الوزراء شيوعى ووزير الداخلية شيوعى .. وبعد ثلاثة أسابيع طردوا مجلس الوزراء كله وتألفت وزارة شيوعية كاملة بعد إخراج أعضاء الوزارة المؤتلفة من اليمين واليسار وانتهى الأمر كما هو معلوم باعلان الحكم الشيوعى فى رومانيا كلها..

وحدث مثل هذا فى تشيكوسلوفاكيا وفى المجر، وفى غيرها من البلاد التى انضمت تحت الستار الحديدى، حيث لا حكم نيابى، ولا حرية، ولا حرية صحافة! ولكن فيها محاكم ثورة، ونظام بوليسى، وجاسوسية على نطاق واسع، وأوامر تصدر من موسكو بتعيين الوزراء وإقالة الوزراء!

فالدهشة التى يقابل بها مثل اقتراح القائمقام يوسف صديق الذى يجمع الشامى على المغربى، والوفدى على الاشتراكى، والأخ المسلم على الشيوعى، هى دهشة الذين لم يقرأوا التاريخ الحديث، ولم يقرأوا شيئا عن التكتيك الشيوعى..

وقد كان الناس يريدون بيانا من رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة عن رأيه في هذا الاقتراح، فالسوق مليئة بالإشاعات، لا نعرف ما نصدق منها وما نكذب، وما نأخذ منها وما ندع..

فقد سمعنا إشاعة بأن هناك فكرة لتأليف وزارة مدنية!

ثم سمعنا إشاعة بأن الرئيس علي ماهر هو المرشح لرياسة الوزارة ...

ثم قرأنا في صحيفة الجمهورية هجوما عنيفا ضد علي ماهر، وسياسة علي ماهر، فغلب الظن أن هذه الاشاعة غير صحيحة!

ثم سمعنا إشاعة بأن هناك فكرة في إنشاء مجلس جمهوري وأن الرئيس نجيب اقترح أن يضم ثلاثة من الوفديين وثلاثة من السعديين وثلاثة من الدستوريين.

ثم قرأنا في جريدة الجمهورية لسان حال الثورة هجوما على الوفديين والدستوريين والسعديين جميعا، وهجوما على وزير المالية الدكتور عبدالجليل العمري والمستشار الجمهوري سليمان حافظ لأنهما زارا إبراهيم عبد الهادي رئيس السعديين.

وبعد هذا سمعنا إشاعة أن الوزارة المدنية سيرأسها الدكتور السنهوري .. وإشاعة أخرى أن الوزارة سيرأسها الدكتور بهي الدين بركات.. وإشاعة ثالثة أن الوزارة سيرأسها الأستاذ عبد الرحمن عزام..

وقرأنا يوما أن الحزب الجمهوري سيتألف برياسة نجيب، وقرأنا في اليوم التالي انه عدل عن انشاء الحزب الجمهوري، وقرأنا في اليوم الثالث أن الرئيس نجيب سيبقى بعيدا عن الأحزاب.

ثم قرأنا تصريحا للصاغ خالد محيي الدين بأنه سيرشح نفسه على مبادئ الحزب الجديد، وانه سيكون في جناحه التقدمي!

ثم قرأنا تصريحا للبكباشي جمال عبد الناصر بأنه ثائر وليس سياسيا، وقرأنا أن أعضاء مجلس الثورة لا يتقدمون للانتخابات لأنهم ثوار وليسوا سياسيين.

وهكذا يمكن تلخيص الموقف بأنه سلاطة!

والسلاطة أنواع:

سلاطة «بلدي»..

وسلاطة بالخضراوات..

وسلاطة طحينة..

وأخيرا.. «سلاطة روسية»!

والذي نرجوه أن نعرف من مسئول (صاحب سلطة) نوع «السلاطة» التي تطبخ الآن..

مصطفى أمين

جريدة «الأخبار» في ٢٥ مارس ١٩٥٤



القائمقام يوسف صديق يتحدث إلى "المصرى"

الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد دائما

الميول الحمراء تلصق دائما بكل حر وقد ألصقت بجمال عبد الناصر وخالد محيى الدين

سبب استقالتى من مجلس قيادة الثورة يفسرها تاريخ الاستقالة

كتب مندوب المصرى يقول :

قلت للقائمقام يوسف صديق : ان كتابك الذى ارسلته الى الرئيس اللواء محمد نجيب ونشر «المصرى» نصه قد رسم أمام الذين لا يعرفونك عشرات من علامات الاستفهام ، خاصة وان احدى الصحف قد خرجت امس تشكك فى اتجاهاتك وتتهمك فى اغراضك ، فمن انت؟ وما هى مبادئك ؟ هل انت من الاخوان ؟ أم شيوعى ؟ أم وفدى؟ أم اشتراكى ؟ أم انت من هؤلاء جميعا ؟ وهل صحيح انك كتبت رسالتك الى الرئيس نجيب بمداد احمر على ورق احمر ؟

ضابط وطنى مصرى حر

فتمهل القائمقام يوسف صديق وشرد بأفكاره الى الوراء ثم قال : ان صح لى ان اتحدث عن نفسى فانى اقول لهؤلاء انى ضابط مصرى قمت على رأس الضباط الاحرار يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بالدور الرئيسى الذى مكن للضباط الاحرار من تنفيذ سياستهم ..

مبادئه كل مصرى

واما مبادئى فهى مبادىء كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه وان وحدة مصر هى السلاح الاول الذى تتحقق به جميع اهدافها وان الطمأنينة والاوضاع الطبيعية والاستقرار السياسى والاقتصادى وشعور الناس بانهم سينامون فى بيوتهم وانهم غير مهددين اذا قالوا كلمة للصالح العام بالمبيت فى السجون والمعتقلات او باتهامهم اذا كانوا من الاخوان بانهم من عملاء لنـدن ، واذا كانوا من الاحرار الوطنيين بانهم من عملاء موسكو ، كل هذه هى مبادئى ؟

بضاعة بائرة لا تروج

واستأنف القائمقام يوسف صديق حديثه قائلا ، لقد اصبحت هذه البضاعة ، بضاعة الاتهامات التى تلقى جزافا بائرة لا تروج عند الشعب فقد اصبح الشعب المصرى كامل الوعى لمرهف الحس يميز الغث من السمين ، واذا كان الهضيبى زعيم الاخوان المسلمين فى مصر حقا من عملاء انجلترا فانا لا يهمنى بعد ذلك ان اتهم بانى من عملاء موسكو او غير موسكو ... ومن هم عملاء واشنطن ؟! ثم لماذا لا نسمع اى احاديث عنهم او تحديد لهم ؟!

مصر الآن ..

ثم قال : ايها الناس ان مصر الآن ليس فيها وفدى ولا اخوانى ولا اشتراكى

البقية على ص ٦

القائمقام يوسف صديق يتحدث الى «المصرى»

بقية المنشور على الصفحة الرابعة

ولا شيوعى فالجميع قد وقفوا صفا واحدا وراء كلمة واحدة هى كلمة الوطن وامام هدف واحد هو تحرير الوطن . ومن سار مع القافلة فانه منهـا ومن عارضها فستسحقه الاقدام مع اعداء الوطن وستظهر الايام اننى لست شيوعيا واننى لا ادين بشىء الا بحبى لبلادى لكنى ارى ان الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لا يمكن انكارها الا اذا اردنا الهرب من الواقع . وانهم كمصريين لهم الحق فى مناقشـة آرائهم كغيرهم من المواطنين وان انجلترا وامريكا فيهمـا شيوعيون وفى الاولى حزب معترف به ولقد صرح الهضيبى وهو الذى يمثل اكبر معسكر اسلامى فى الشرق ان الشيوعية لا تقاوم بالقوة وبالقوانين وانه لا مانع لديه من ان يكون لهم حزب ظاهر وان الاسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التى تسلكها البلاد

كنت عضوا فى مجلس الثورة

قلت ان الذين قرأوا كتابك على صفحات « المصرى » وقرأوا توقيعك عليه مقترنا بعبارة « عضو مجلس الثورة السابق » اخذوا يتساءلون عن قصتك ويتساءلون عن دورك فى حركة ٢٣ يوليو وعن دورك فى مجلس الثورة وكيف اصبحت غير عضو فيه فقال :

اما انى كنت عضوا فى مجلس الثورة فهذا امر يعلمه كل من تتبع احـداث الثورة ، واما ان جميع المصريين لا يعرفون عنى الكثير او القليل فذلك يرجع الى ان سياسة مجلس الثورة فى اوائل الحركة كانت مبنية على نكران الذات ، واما عن دورى فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فساتركه للتاريخ وان كان الرئيس اللواء محمد نجيب لم يبخـل على بالحق فى مذكراته التى نشرها على الناس حين قال : اننى كنت الشرارة الاولى التى اندلعت فى هذا التاريخ واننى افضل ان يسأل ايضا البكباشى جمال عبد الناصر عن هذا الدور وانا راض بتقريره فى ذلك .

اسباب الاستقالة

واما اسباب استقالتى من مجلس الثورة فان التاريخ الذى استقلت فيه من المجلس وهو فبراير سـنة ١٩٥٣ يستطيع ان يحدد اسباب هذه الاستقالة لكل من فى رأسه عيون ترى وفى قلبه بصرة تبصر

سلمته الرسالة بنفسى

قلت الم يصلك رد من الرئيس اللواء محمد نجيب على رسالتك ؟ فقال :

لقد سلمت رسالتى الى الرئيس اللواء محمد نجيب بنفسى وقد تحدثت معه ساعة وبعض ساعة عما فيها ولا يسعنى وانا اشعر بالعبء الضخم الذى يقع على اكتافه والظروف المختلفة المحيطة به الا ان ادعو له بالتوفيق ، فقد عدت بعد هذه المقابلة الى منزلى بالزيتون وانا اتفاءل خيرا من مسلك الرئيس محمد نجيب مادام يستجيب لرغبات الشعب الذى احب واتعلق به

قلت : لقـد اشارت بعض الصحف امس الى ان اقتراحك عن قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين اقتراح لشخص غير مسئول ، وتساءلت الصحيفة هل انت من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة ام انك لا تزال بعيدا عن مزاولة نشاطك السياسى منذ استقلت من مجلس قيادة الثورة لمناسبة ماقيل عن تدبيرك لانقلاب عسكرى فما رأيك فى هذا الكلام ؟ هل كنت تزمع حقا القيام بانقلاب عسكرى ؟

الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد

فقال : احب ان اواجه الحقيقة التى تتجلى فى ان الذى يرسم سياسة البلاد الآن ودائمـا هو الشعب وليس هو يوسف صديق ولا مجلس الثورة ولا اى فرد او هيئة انما هو الشعب الذى يرسم سياسته لنفسه بنفسه . وما كان اقتراحى فى هذا الصدد سوى رأى لرجل اشترك فى مسئولية الوضع الجديد للبلاد وله غيرته على وطنـه ويحب كما يحب اى مخلص ان تسير السفينة الى شاطىء السلام دون ان تضيع جهودنا ونفنى قوانا فى التخاصم والتقاتل ونترك العدو يسعد بهذا الهدم

اما بشأن ميولى الحمراء فان هـذه الميـول تلصق دائما بكل حر . وقد الصقت اخيرا وبشكل مفاجىء بالصاغ خالد محيى الدين ، واستطيع ان اقرر ان هـذه التهمة قد وجهت فى وقت من الاوقات الى البكباشى جمال عبد الناصر نفسه كما وجهت للثورة كلها فى يوم ما . ومهما وجهوا الينا من تهم فنحن سائرون فى طريقنا نضحك ملء اشداقنا من هذه الاتهامات .

جريدة المصرى

بتاريخ ٢٦ مارس عام ١٩٥٤ (ص٤)

القائمقام يوسف صديق يتحدث إلى «المصرى»

الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد دائما

الميول الحمراء تلصق دائما بكل حر وقد ألصقت بجمال عبد الناصر وخالد محيى الدين

سبب استقالتى من مجلس قيادة الثورة يفسرها تاريخ الاستقالة

كتب مندوب المصرى يقول :

قلت للقائمقام يوسف صديق : إن كتابك الذى أرسلته إلى الرئيس اللواء محمد نجيب ونشر «المصرى» نصه قد رسم أمام الذين لا يعرفونك عشرات من علامات الاستفهام، خاصة وأن احدى الصحف قد خرجت أمس تشكك فى اتجاهاتك وتتهمك فى أغراضك، فمن أنت؟ وما هى مبادئك؟ هل أنت من الاخوان؟ أما شيوعى؟ أم وفدى؟ أم اشتراكى؟ أما أنت من هؤلاء جميعا؟ وهل صحيح أنك كتبت رسالتك إلى الرئيس نجيب بمداد أحمر على ورق أحمر؟

ضابط وطنى مصرى حر

فتمهل القائمقام يوسف صديق وشرد بذهنه إلى الوراء ثم قال : إن صح لى أن أتحدث عن نفسى فإنى أقول لهؤلاء إنى ضابط مصرى قمت على رأس الضباط الأحرار يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بالدور الرئيسى الذى مكن للضباط الاحرار من تنفيذ سياستهم..

مبادئ كل مصرى

وأما مبادئى فهى مبادئ كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه وأن وحدة مصر هى السلاح الأول الذى تتحقق به جميع أهدافها وأن الطمأنينة والأوضاع الطبيعية والاستقرار السياسى والاقتصادى وشعور الناس بأنهم سينامون فى بيوتهم وأنهم غير مهددين إذا قالوا كلمة للصالح العام بالمبيت فى السجون والمعتقلات أو باتهامهم إذا كانوا من الإخوان بأنهم من عملاء لندن، وإذا كانوا من الاحرار الوطنيين بأنهم من عملاء موسكو. كل هذه هى مبادئى.

بضاعة بائرة لا تروج

واستأنف القائمقام يوسف صديق حديثه قائلا: لقد أصبحت هذه البضاعة .. بضاعة الاتهامات التى تلقى جزافا بائرة لا تروج عند الشعب فقد أصبح الشعب المصرى كامل الوعى مرهف الحس يميز الغث من السمين، وإذا كان الهضيبى زعيم الاخوان المسلمين فى مصر حقا من عملاء انجلترا فانا لا يهمنى بعد ذلك أن اتهم بأنى من عملاء موسكو أو غير موسكو..

ومن هم عملاء واشنطن؟! لماذا لا نسمع أى أحاديث عنهم أو تحديد لهم؟؟!

مصر الآن ..

ثم قال : أيها الناس إن مصر الآن ليس فيها وفدى ولا إخوانى ولا اشتراكى ولا شيوعى فالجميع قد وقفوا صفا واحدا وراء كلمة واحدة هى كلمة الوطن وأمام هدف واحد هو تحرير الوطن. ومن سار مع القافلة فإنه منها ومن عارضها فستسحقه الأقدام مع أعداء الوطن وستظهر الأيام أننى لست شيوعيا وأننى لا أدين بشىء، إلا بحبى لبلادى لكنى أرى أن الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لا يمكن انكارها إلا إذا أردنا الهرب من الواقع. وأنهم كمصريين لهم الحق فى مناقشة آرائهم كغيرهم من المواطنين وأن انجلترا وأمريكا فيهما شيوعيون وفى الأولى حزب معترف به ولقد صرح الهضيبى وهو الذى يمثل أكبر معسكر إسلامى فى الشرق أن الشيوعية لا تقاوم بالقوة وبالقوانين وأنه لا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التى تسلكها البلاد.

كنت عضوا فى مجلس الثورة

قلت: إن الذين قرءوا كتابك على صفحات «المصرى» وقرءوا توقيعك عليه مقترنا بعبارة «عضو مجلس الثورة السابق» أخذوا يتساءلون عن قصتك ويتساءلون عن دورك فى حركة ٢٣ يوليو وعن دورك فى مجلس الثورة وكيف أصبحت غير عضو فيه فقال :

أما أنى كنت عضوا فى مجلس الثورة فهذا أمر يعلمه كل من تتبع أحداث الثورة، وأما أن جميع المصريين لا يعرفون عنى الكثير أو القليل فذلك يرجع إلى أن سياسة مجلس الثورة فى أوائل الحركة كانت مبنية على نكران الذات، وأما عن دورى فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فساتركه للتاريخ وإن كان الرئيس اللواء محمد نجيب لم يبخل على الحق فى مذكراته التى نشرها على الناس حين قال : إننى كنت الشرارة الأولى التى اندلعت فى هذا التاريخ وإننى أفضل أن يسأل أيضا البكباشى جمال عبد الناصر عن هذا الدور وأنا راض بتقريره فى ذلك.

أسباب الاستقالة

وأما أسباب استقالتى من مجلس الثورة فإن التاريخ الذى استقلت فيه من المجلس وهو فبراير سنة ١٩٥٣ يستطيع أن يحدد أسباب هذه الاستقالة لكل من فى رأسه عيون ترى وفى قلبه بصرة تبصر.

سلمته الرسالة بنفسى

قلت: ألم يصلك رد من الرئيس اللواء محمد نجيب على رسالتك؟ فقال :

لقد سلمت رسالتى إلى الرئيس اللواء محمد نجيب بنفسى وقد تحدثت معه ساعة وبعض ساعة عما فيها ولا يسعنى وأنا أشعر بالعبء الضخم الذى يقع على أكتافه والظروف المختلفة المحيطة به إلا أن أدعو له بالتوفيق، فقد عدت بعد هذه المقابلة إلى منزلى بالزيتون وأنا أتفاءل خيرا من مسلك الرئيس محمد نجيب ما دام يستجيب لرغبات الشعب الذى أحبه وأتعلق به.

قلت : لقد أشارت بعض الصحف أمس إلى أن اقتراحك عن قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين اقتراح لشخص غير مسئول، وتساءلت الصحيفة هل أنت من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة أم أنك لا تزال بعيدا عن مزاولة نشاطك السياسي منذ استقلت من مجلس قيادة الثورة لمناسبة ما قيل عن تدبيرك لانقلاب عسكرى فما رأيك فى هذا الكلام؟ هل كنت تزمع حقا القيام بانقلاب عسكرى؟

الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد

فقال : أحب أن أواجه الحقيقة التى تتجلى فى أن الذى يرسم سياسة البلاد الآن ودائما هو الشعب وليس هو يوسف صديق ولا مجلس الثورة ولا أى فرد أو هيئة إنما هو الشعب الذى يرسم سياسته لنفسه بنفسه. وما كان اقتراحى فى هذا الصدد سوى رأى لرجل اشترك فى مسئولية الوضع الجديد للبلاد وله غيرته على وطنه ويحب كما يحب أى مخلص أن تسير السفينة إلى شاطئ السلام دون أن نضيع جهودنا ونفنى قوانا فى التخاصم والتقاتل ونترك العدو يسعد بهذا الهدم.

أما بشأن ميولى الحمراء فإن هذه الميول تلصق دائما بكل حر. وقد ألصقت أخيرا وبشكل مفاجئ بالصاغ خالد محيى الدين، وأستطيع أن أقرر أن هذه التهمة قد وجهت فى وقت من الأوقات إلى البكباشى جمال عبد الناصر نفسه كما وجهت للثورة كلها فى يوم ما. ومهما وجهوا إلينا من تهم فنحن سائرون فى طريقنا نضحك ملء أشداقنا من هذه الاتهامات.

٨ : روز اليوسف - العدد - ١٣٤٦

أنا الذى قبضت على رئيس أركان حرب الجيش!

قصة استقالتى من مجلس القيادة هى قصة الدستور!

على ماهر حاول التخلص من تحديد موعد الانتخابات

القوات الانجليزية كانت على بعد ٥٠ كيلو من القاهرة!

استعمال العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجى..!

الانقلاب الذى دبرته كان مجرد مظاهرة عسكرية

الجيش أصبح من الوعى بحيث لا يستخدم ضد الشعب

تخرج يوسف منصور صديق من الكلية الحربية سنة ١٩٣٣ ثم اختير مدرسا بالكلية الحربية سنة ١٩٣٩ وتخصص فى تدريس التاريخ العسكرى وحصل على شهادة أركان الحرب سنة ١٩٤٥ واشترك فى الكفاح ضد الطغيان طوال مدة خدمته فى الجيش.

وقد اشترك القائمقام يوسف منصور صديق فى حركة ٢٣ يوليو واختير بعد ذلك عضوا فى مجلس الثورة وبقى فيه حتى فبراير سنة ١٩٥٣ ثم اختفى اسم يوسف صديق من الصحف..

قال يوسف صديق لمندوب «روزاليوسف»:

●●●

● لقد خيل الحظ الوجود فى القاهرة قبل حركة ٢٣ يوليو على رأس قوة صغيرة. وكنت قبلها بين نفى وتشتيت حتى نقلت الى السودان. ولكن الذين فعلوا بى ذلك نسوا أن السودان ومصر شئ واحد فلم أعاد الطغيان فى أى منهما.

وقد استطعت بهذه القوة الصغيرة التى لم تتجاوز المائتين جنديا ان اقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليو افضل ان يتحدث عنه غيرى من الضباط، غير انى اقول لك باختصار اننى تحركت على رأس هذه القوة الصغيرة فى منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت فى طريقى من معسكر هايكستيب الى ادارة الحرس قائد فرقة المشاة العسكرية هناك فاعتقلته وأخذته أسيرا ثم قابلت القائد الثانى المساعد فى الطريق فاعتقلته كذلك.

وقد صادفت البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر فى مصر الجديدة حيث علمت منهما ان أمر الضباط الاحرار قد كشف وان رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى رئاسة الجيش لاصدار أوامر مقاومة الحركة فأسرعت الى مقر الاجتماع على الفور وهاجمت القيادة وقبضت على رئيس أركان حرب الجيش فى مكتبه قبل الاجتماع وعلى معظم القواد الذين كانوا فى طريقهم اليه وكذلك قبضت على القوات التى ارسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش فقضيت بذلك على المقاومة وأصبح للضباط الاحرار الامر فى البلاد.

كان طبيعيا بعد ذلك أن أكون عضوا فى مجلس الثورة وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة انها ستجرى الانتخابات فى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ وكانت الثورة بذلك تسير وفقا لمبادئ الضباط الاحرار.

غير ان مجلس قيادة الثورة بدا بعد ذلك يتجاهل هذه الاهداف فحاولت أكثر من مرة ان اترك المجلس واعود الى صفوف الجيش فلم يسمح لى بذلك. حتى ثار فريق من الضباط الاحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشى محسن عبد الخالق بسبب هذا التجاهل لاهداف الثورة.. فأيدت الثائرين بالدفاع عن وجهة نظرهم فابعدت الى أسوان سنة ١٩٥٣ ونقلت أمر الابعاد حتى تثبت لهم صحة آرائى عمليا بفعل الايام ذاتها.

وكان مجلس الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون. فما حل شهر فبراير سنة ١٩٥٣ الذى كان محددا لعودة الحياة النيابية الا وكان مجلس قيادة الثورة قد اعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم على نحو ما يعرفه الناس والغوا الدستور بحجة عمل دستور جديد، وحلوا الاحزاب بحجة ان بعضها فاسد وصادروا أموالها.

وأصبح واضحا ان الثورة قد انحرفت وبدأت تنتكس، فاتصلت بالبكباشى جمال عبد الناصر تليفونيا من أسوان وأخبرته اننى لا يمكن ان ابقى عضوا فى مجلس الثورة وطلبت منه ان يعتبرنى مستقيلا فانا لا اوافق على ما يتم وهيا ارسل هذه الاستقالة مع احد الضباط الذين كانوا فى حراستى فاستدعيت للقاهرة فى الحال واعتقل كل من عرف أن له صلة بى..

ونصحت بأن اسافر للعلاج فى سويسرا على ان اعود بعد ثلاثة أشهر للعمل فى صفوف الجيش.

ومضت الشهور الثلاثة. وجاءنى الخبر بعد ذلك هناك بأن عودتى غير مرغوب فيها. ولكنى عدت خلسة الى وطنى وتوجهت الى بلدتى فى مركز الواسطى وأستقلت من الجيش تلغرافيا فتقرر تحديد اقامتى هناك ثم طلبت الانتقال للقاهرة فحددت اقامتى هنا.

ومن طريف ما يمكن ان اذكره لك ان منزل بحلمية الزيتون حيث اقامتى محددة لا يفصله عن منزل الزميل محمد نجيب الا شارع واحد هو الممر الذى يفصل بين أخى المعتقل والمعتقل الآخر.

● وما رأيك فى الفترة التى حكم فيها على ماهر؟..

- بدأت وزارة على ماهر تنفيذ برنامجها الاصلاحى المنتظر ولكن خابت الآمال فيها لقد حاول على ماهر التخلص من تحديد موعد الانتخابات وحاولنا نحن الضغط عليه واتفقنا معه نهائيا على تحديد موعد الاثنين ١٠ - ٨ - ١٩٥٢ لاذاعة البيان المنتظر الذى سيعلن فيه عن موعد الانتخابات، لكنه فاجئنا قبل هذا التاريخ بطريقة الاتفاق مع وضع ماهية المستشارين والتمهيد لرأس المال الاجنبى للدخول والسيطرة بنسبة ٥١ ٪ والاقامة لمدة ١٠ سنوات وكان الجيش قد طلب التطهير فى جميع نواحى البلاد بما فى ذلك الاحزاب حتى يعود للدستور ارتباطه، وان الى ... فلا الى مهازل التطهير والمعركة الشديدة فى الوفد والاشاعات.

وبدأت اللجنة العسكرية الى ... وزارة على ماهر ... الجيش تأييد الشعب ... السكرية ... اللجنة العسكرية المطالبة باقالة الوزارة (وزارة على ماهر) فورا (وكان ذلك فى مساء ٨/٨/١٩٥٢) وليل ١٠ - ٨ - ١٩٥٢ أصدر على ماهر فى الليلة السابعة بيانا ... يتعرض فيه للتحديد لموعد الانتخابات وهاجم فيه الاحزاب ولم يكشف الحال ولم يبين برنامجا واكتفى لما يلتزم القيام به وفى ليل هذا اليوم اجتمعت القيادة العامة بيانا اعلنت فيه ... سبق ان اتفقت مع على ماهر على ان تجرى الانتخابات فى اوائل شهر فبراير واستنكرت ... قبل ... وتمهلت القيادة ... احراج ... تصرفات وزارته ... بالحكم على ماشيه ... الاستقالة ... الحكم ... بتقليد ما ... التاريخ ١٩٢ وأعلنت القيادة ... والنكبة فى ... ؟

روزاليوسف

(العدد ١٣٤٦)

الاثنين ٢٩ مارس ١٩٥٤

أنا الذى قبضت على رئيس أركان حرب الجيش!

قصة استقالتى من مجلس القيادة هى قصة الدستور!

على ماهر حاول التخلص من تحديد موعد الانتخابات

القوات الانجليزية كانت على بعد ٥٠ كيلو من القاهرة!

استعمال العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجى ..!

الانقلاب الذى دبرته كان مجرد مظاهرة عسكرية

الجيش أصبح من الوعى بحيث لا يستخدم ضد الشعب

تخرج يوسف منصور صديق من الكلية الحربية سنة ١٩٣٣ ثم اختير مدرسا بالكلية الحربية سنة ١٩٣٩ وتخصص فى تدريس التاريخ العسكرى وحصل على شهادة أركان الحرب سنة ١٩٤٥ واشترك فى الكفاح ضد الطغيان طوال مدة خدمته فى الجيش.

وقد اشترك القائمقام يوسف منصور صديق فى حركة ٢٣ يوليو واختير بعد ذلك عضوا فى مجلس الثورة وبقى فيه حتى فبراير سنة ١٩٥٣ ثم اختفى اسم يوسف صديق من الصحف.

قال يوسف صديق لمندوب «روزاليوسف»:

لقد هيأ لى الحظ الوجود فى القاهرة قبل حركة ٢٣ يوليو على رأس قوة صغيرة. وكنت قبلها بين نفى وتشتيت حتى نقلت إلى السودان. ولكن الذين فعلوا بى ذلك نسوا أن السودان ومصر شىء واحد فلم أهادن الطغيان فى أى منهما.

وقد استطعت بهذه القوة الصغيرة التى لم تتجاوز الستين جنديا أن أقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليو أفضل أن يتحدث عنه غيرى من الضباط، غير أنى أقول لك باختصار اننى تحركت على رأس هذه القوة الصغيرة فى منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت فى طريقى من معسكر هايكستيب إلى إدارة الحرس قائد فرقة المشاة العسكرية هناك فاعتقلته وأخذته أسيرا ثم قابلت القائد التالى المساعد فى الطريق فاعتقلته كذلك.

وقد صادفت البكباشي جمال عبدالناصر والصاغ عبدالحكيم عامر في مصر الجديدة حيث علمت منهما أن أمر الضباط الأحرار قد كشف وأن رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا في رئاسة الجيش لاصدار أوامر لمقاومة الحركة فأسرعت إلى مقر الاجتماع على الفور وهاجمت القيادة وقبضت على رئيس أركان حرب الجيش في مكتبه قبل الاجتماع وعلى معظم القواد الذين كانوا في طريقهم إليه وكذلك قبضت على القوات التي أرسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش فقضيت بذلك على المقاومة وأصبح للضباط الأحرار الأمر في البلاد.

كان طبيعيا بعد ذلك أن أكون عضوا في مجلس الثورة وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة أنها ستجري الانتخابات في شهر فبراير سنة ١٩٥٣ وكانت الثورة بذلك تسير وفقا لمبادئ الضباط الأحرار.

غير أن مجلس قيادة الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهداف فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود إلى صفوف الجيش فلم يسمح لي بذلك، حتى ثار فريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشي محسن عبد الخالق بسبب هذا التجاهل لأهداف الثورة ... فأيدت الثائرين بالدفاع عن وجهة نظرهم فأبعدت إلى أسوان سنة ١٩٥٣ ونفذت أمر الإبعاد حتى تثبت لهم صحة أرائي عمليا بفعل الأيام ذاتها.

وكان مجلس الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون. فما حل شهر فبراير سنة ١٩٥٣ الذي كان محددا لعودة الحياة النيابية إلا وكان مجلس قيادة الثورة قد اعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم على نحو ما يعرفه الناس وألغوا الدستور بحجة عمل دستور جديد، وحلوا الأحزاب بحجة أن بعضها فاسد وصادروا أموالها.

وأصبح واضحا أن الثورة قد انحرفت وبدأت تنتكس، فاتصلت بالبكباشي جمال عبدالناصر تليفونيا من أسوان وأخبرته أنني لا يمكن أن أبقى عضوا في مجلس الثورة وطلبت منه أن يعتبرني مستقيلا فانا لا أوافق على ما يتم وسأرسل هذه الاستقالة مع أحد الضباط الذين كانوا في حراستي فاستدعيت للقاهرة في الحال واعتقل كل من عرف أن له صلة بي.

ونصحت بأن أسافر للعلاج في سويسرا على أن أعود بعد ثلاثة أشهر للعمل في صفوف الجيش.

ومضت الشهور الثلاثة، وجاءني الخبر بعد ذلك هناك بأن عودتي غير مرغوب فيها، ولكني عدت خلسة إلى وطني وتوجهت إلى بلدتي في مركز الواسطي واستقلت من الجيش تلغرافيا فتقرر تحديد اقامتي هناك ثم طلبت الانتقال للقاهرة فحددت اقامتي هنا.

ومن طريف ما يمكن أن أذكره لـك أن منزلي بحلمية الزيتون حيث اقامتي محددة لا يفصله عن منزل الزميل محمد نجيب إلا شارع واحد هو الممر الذي يفصل بين الحر المعتقل والمعتقل الحر!.

وثيقة رقم (٦)

● وما رأيك في الفترة التى حكم فيها على ماهر؟

- بدأت وزارة على ماهر تنفذ برنامجها الاصلاحى المنتظر ولكن خابت الآمال فيها. فقد حاول على ماهر التخلص من تحديد موعد الانتخابات وحاولنا نحن الضغط عليه واتفقنا معه نهائيا على تحديد موعد الاثنين ١٩٥٢/٨/١٠ لاذاعة البيان المنتظر الذى سيعلن فيه عن موعد الانتخابات، فإذا به يفاجئنا قبل هذا التاريخ بضريبة الدخان مع رفع ماهية المستشارين والتمهيد لرأس المال الأجنبى للدخول والسيطرة بنسبة ٥١٪ والإقامة لمدة ١٠ سنوات وكان الجيش قد طلب التطهير فى جميع نواحى البلاد بما فى ذلك الاحزاب حتى يمهد للدستور أرضا طيبة. وإن أنسى فلا أنسى مهازل التطهير والمعركة الشديدة فى الوفد والإشاعات.

ورأت اللجنة العسكرية أن تصرفات وزارة على ماهر تعتبر عملا مقصودا لإفقاد الجيش تأييد الشعب وتعريض القوات العسكرية للخطر ورأت اللجنة العسكرية المطالبة بإقالة الوزارة (وزارة على ماهر) فورا، وكان ذلك فى مساء ١٩٥٢/٨/٨.

وفى ١٩٥٢/٨/١١ أصدر على ماهر فى الليلة السابقة بيانا مطولا لم يتعرض فيه لتحديد موعد الانتخابات وهاجم فيه الأحزاب فى وضعها الحالى ولم يبين برنامجا واضحا لما يعتزم القيام به وفى فجر هذا اليوم أصدرت القيادة العامة بيانا أعلنت فيه أنها سبق أن اتفقت مع على ماهر على أن تجرى الانتخابات فى أوائل شهر فبراير واستنكرت فرض ضرائب غير مباشرة كضريبة الدخان التى يقع عبئها على الفقير قبل الغنى. وقصدت القيادة بهذا البيان إحراج على ماهر وكشف موقفه وانتقاد تصرفات وزارته معتمدة أنه بالحكم على ماضيه سيضطر للاستقالة أو يبقى فى الحكم ضعيفا فتملى عليه ما تشاء وتأمره بتنفيذ ما تراه لصالح الشعب.

وأعلنت القيادة يومها أنها لا تهدف إلى حل الأحزاب فهدأت بذلك ما أثاره بيان على ماهر فى نفوس الأحزاب من قلق.

وأذكر أننى عندما وصلت إلى قيادة اللواء السابع بالعباسية، رأيت الجنود تتحرك فى عربات وسألت أركان حربى فأخبرنى بأن القيادة العليا أصدرت أوامرها إلى القوات بالتحرك إلى مداخل القاهرة وكان ذلك لسببين:

الأول: أن الجيش البريطانى يقوم بمناورات وقد وصلت طلائعه إلى ٥٠ كيلو متر شرق القاهرة فرأت القيادة أن ترد على ذلك بمناورة مماثلة لتؤكد للإنجليز أنها مصرة على مقابلة العدوان بالقوة مهما كانت النتائج.

والثانى: أنها رأت أن تحركات القوات المسلحة فى داخل القاهرة تعتبر مظاهرة حربية تؤكد لعلى ماهر أنها ستواصل استخدام القوة لصلحة البلاد فى الداخل والخارج.

ورغم أننا أوقفنا على ماهر عند حده وأخرجناه من الحكم من أجل الدستور بعد أن هاجم الأحزاب هجوما عنيفا فإن مجلس الثورة وأنا فى أسوان الغى الدستور بحجة عمل دستور جديد والغى الأحزاب بحجة أن بعض أعضائها فاسدون، خضوعا لمستشاريه الذين جعلوا بهذا العمل جبهة الأحزاب كلها فى ناحية ومجلس الثورة فى ناحية.

قال مندوب روزاليوسف :

● البعض يرى أن اقتراحك بتكوين جبهة من الوفديين والإخوان والشيوعيين والاشتراكيين هو جمع بين الوفدى والاشتراكى والشيوعى والأخ المسلم والشامى والمغربى، وأن هذا لا يمكن تحقيقه.

قال : إن التغاضى عن الاعتراف بقيام جبهة متحدة من هذه الهيئات الأربعة هو هروب من الواقع، فقد تم تكوين هذه الجبهة فعلا وليس هناك دليل أسطع على وجودها من أن أقطاب وشباب هذه الهيئات ممثلون الآن فى جميع المعتقلات والسجون، التى جمعت بين الشيوعى والوفدى والأخ المسلم والاشتراكى فجمعت بذلك بين الشامى والمغربى على حد قول القائلين فلا يكون هناك عجب أن تجمع الجبهة بينهم ولا سيما أن اجتماعهم هو للعمل لمصر.

● هل كنت ستقوم بانقلاب عسكرى فلهذا أبعدك المجلس إلى أسوان؟

فضحك يوسف صديق وقال :

ـ القول بأنى كنت أريد عمل انقلاب عسكرى فيه شيء غير قليل من التخريف، فحقيقة ما حدث أن بعض الضباط الأحرار تذمروا حين بدأوا يشعرون بأن مجلس الثورة لا يطبق السياسة المتفق عليها وكان على رأسهم اليوزباشى محسن عبد الخالق. وكنت أرى أنهم على حق وأدافع عن وجهة نظرهم وكانت نيتى متجهة إلى جمع عدد كبير من الضباط المتذمرين والقيام بمجرد مظاهرة عسكرية لاطلاع مجلس الثورة على صورة حقيقية عن حقيقة شعور الضباط.

أما الانقلاب العسكرى العنيف فإنى ضده وأومن بأن استعمال العنف يكون مع العدو الخارجي وأن التهديد بالدم والثورة الحمراء يجب أن يكون للعدو الخارجى فحسب لأنه لا يستفيد من تقاتلنا إلا ذلك العدو.

وابتسم قائلا :

ولا تظن أنه ما دامت إقامتى محددة فنشاطى السياسى ينتهى، هذا محال فأنا كما قلت لك مسئول أمام التاريخ وما دام قد أبيح للعسكريين الاشتغال بالسياسة فسيبقى نشاطى السياسى مستمرا حتى

يتمكن الشعب من حقوقه وسيادته. وقبل هذا، وقبل أن يعود العسكريون جميعا إلى ثكناتهم ونصبح كما كنا رجال حرب، وضد العدو فحسب، لا يمكن أن يتوقف نشاطى السياسى.

ومرة أخرى ابتسم يوسف صديق ليقول، هل تريد أن تعرف ما هو أجمل؟

ـ نعم ..

قال:

ـ أكتب «كن واثقا أن الجيش قد أصبح من الوعى بحث لا يمكن استخدامه ضد الشعب أو لمصلحة فرد أو أفراد وأنه سيكون دائما وأبدا جيش الشعب وفى خدمة الشعب فحسب ..».

«يوسف صديق»

وثيقة رقم (٧)





شهادة رسمية

تشهد سجلات الوزارة بأن السيد / يوسف صديق منصور

الذي كان ضابطاً بالجيش برتبة قائمقام أركان حرب

أحيل إلى المعاش من ١/٤/١٩٥٤

حررت هذه الشهادة بناء على طلب السيد / يوسف صديق منصور

لتقديمها لوزارة الداخلية بمناسبة ترشيحه في

الانتخابات العامة وذلك دون أدنى مسئولية تجاه الغير

[illegible] بيانات وقد [illegible] السيد [illegible]

[illegible] بموجب إيصال رقم ٢١٥٦١٧ في ٢١/٥/١٩٥٧

٢١/٥/٥٧ [illegible]

٢١/٥ [illegible]

٢١/٥/١٩٥٧ [illegible]

وقد صدر الطلب [illegible] المادة الثالثة

[illegible] المجلس [illegible]

[illegible] ٢٤/٥/١٩٥٨

مدير [illegible]

وثيقة رقم (٧)

شهادة رسمية

من واقع سجلات الوزارة تبين أن السيد/ يوسف منصور صديق الذى كان ضابطا بالجيش برتبة قائمقام أركان حرب أحيل إلى المعاش من ١٩٥٤/٤/١.

حررت هذه الشهادة بناء على طلب السيد/ يوسف منصور صديق لتقديمها إلى وزارة الداخلية بمناسبة ترشيح نفسه فى الانتخابات العامة، وذلك دون أدنى مسئولية فيما ورد فيها من بيانات، وقد سدد الرسم المقرر لذلك، وقدره أربعمائة مليم بموجب الحافظة رقم ٦١٥٦١٧ فى ١٩٥٧/٥/٢١.

مدير عام المعاشات

٥٧/٥/٢١

رفض الطلب قانونا استنادا إلى الفقرة السادسة من المادة الثالثة من قانون عضوية مجلس الأمة.

إمضاء

مدير أمن بنى سويف

١٩٥٧/٥/٢٢

بصراحة يكتبها: محمد حسنين هيكل



المتهم يوسف منصور صديق يخرج من مبنى السفارة البلغارية بعد أن سلمت في القائم بأعمال السفارة رسالة كتبها ودسها الى حكومة بلغاريا

قضيت امس ساعتين مع الرجل الذى يدعى راديو صوفيا عنه كل يوم — انه يعيش وراء الاسوار العالية لسجن رهيب بطلب داخل السجن ويجلد، ويصرخ وما من سامع، ويستغيث وما من مغيث.. الا راديو صوفيا نصير الاحرار ومنقذ الثوار!!

وقال لي الرجل، وهو يسأله وهو عندما اراديو صوفيا عنه حول فيه:

« لقد سقط تحت غربال البوليس احد الناقلين السجن وهو يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة المصرية السابق الذى ظل في السجن اعواما لا قبل لنا بحملها »

وقال الرجل، وهو يوسف منصور صديق، قال وهو يهز رأسه في دهشة:

— لا ادرى من اين يأتون بهذا الكلام الفارغ وما هى مصلحتهم في اذاعته!!

ثم استطرد يوسف منصور صديق:

— سوف اذهب الآن بنفسى الى سفارة بلغاريا، لاقول لهم صراحة ان هذا الكلام الذى ترددها اذاعاتهم لا يضر بنا قدر ضرره بهم...

بعلاقة حول الثاني منهم — الا كانوا يسمعون لما يقولونه — انا وجعلوني اسمي يتردد في الشارع بهذا الاذاعة صوفيا تمر على اني وراء اسوار السجن، وانني اعذب واضرب والقى التنكيل والهوان!

ونهض يوسف منصور صديق واقفا وهو يقول:

— سوف اذهب الآن الى هناك لاقول لهم رأيي!

والى هناك ذهب يوسف منصور صديق فعلا

وبعد عشر دقائق كان يدخل مبنى سفارة بلغاريا، وطلب مقابلة السفير.

ولكن السفير لم يكن هناك، لانه كان غائبا في صوفيا يحمل مشاورات عنه بعد ان انسحبت الازمة بين صوفيا والقاهرة بسبب تعرض الكتب الشيوعى على العدوان على الكتاب المسلمين بسبب العرب من يدرسون في بلغاريا؟

وطلب يوسف منصور صديق مقابلة القائم باعمال السفارة.

وقال سكرتير السفارة الذى وجد يوسف منصور صديق يدخل مكتبه:

— ان القائم بالاعمال المسيو يوردان كيروف ذهب الى مكتب قسم الشئون الشرقية لزيارته وانه سيتصل به ليحضر على الفور.

وحضر كيروف، لتحدد الرجل الذى تروى عنه الاذاعة بلادها وتروى من الحكايات ... ! — جالسا في مكتبه ينتظره!

وكانت المفاجأة!

وقال كيروف: انه لا يستطيع ان يتحمل مسئولية نقل كلام يلقى اليه شفويا — الى حكومته...

وقال يوسف منصور صديق:

— هل استطيع ان احصل منك على ورقة؟

وامسك يوسف منصور صديق ورقة اخذها من مكتب القائم باعمال سفارة بلغاريا وبدأ يكتب:

« السيد المحترم القائم باعمال السفارة البلغارية بالقاهرة

بعد الاحترام: مقدمه القائمقام أ. ح. يوسف منصور صديق عضو مجلس الثورة السابق اعرض الآتي:

دأبت اذاعة « صوفيا » في الايام الاخيرة على ترديد اسمى في اذاعاتها في اخبار ليس لها ظل من الحقيقة. فهي تزعم انني معتقل وانني القى التعذيب في المعتقل — وتردد ذلك في مناسبات متعددة الامر الذى دعاني للحضور بنفسى اليكم لتأكيد عدم صحة هذه الاخبار

ولما كان ترديد مثل هذه الاذاعات لا يفيد شعب بلغاريا ولا شعب الجمهورية العربية المتحدة فانني قد اتيت لسيادتكم راجيا وضع حد لهذه الاذاعات البعيدة عن الحقيقة والتي من شأنها أن تعكر الجو بين شعبين صديقين يعملان معا في معسكر السلام

واننى ارجو ان يقبلوا تحياتي وشكري

القائمقام أ. ح

يوسف منصور صديق »

ولم يجد القائم بالاعمال البلغاري — كيروف — بدا من ان يتسلم بكلمة اسف ثم قال:

« ان الاذاعات تخطئ في بعض الاحيان ومن المحتمل تصحيح ذلك وسأتصل بالحكومة في صوفيا فورا لتتصل براديو صوفيا حتى تعيد نظره الى الحقيقة »

وخرج يوسف منصور صديق من دار السفارة البلغارية

وهكذا تبين على راديو صوفيا، ان يتحمل مسئولية ما لا قبل له به!

ان راديو صوفيا لا يمكن ان يكون مسئولا عن هذا السخف الذى ينطلق على جانبه فان ذلك الراديو — في واقع امره — ليس الا تعبيرا عالى الصوت في يد حكومة بلغاريا ذاتها، وتلك حقيقة لا تحتمل الجدل او النقاش.

ولكن لماذا تقف حكومة بلغاريا هذا الموقف

وترمى نفسها هذا الوضع؟!

لماذا تنفرد الآن دون غيرها بحملة منظمة على الجمهورية العربية المتحدة؟

بالامس في صوفيا واجه الطلبة العرب الذين ذهبوا لتحصيل العلم عدوانا وحشيا لا نشبه له من جانب الطلبة الشيوعيين

ولم يكن العدوان ما كان يجب ان يقلقوا

بل ان العدوان ذاته — لم يلق من جانب السلطات الرسمية البلغارية — ما كان يجب ان يلقاه من اهتمام كجريمة وقعت على ارض بلد يحترم فيه سيادة القانون

ولم شأ حكومة الجمهورية العربية المتحدة ان تدخل في مناقشة كبيرا مع حكومة بلغاريا، وانما اكتفت القاهرة بان تحث الى الطلبة العرب الذين يتلقون العلم في بلغاريا على من يشاء منهم ان يعود الى القاهرة او الى دمشق لاستكمال دراسته او ان يتجه الى جامعات اخرى في اى بلد آخر غير بلغاريا!

ولكن حكومة بلغاريا لم يكفها ذلك

بل مضت بعد ذلك الحملات في راديو صوفيا.. حملات لا معنى لها ولا سبب بل لا اصل لها ولا سند، وسنتها حكايات من نوع ما قيل عن يوسف منصور صديق، مما وجعل الرجل نفسه مضطرا لان يذهب الى سفارة بلغاريا ليقول لهم فيها صراحة وعلى مجابهة.

« من اين جئتم بهذا الكلام الذى لا ظل له من الحقيقة واى مصلحة تقصدونها بترديده ؟! »

وذلك سؤال في موضعه!

فما هو — اذا — معنى هذا السخف الذى يجرى في بلغاريا حيالنا، واى مصلحة يقصدها هذا السخف

ان الاجابة على هذا السؤال امر تتضارب فيه الآراء وتختلف!

ان هنا من يقول.

« ان صوفيا هي مركز توجيه الاحزاب الشيوعية في منطقة الشرق الاوسط والفشل الذريع الذى لاقته الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية في العام الاخير، هزيمة لصوفيا لمركز توجيه وقيادة، ومن هنا فان صوفيا لا تجد من تصب عليها سخطها غير الجمهورية العربية المتحدة، التى كانت مركز الاشعاع الوطنى، وقاعدة انطلاق تياره الواعى »

وهناك من يقول:

« ان صوفيا هي المكان الذى هرب اليه خالد بكداش، الرجل الذى كان يحلم بان يقود الشرق العربى بموالى الشيوعية، فلم يستطع الا ان يقود نفسه الى صوفيا، هاربا لاجئا، يدبر العودة ويفكر في الانتقام »

وهناك من يقول اشياء اخرى

ومع ذلك فليكن اى من هذه الدوافع صحيحة فما الذى تتصور صوفيا انها تستطيع تحقيقه بمثل هذه الحملة وبمثل هذا السخف الذى يتردد فيها؟

هل تتصور انها تؤثر؟ وهل تتصور انها تخلف؟ وهل تتصور انها تخيف؟!

ان القومية العربية واجهت خصوما ومعارك

خصوما، اضعف من الهم، اقوى بلا جدال من حكومة صوفيا

ومعارك، اخفها واهونها لا تقبل مقارنة من اى حرب يمكن ان تثيرها صوفيا!

والمدافع التى تستعملها اليوم حكومة صوفيا **مدافع قديمة، والذخيرة التى تحشوها ذخيرة فاسدة**

نفس المدافع والذخيرة وجهت من قبل الى القومية العربية من لندن ومن باريس ومن تل ابيب ومن غير باريس

واقرأوا مذكرات ايدن التى تنشر الآن

انها النموذج والقياس، على ان الذخيرة الفاسدة في المدافع القديمة لا تنطلق الى الاهداف المصوبة اليها وانما هى تنطلق مرتدة الى الخلف، ولا تصيب غير اصحابها الواقفين وراءها!!

وبعد —

التى هناك من يقرض الى حكومة صوفيا ويسحبها — كما يفعلون عادة مع الاولاد المتعرضين للشغب — ويرجعها الى الطريق السليم مطالبا بنفع ساحتها في مستقبل الايام ويسرف اسرعها قبل ان يأتي ... نهاية الطريق؟

محمد حسنين هيكل

بصراحـــــة

يكتبها : محمد حسنين هيكل

قضيت أمس ساعتين مع الرجل الذى يذيع راديو صوفيا عنه كل يوم أنه يعيش وراء الأسوار العالية لسجن رهيب، ويعذب داخل السجن ويجلد، ويصرخ وما من سامع، ويستغيث وما من مغيث . ألا راديو صوفيا نصير الأحرار، ومنقذ الثوار!!

وقال لى الرجل، وهو يمسك فى يده تعليقا لراديو صوفيا عنه يقول فيه :

«لقد سقط تحت ضربات البوليس أحد المناضلين النشيطين وهو يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة المصرية السابق الذى يلقى فى السجن أهوالا لا قبل لبشر بتحملها».

وقال الرجل، وهو بذاته يوسف منصور صديق، قال وهو يهز رأسه فى دهشة:

ـ لا أدرى من أين يأتون بهذا الكلام الفارغ، وما هى مصلحتهم فى إذاعته؟!

ثم استطرد يوسف منصور صديق:

ـ سوف أذهب الآن بنفسى إلى سفارة بلغاريا، لأقول لهم صراحة أن هذا الكلام الذى تردده إذاعاتهم لا يضر بنا قدر ضرره بهم... وماذا يقول الناس عنهم ـ إذا كانوا يسمعون مايقولونه ـ إذا وجدونى أسير بينهم فى الشارع بينما إذاعة صوفيا تصر على أننى وراء أسوار السجن، وأننى أعذب وأضرب وألقى التنكيل والهوان!

ونهض يوسف منصور صديق واقفا وهو يقول:

ـ سوف أذهب الآن إلى هناك لأقول لهم رأيى!

وإلى هناك ذهب يوسف منصور صديق فعلاً.

وبعد عشر دقائق كان يدخل مبنى سفارة بلغاريا، يطلب مقابلة السفير.

ولكن السفير لم يكن هناك، لأنه كان غائباً فى صوفيا، حيث استدعوه لمشاورات معه بعد أن استحكمت الأزمة بين صوفيا والقاهرة، بسبب تحريض الطلبة الشيوعيين على العدوان على الطلبة المتمسكين بقوميتهم العربية ممن يدرسون فى بلغاريا!!

وطلب يوسف منصور صديق مقابلة القائم بأعمال السفارة.

وقال سكرتير السفارة الذى وجد يوسف منصور صديق يدخل مكتبه:

- إن القائم بالأعمال المسيو بوردان كيروف ذهب إلى مكتب فيتنام الشمالية ليزور رئيسه وانه سيتصل به ليحضر على الفور.

وحضر كيروف، ليجد الرجل الذى تروى عنه إذاعة بلاده ما ترويه من الحكايات . ! . جالساً فى مكتبه ينتظره.

وكانت المفاجأة!

وقال كيروف: انه لا يستطيع أن يتحمل مسئولية نقل كلام يلقى إليه شفويا - إلى حكومته...

وقال يوسف منصور صديق:

- هل أستطيع أن أحصل منك على ورقة؟

وأمسك يوسف منصور صديق ورقة أخذها من مكتب القائم بأعمال سفارة بلغاريا وبدأ يكتب:

«السيد المحترم القائم بأعمال السفارة البلغارية بالقاهرة

بعد الاحترام .. مقدمه القائمقام أ.ح. يوسف منصور صديق عضو مجلس الثورة السابق أعرض الآتى:

دأبت إذاعة «صوفيا» فى الأيام الأخيرة على ترديد اسمى فى إذاعاتها فى أخبار ليس لها ظل من الحقيقة. فهى تزعم أننى معتقل وأننى ألاقى التعذيب فى المعتقل - وتردد ذلك فى مناسبات متعددة الأمر الذى دعانى للحضور بنفسى إليكم لتاكيد عدم صحة هذه الأخبار.

ولما كان ترديد مثل هذه الإذاعات لا يفيد شعب بلغاريا ولا شعب الجمهورية العربية المتحدة فإننى قد أتيت لسيادتكم راجيا وضع حد لهذه الإذاعات البعيدة عن الحقيقة والتى من شانها أن تعكر الجو بين شعبين صديقين يعملان معا فى معسكر السلام.

وإننى أرجو أن تقبلوا تحياتى وشكرى.

قائمقام أ.ح

يوسف منصور صديق

ولم يجد القائم بالأعمال البلغارى - كيروف - بدأ من أن يتمتم بكلمة أسف ثم يقول:

«إن الإذاعات تخطىء فى بعض الأحيان ومن المستحسن تصحيح ذلك وسأتصل بالحكومة فى صوفيا فوراً لتتصل براديو صوفيا حتى تلفت نظره إلى الحقيقة».

وخرج يوسف منصور صديق من دار السفارة البلغارية.

وهكذا تعين على راديو صوفيا، أن يتحمل مسئوليات ما لا ذنب له فيه!

إن راديو صوفيا لا يمكن أن يكون مسئولا عن هذا السخف الذى ينطلق على موجاته فإن ذلك الراديو - فى واقع أمره - ليس إلا نفيرا عالى الصوت فى يد حكومة بلغاريا ذاتها، وتلك حقيقة لا تحتمل الجدل أو النقاش.

ولكن لماذا تقف حكومة بلغاريا هذا الموقف وترضى لنفسها هذا الموضع؟!

لماذا تنفرد الآن دون غيرها بحملة منظمة على الجمهورية العربية المتحدة؟

بالأمس فى صوفيا واجه الطلبة العرب الذين ذهبوا تحدوهم النوايا الطيبة لتلقى العلم فى بلغاريا - عدوانا وحشيا لا تفسير له من جانب الطلبة الشيوعيين.

ولم يلق المعتدون ما كان يجب أن يلقوه من جزاء.

بل إن العدوان ذاته - لم يلق من جانب السلطات الرسمية البلغارية - ما كان يجب أن يلقاه من اهتمام كجريمة وقعت على أرض بلد تحترم فيه سيادة القانون.

ولم تشأ حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تدخل فى مناقشة كبيرة مع حكومة بلغاريا. وإنما اكتفت القاهرة بأن تبعث إلى الطلبة العرب الذين يتلقون العلم فى بلغاريا تخير من يشاء منهم أن يعود إلى القاهرة أو إلى دمشق لاستكمال دراسته أو أن يتجه إلى جامعة أخرى، فى أى بلد آخر غير بلغاريا!

ولكن حكومة بلغاريا لم يكفها ذلك بل مضت بعد ذلك الحملات فى راديو صوفيا.. حملات لا معنى لها ولا سبب، بل لا أصل لها ولا سند، وبينها حكايات من نوع ما قيل عن يوسف منصور صديق، مما وجد الرجل نفسه مضطراً لأن يذهب إلى سفارة بلغاريا ليقول لمن فيها صراحة وبغير مجاملة:

«من أين جئتم بهذا الكلام الذى لاظل له من الحقيقة، وأى مصلحة تخدمونها بترديده؟».

وذلك تساؤل فى موضعه!

فما هو - فعلاً - معنى هذا السخف الذى يجرى فى بلغاريا حيالنا، وأى مصلحة يخدمها هذا السخف.

إن الإجابة على هذا التساؤل أمر تتضارب فيه الآراء، وتختلف!

إن هنا من يقول:

«إن صوفيا هى مركز توجيه الأحزاب الشيوعية فى منطقة الشرق الأوسط، والفشل الذريع الذى لاقته الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية فى العام الأخير، هزيمة لصوفيا كمركز توجيه وقيادة، ومن هنا فإن صوفيا لا تجد من تصب عليها سخطها غير الجمهورية العربية المتحدة، التى كانت مركز الاشعاع الوطنى، وقاعدة انطلاق تياره الواعى».

وهناك من يقول:

«إن صوفيا هي المكان الذي هرب إليه خالد بكداش، الرجل الذي كان يحلم بأن يقود الشرق العربي يوما إلى الشيوعية، فلم يستطع إلا أن يقود نفسه إلى صوفيا، هاربا لاجئا، يدبر للعودة ويفكر في الانتقام».

وهناك من يقول أشياء أخرى.

ومع ذلك فليكن أي من هذه الدوافع صحيحاً، فما الذي تتصور صوفيا أنها تستطيع تحقيقه بمثل هذه الحملة، وبمثل هذا السخف الذي يتردد فيها؟

هل تتصور أنها تؤثر؟ وهل تتصور أنها تضغط؟ وهل تتصور أنها تخيف؟!

إن القومية العربية واجهت خصوما ومعارك.

خصوما، أضعف من فيهم، أقوى بلا جدال من حكومة صوفيا.

ومعارك، أخفها وأهونها، أعنف بلا مناقشة من أي حرب يمكن أن تثيرها صوفيا!

والمدافع التي تستعملها اليوم حكومة صوفيا مدافع قديمة، والذخيرة التي تحشوها بها ذخيرة فاسدة.

نفس المدافع والذخيرة وجهت من قبل إلى القومية العربية من لندن ومن باريس، ومن غير لندن ومن غير باريس.

واقرأوا مذكرات إيدن التي تنشر الآن.

إنها النموذج والقياس، على أن الذخيرة الفاسدة في المدافع القديمة لا تنطلق إلى الأهداف المصوبة إليها، وإنما هي تنطلق مرتدة إلى الخلف، ولا تصيب غير أصحابها الواقفين وراءها!!

وبعد..

أليس هناك من يقرص أذن حكومة صوفيا ويشدها ـ كما يفعلون عادة مع الأولاد المنحرفين الأشقياء ـ ويردها إلى الطريق المستقيم، علها تنفع نفسها في مستقبل الأيام، وتشرف أسرتها قبل أن يمضي بها الانحراف إلى نهاية الطريق؟!

محمد حسنين هيكل

الخميس ٢٨ يناير ١٩٦٠

وثيقة رقم (٩)

حديث الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريـــــة

مع د . ف . مورجان مندوب الصنداى تيمس الانجليزية

يونيو سنة ١٩٦٢

س : وقال دافيد وين مورجان :

ــ لقد كانت ليلة مثيرة دون شك .... ولابد أن ذكرياتها ستبقى زمنا طويلا لهل تستطيع أن تعرف الخطوط الرئيسية فى سير الاحداث تلك الليلة ؟

ج : وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

فى نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء الى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا وان كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به ــ لتحذيرى بأن القصر قد تسرب اليـــه نبأ استعداد الضباط الاحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس اركان حرب الجيش الذى دعــا الى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحاديه عشرة لاتخاذ الاجراءات ضدنا .

وكان لابد من اتخاذ قرار فورى ــ فلو أننا تركنا كل شىء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها وهى الواحدة صباحا ــ فقد يدركونا قبل أن ندركهم ومن ناحية أخرى كانت الاوامــر قد وزعت وكان من أصعب الامور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .

تسعون دقيقة :

وانضم الينا ضابط المخابرات وخرجت مع عبد الحكيم عامر لتجميع بعض القوات من ثكنـــات العباسية ووصلنا متأخرين فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات لنهبنا السنـــ ثكنات الفرسان والمصفحات فوجدنا أيضا أنهم سبقونا وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر ــ ولم يبق على ساعة الصفر الا تسعون دقيقة وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندمــا تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الاحداث ..... ولقد تأكد لى من تطورات الامور أن عناية

بعده ......(٢)

(٢)

الله كانت تلك الليلة معنا ٠

طابور من الجنود :

فقد انطلقنا لنتوجه الى ثكنات ألماظة كحل أخير ـ وكنت أسير بسيارتى الأوستن الصغيرة ومعى عبد الحكيم عامر ـ وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريق تحت الظلام ـ وأخرجنا الجنود من السيارة وألقوا القبض علينا ـ لكن الجنود كانوا فى الحقيقة من قوات الثورة ـ وكانوا ينفذون أوامرى بالقاء القبض على كل ضابط فوق رتبه القائمقام دون مناقشة ـ ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريبا كل دقيقة منها أثمن ما يكون ـ ولم تصدر الاوامر فورا باطلاق سراحى وسراح عبد الحكيم عامر الا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة وأحد زملائى المقربين ليستطلع سر الضجه ،ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخرج من الظلام فقد تحرك قبل الوقت المحدد له ـ وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة ليبدأ الهجوم ٠

وانضممنا الى الطابور وقررت الا ننتظر واتجهنا فورا الى القيادة وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية ـ لكن عنصر المفاجأة كان فى جانبنا ٠

اقتحمنا مبنى القيادة :

لقد اعتقلنا فى الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيادة لتوجيه الضربة ضدنا ٠

وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة اركان حرب وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الاجراءات التى ستتخذ ضد الضباط الأحرار وقبضنا عليهم جميعا ٠

بعده ٠٠٠٠٠٠٠ (٣)

(٣)

وفى الساعة الثالثة صباحا ـ التقت نفس المجموعه (مجموعة الضباط الذين كانوا قد التقوا قبل ذلك بعدة أيام التقوا من جديد) لكن التقائهم هذه المرة كان فى حجرة الاجتماعات بالقيادة العامــــــــه ـ وأوفدت من يجئ باللواء محمد نجيب الذى كنا قد فاتحناه قبلها بيومين فى احتمال انضمامه الينا اذا مانجحت المحاوله ـ ولم يكن قد أطلعناه على أحداث الليلــــه لكن تبين لنا أنه كان له علم سابق بماحدث ٠

فقد اتصل به وزير الداخليه تليفونيا فى الاسكندريه قبل ذلك بنصف ساعة ليستفسر منــه عما يجرى وأمكنه أن يجيبه بأنه لاعلم له بشئ دون أن يكون كاذبا فى كلامه ٠

وثيقة رقم (٩)

حديث الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

مع د. و. مورجان مندوب الصنداى تيمس الانجليزية

يونيو سنة ١٩٦٢

س : وقال دافيد وين مورجان :

ـ لقد كانت ليلة مثيرة دون شك .. ولابد أن ذكرياتها ستبقى زمنا طويلا فهل نستطيع أن نعرف الخطوط الرئيسية فى سير الأحداث تلك الليلة؟

جـ ـ وقال الرئيس جمال عبدالناصر :

فى نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء إلى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به ـ لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه نبأ استعداد الضباط الاحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس أركانحرب الجيش الذى دعا إلى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الاجراءات ضدنا.

وكان لابد من اتخاذ قرار فورى ـ فلو أننا تركنا كل شىء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها وهى الواحدة صباحا ـ فقد يدركونا قبل أن ندركهم ومن ناحية أخرى كانت الأوامر قد وزعت وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع.

تسعون دقيقة :

وانضم إلينا ضابط المخابرات وخرجت مع عبدالحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية ووصلنا متأخرين فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات فمضينا إلى ثكنات الفرسان والمصفحات فوجدنا أيضا أنهم سبقونا وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل.

وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر ـ ولم يبقى على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندما تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الأحداث ..... ولقد تأكد لى من تطورات الأمور أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا.

طابور من الجنود:

فقد انطلقنا لنتوجه إلى ثكنات ألماظة كحل أخير ـ وكنت أسير بسيارتى الأستن الصغيرة ومعى عبدالحكيم عامر ـ وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريق تحت الظلام ـ وأخرجنا الجنود من السيارة والقوا القبض علينا ـ لكن الجنود كانوا فى الحقيقة من قوات الثورة ـ وكانوا ينفذون أوامرى بالقاء القبض على كل ضابط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة ـ ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريبا كل دقيقة منها أثمن ما يكون ـ ولم تصدر الأوامر فورا بإطلاق سراحى وسراح عبدالحكيم عامر إلا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة وأحد

زملائى المقربين ليستطلع سر الضجة، ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخرج من الظلام فقد تحرك قبل الوقت المحدد له - وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة ليبدأ الهجوم.

وانضممنا إلى الطابور وقررت ألا ننتظر واتجهنا فورا إلى القيادة وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية - لكن عنصر المفاجأة كان فى جانبنا.

اقتحمنا مبنى القيادة :

لقد اعتقلنا فى الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيادة لتوجيه الضربة ضدنا.

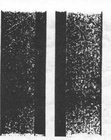
وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة أركان حرب وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الاجراءات التى ستتخذ ضد الضباط الأحرار وقبضنا عليهم جميعا.

وفى الساعة الثالثة صباحا - التقت نفس المجموعة (مجموعة الضباط الذين كانوا قد التقوا قبل ذلك بعدة أيام التقوا من جديد) لكن التقائهم هذه المرة كان فى حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة - وأوفدت من يجىء باللواء محمد نجيب الذى كنا قد فاتحناه قبلها بيومين فى احتمال انضمامه إلينا إذا ما نجحت المحاولة - ولم يكن قد أطلعناه على أحداث الليلة لكن تبين لنا انه كان له علم سابق بما حدث.

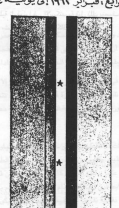
فقد اتصل به وزير الداخلية تليفونيا فى الإسكندرية قبل ذلك بنصف ساعة ليستفسر منه عما يجرى وأمكنه أن يجيبه بأنه لا علم له بشىء دون أن يكون كاذبا فى كلامه.







مجموعة
خطب وتصريحات وبيانات
الرئيس
جمال عبد الناصر
القسم الرابع : فبراير ١٩٦٢ إلى يونيه ١٩٦٤



وزارة الإرشاد القومي
الهيئة العامة للاستعلامات
القاهرة

وثيقة رقم (١٠)

ان هـــذا الجيل من شعب مصر على موعـــد مع القـــدر

خطـاب الرئيس جمال عبد الناصر فى العيد العاشر

للثورة بتاريـــــــــخ ٢٢ يوليو ١٩٦٢

صـــ ١٨٩

قبل ميعاد التنفيـــذ :

مثل ذلك الوقت يوم ٢٢ يوليو من عشر سنين كان كل واحد بيمر على الضباط أنا كنت بمر على الضباط كل واحد كان مع الضباط المتصلين بيه كنا على ثقة ان ربنا مع هذا الشعب لكى ينتصر • الساعة ١١ بالليل قبل ميعاد تنفيذ الثورة بساعتين كشفت الخطة وأخو أحد الضباط بلغ قصر عابدين ان الضباط أخذوا أخوه ليقوموا بثـــورة •

الساعة احداشر ونص فى هذا اليوم أتى الى أحد الضباط الاحرار الذين كانوا فى المخابرات وقال لى ان الثورة اكتشفت ••• والملك من الاسكندرية اتصل بقائد الجيش — وأن قائد الجيش طلب عقد مؤتمر لكبار الضباط فى كوبرى القبه وأنه لا بد لنا ان نلغى كل شئ ••••• لم يكـــن ممكـــن بأى حال من الاحوال ان نلغى كل شـــئ ••

فرصـــــة ذهبيـــــة :

كانت الساعة احداشر كان معاد التحرك ••• الساعة واحدة كانوا الضباط وصلوا الـــى وحداتهم وكان لابد من أن نسير فى عمليتنا الى النهاية •• قلت له اننا لن نستطيع أبدا ••• العجلة دارت ولن يستطيع انسان أن يوقف هذه العجلة وقلت له نحن نستطيع ان نتصـــرف ونستطيع أن نتحرك ونستطيع فى آخر لحظة ان نغير الخطة وأن الامر الذى أعطاه الملك أو الامر الذى أعطاه قائد الجيش لجميع كبار القادة فى القيادة يعطينا فرصه ذهبية لاخذالهم كلهم بعملية واحدة ••• وكان علينا فى هذا اليوم ان نقوم بهذه العملية او نعدل خطتنا فى آخر وقت وآخر دقيقة • بعد ذلك نزلت من البيت وعديت عبد الحكيم عامر وأخذت عبد الحكيم عامر لكى نحصل على قوات قشلاق العباسية ولكن كان الطرف الاخر سبقنا وكان البوليس الحربى قافل المدخـــل

فقلنا نطلع على كمال حسين فى الماظة ونجيب قوات من هناك علشان نحتقل القادة ٠٠٠ وفى السكة حصلت حادثة ان دلت على شيء فانها تدل على التوفيق ٠

كان المفروض أن التحرك سيكون الساعة واحده ولكن فيه واحد اعتقد ان التحرك الساعة ١٢ اللى هو يوسف منصور صديق وتحرك قبل الميعاد بساعة فقابلناه فى السكة ٠٠٠٠٠ قلناله مالذى حركك بدرى قال الميعاد الساعه ١٢ قلناله الميعاد الساعه واحدة ٠٠٠٠٠ قال على العموم أنا اتحركت الساعة ١٢ ٠٠٠٠٠ قلناله تعالى اذن نطلع على القيادة ونحتل القيادة ونعتقل الناس الموجودين هناك ٠٠٠٠٠٠٠٠ ان دل هذا على شيء فيدل على التوفيق ٠

وكانت هذه القوة هى القوة التى احتلت القيادة وقبضت على جميع القادة فى هذا الوقت ٠٠ وبهذا تمكنت الثورة من أن تسير فى عملها ٠٠٠٠

إن هذا الجيل من شعب مصر على موعد مع القدر

خطاب الرئيس جمال عبدالناصر فى العيد العاشر

للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٢

قبل ميعاد التنفيذ :

مثل ذلك الوقت يوم ٢٢ يوليو من عشر سنين كان كل واحد بيمر على الضباط أنا كنت بمر على الضباط كل واحد كان مع الضباط المتصلين بيه كنا على ثقة أن ربنا مع هذا الشعب لكى ينتصر. الساعة ١١ بالليل قبل ميعاد تنفيذ الثورة بساعتين كشفت الخطة وأخو أحد الضباط بلغ قصر عابدين أن الضباط أخذوا أخوه ليقوموا بثورة.

الساعة احداشر ونص فى هذا اليوم أتى إلى أحد الضباط الأحرار الذين كانوا فى المخابرات وقال لى إن الثورة اكتشفت ... والملك من الإسكندرية اتصل بقائد الجيش - وأن قائد الجيش طلب عقد مؤتمر لكبار الضباط فى كوبرى القبة وأنه لا بد لنا من أن نلغى كل شىء ..... لم يكن ممكن بأى حال من الأحوال أن نلغى كل شىء.

فرصة ذهبية :

كانت الساعة احداشر كان معاد التحرك ... الساعة واحدة كانوا الضباط وصلوا إلى وحداتهم وكان لابد من أن نسير فى عمليتنا إلى النهاية .. قلت له إننا لن نستطيع أبدا ... العجلة دارت ولن يستطيع انسان أن يوقف هذه العجلة وقلت له نحن نستطيع أن نتصرف ونستطيع أن نتحرك ونستطيع فى آخر لحظة أن نغير الخطة وأن الأمر الذى أعطاه الملك أو الأمر الذى أعطاه قائد الجيش لجميع كبار القادة فى القيادة يعطينا فرصة ذهبية لاعتقالهم كلهم بعملية واحدة ... وكان علينا فى هذا اليوم أن نقوم بهذه العملية أو نعدل خطتنا فى آخر وقت وآخر دقيقة. بعد ذلك نزلت من البيت وعديت على عبدالحكيم عامر وأخذت عبد الحكيم عامر لكى نحصل على قوات فشلاق العباسية ولكن كان الطرف الآخر سبقنا وكان البوليس الحربى قافل الداخل فقلنا نطلع على كمال حسين فى ألماظة ونجيب قوات من هناك علشان نعتقل القادة ... وفى السكة حصلت حادثة إن دلت على شىء فإنها تدل على التوفيق.

كان المفروض أن التحرك سيكون الساعة واحدة ولكن فيه واحد اعتقد ان التحرك الساعة ١٢ اللى هو يوسف منصور صديق وتحرك قبل الميعاد بساعة فقابلناه فى السكة ..... قلنا له ما الذى حركك بدرى قال الميعاد الساعة ١٢ قلنا له الميعاد الساعة واحدة ..... قال على العموم أنا اتحركت الساعة ١٢ ..... قلنا له تعالى إذن نطلع على القيادة ونحتل القيادة ونعتقل الناس الموجودين هناك .... إن دل هذا على شىء فيدل على التوفيق.

وكانت هذه القوة هى القوة التى احتلت القيادة وقبضت على جميع القادة فى هذا الوقت.. وبهذا تمكنت الثورة من أن تسير فى عملها....

فكرة!

مرت الاحتفالات باعياد ثورة ٢٣ يوليو ، ونسينا ونحن نتحدث عن ابطال هذه الثورة اسم واحد من ابطالها ظلمناه حيا ويجب ان ننصفه ميتا، وهوالقائم مقام يوسف صديق وقد اثبت شهود الثورة يوم مولدها انه لولا تحرك الكتيبة التى كان يقودها يوسف صديق من معسكر هاكستيب قبل ساعة الصفر بساعة واحدة مخالفا بذلك خطة قادة الثورة ، ولولا انه قبض على القادة المجتمعين فى القيادة واستولى عليها ، لولا ذلك لفشلت الثورة وزج بجميع قوادها فى السجون .

وثبت ايضا من شهادة شهود تلك الايام موقف يوسف صديق من قضية الديموقراطية منذ بداية الثورة حتى استقال من مجلس قيادة الثورة وقيل يومئذ انه كان يدبر لانقلاب عسكرى ، وابعد الى اسوان ، ثم ابعد الى سويسرا للعلاج ثم تقرر تعيينه ملحقا عسكريا فى الهند لابعاده عن مصر ثم ظهر انه كان يناضل نضالا شجاعا دفاعا عن الديموقراطية وحق الشعب فى ان يحكم نفسه بنفسه . وقد قبل راضيا ان يخرج من قيادة الثورة الى زنزانة فى السجن الحربى ، وان يوضع معه فى نفس السجن ابناؤه واقرباؤه وزوجته مفضلا هذا الهوان على ان يشترك فى الحكم الفردى الذى لا يقره ضميره .

واذكر انه كتب فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ كتابا الى اللواء محمد نجيب وكان يومئذ رئيس مجلس الثورة يقترح تاليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى الوفد والاخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون ، تشرف على اجراء انتخابات البرلمان ، واقترح ان يراس هذه الوزارة الدكتور وحيد رافت .

واذكر اننى كتبت يومها اعارض يوسف صديق فى اقتراحه الذى قلت انه يجمع الشامى على المغربى والوفدى على الاشتراكى ، والاخ المسلم على الشيوعى .وكان يوسف صديق ابعد منى نظرا لانه كان يرى من داخل مجلس الثورة الخطر القادم ، وهو خطر حكم الفرد وخطر الديكتاتورية . وهو خطر لم نره ولم نتصوره فى تلك الايام ، فقد كان القادة يؤكدون انهم سينفذون .البند السادس من الثورة وهو اقامة ديموقراطية حقيقية يتمتع فيها الشعب بكل حرياته ، وصدقناهم ، وكذبنا يوسف صديق بسبب ميوله الحمراء . وجاءت الايام بعد ذلك تؤكد كل ما تنبأ به يوسف صديق ، واذكر انه زارنى فى مكتبى وسلمنى صورة من مذكراته ، وما ازال احتفظ بها الى اليوم .

اعتقد ان من حق يوسف صديق الذى تعرض هو واسرته وزوجته لكل انواع البهدلة ان ننصفه ونطلق اسمه على احد شوارع القاهرة ، او على احد شوارع بنى سويف ..

يجب ان تكون لدينا الشجاعة ان ننصف كل انسان ظلمناه .

مصطفى أمين

فكـــــرة !

مرت الاحتفالات بأعياد ثورة ٢٣ يوليو، ونسينا ونحن نتحدث عن أبطال هذه الثورة اسم واحد من أبطالها ظلمناه حيا ويجب أن ننصفه ميتا، وهو القائم مقام يوسف صديق وقد اثبت شهود الثورة يوم مولدها أنه لولا تحرك الكتيبة التى كان يقودها يوسف صديق من معسكر هاكستيب قبل ساعة الصفر بساعة واحدة مخالفا بذلك خطة قادة الثورة، ولولا أنه قبض على القادة المجتمعين فى القيادة واستولى عليها، لولا ذلك لفشلت الثورة وزج بجميع قوادها فى السجون.

وثبت ايضا من شهادة شهود تلك الايام موقف يوسف صديق من قضية الديموقراطية منذ بداية الثورة حتى استقال من مجلس قيادة الثورة وقيل يومئذ أنه كان يدبر لانقلاب عسكرى، وأبعد إلى أسوان، ثم أبعد إلى سويسرا للعلاج ثم تقرر تعيينه ملحقا عسكريا فى الهند لابعاده عن مصر.

ثم ظهر أنه كان يناضل نضالا شجاعا دفاعا عن الديموقراطية وحق الشعب فى أن يحكم نفسه بنفسه. وقد قبل راضيا أن يخرج من قيادة الثورة إلى زنزانة فى السجن الحربى، وأن يوضع معه فى نفس السجن أبناؤه وأقرباؤه وزوجته، مفضلا هذا الهوان على أن يشترك فى الحكم الفردى الذى لا يقره ضميره.

واذكر أنه كتب فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ كتابا إلى اللواء محمد نجيب وكان يومئذ رئيس مجلس الثورة يقترح تاليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى الوفد والاخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون، تشرف على اجراء انتخابات البرلمان، واقترح أن يرأس هذه الوزارة الدكتور وحيد رأفت.

وأذكر أننى كتبت يومها أعارض يوسف صديق فى اقتراحه الذى قلت أنه يجمع الشامى على المغربى والوفدى على الاشتراكى، والأخ المسلم على الشيوعى. وكان يوسف صديق أبعد منى نظرا لأنه كان يرى من داخل مجلس الثورة الخطر القادم، وهو خطر حكم الفرد وخطر الديكتاتورية. وهو خطر لم نره ولم نتصوره فى تلك الأيام، فقد كان القادة يؤكدون أنهم سينفذون البند السادس من الثورة وهو اقامة ديموقراطية حقيقية يتمتع فيها الشعب بكل حرياته، وصدقناهم، وكذبنا يوسف صديق بسبب ميوله الحمراء. وجاءت الأيام بعد ذلك تؤكد كل ما تنبأ به يوسف صديق، وأذكر أنه زارنى فى مكتبى وسلمنى صورة من مذكراته، وما أزال أحتفظ بها إلى اليوم.

أعتقد أن من حق يوسف صديق الذى تعرض هو وأسرته وزوجته لكل أنواع البهدلة أن ننصفه ونطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة، أو على أحد شوارع بنى سويف.

يجب أن تكون لدينا الشجاعة أن ننصف كل انسان ظلمناه.

مصطفى أمين

٢٧ يوليو ١٩٨٤

فكرة!

هذا رجل اختلفت معه واحببته حاربني وحاربته . طالب براسي واحترمته . اختلفت مع البكباشي يوسف صديق عضو مجلس الثورة . كان يؤيد محمد نجيب وكنت اؤيد جمال عبدالناصر . وكان يقول لى أن جمال عبدالناصر يريد أن يكون ديكتاتورا ، وكنت اؤكد له

ان جمال عبدالناصر يريد الديموقراطية وكان هو على حق ، وكنت انا على خطا . وكان عذرى

انني سمعت عبدالناصر بنفسي وهو يؤكد انه يريد الديموقراطية وان زملاءه اعضاء مجلس الثورة هم الذين يصرون على الدكتاتورية

وتحمل هذا الرجل ما لا يتحمله البشر . كان دمه ينزف وهو يقود القوة المكلفة بالاستيلاء على رئاسة

الجيش فى القبة والقبض على كل القادة وحدد له عبدالناصر موعدا للتحرك ولم يحترم هو هذا الموعد

وتحرك قبل ساعه من ساعة الصفر واعتقد البعض ان هذا سيؤدى الى فشل الثورة والبتت الأيام بعد ذلك ان تحركه هذا هو الذى انقذ

الثورة من الفشل فقد ظهر ان الملك عرف بهذا السر قبل موعد التحرك بعدة ساعات .

وقيل انه شيوعى ولهذا اخرجوه من مجلس الثورة . ولم يحاول ان يحارب الثورة وبقى يتفرج من بعيد . ولكن القبضة الحديدية وصلت اليه واعتقلته واعتقلت

زوجته وشقيق زوجته وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل

الجهات . وكان شريفا فى خصومته يقول رايه ولا يخاف . وضع راسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو . وبقى

واضعا راسه على كفه الى ان مات تعرض لازمات مالية حتى جاء وقت

لا يجد فيه ثمن الدواء . ومع ذلك لم يمد يده للسلطات ولم يرسل يرجو ويتوسل ويطلب العفو . كان

يستطيع فى تلك الليلة ان يحكم مصر ، وان يطالب بحقه فى قيادة الثورة ، ولكنه كان رجلا متواضعا

يرفض ان يفرض نفسه او يطالب بحقه فى النفوذ والسلطان . قال لى يوما لبضع ساعات كنت استطيع ان أصبح حاكم مصر . ولكنني فضلت

ان اتراجع خطوتين الى الوراء خشية ان تفشل الثورة ولست نادما الآن على انني فعلت ذلك

كان بطلا . يمشى كبطل ويفكر كبطل ويتكلم كبطل . كانت قوته فى

صموده وفى ايمانه بافكاره المتطرفة . وفى اثناء ازمة مارس كتب مقالا يقول فيه ان الحل هو ان تتولى

الحكم وزارة يدخلها الشيوعيون والاخوان المسلمين والوفديون وكتبت مقالا اعارض فكرته واقول ان

هذه الوزارة ، سلاطة روسية . وقابلني بعد ذلك وهو يضحك ويقول : تأكد انها سلاطة بلدى ، !

ان من حق هذا الرجل أن نطلق اسمه على الشارع الذى اطلق فيه الرصاصة الاولى للثورة . الرجل

الذى قاد الطابور الاول الذى صنع نصر الثوار .

مصطفى أمين

فكـــــرة !

هذا رجل اختلفت معه وأحبته حاربنى وحاربته طالب برأسى واحترمته اختلفت مع البكباشى يوسف صديق عضو مجلس الثورة كان يؤيد محمد نجيب وكنت أؤيد جمال عبدالناصر. وكان يقول لى أن جمال عبدالناصر يريد أن يكون ديكتاتورا، وكنت أؤكد له أن جمال عبدالناصر يريد الديموقراطية وكان هو على حق، وكنت انا على خطأ. وكان عذرى اننى سمعت عبدالناصر بنفسى وهو يؤكد أنه يريد الديموقراطية وأن زملاءه أعضاء مجلس الثورة هم الذين يصرون على الدكتاتورية.

وتحمل هذا الرجل ما لا يتحمله البشر كان دمه ينزف وهو يقود القوة المكلفة بالاستيلاء على رئاسة الجيش فى القبة والقبض على كل القادة وحدد له عبدالناصر موعدا للتحرك ولم يحترم هو هذا الموعد. وتحرك قبل ساعة من ساعة الصفر واعتقد البعض أن هذا سيؤدى إلى فشل الثورة وأثبتت الأيام بعد ذلك أن تحركه هذا هو الذى أنقذ الثورة من الفشل فقد ظهر أن الملك عرف بهذا السر قبل موعد التحرك بعدة ساعات.

وقيل أنه شيوعى ولهذا أخرجوه من مجلس الثورة ولم يحاول أن يحارب الثورة وبقى يتفرج من بعيد ولكن القبضة الحديدية وصلت اليه واعتقلته واعتقلت زوجته وشقيق زوجته وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل الجهات وكان شريفا فى خصومته يقول رايه ولا يخاف وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو. وبقى واضعا رأسه على كفه إلى أن مات. تعرض لأزمات مالية حتى جاء وقت لا يجد فيه ثمن الدواء. ومع ذلك لم يمد يده للسلطات ولم يرسل يرجو ويتوسل ويطلب العفو كان يستطيع فى تلك الليلة أن يحكم مصر، وأن يطالب بحقه فى قيادة الثورة، ولكنه كان رجلا متواضعا يرفض أن يفرض نفسه أو يطالب بحقه فى النفوذ والسلطان قال لى يوما لبضع ساعات كنت أستطيع أن أصبح حاكم مصر ولكننى فضلت أن أتراجع خطوتين إلى الوراء خشية أن تفشل الثورة ولست نادما الآن على أننى فعلت ذلك.

كان بطلا يمشى كبطل ويفكر كبطل ويتكلم كبطل كانت قوته فى صموده وفى ايمانه بافكاره المتطرفة وفى أثناء أزمة مارس كتب مقالا يقول فيه أن الحل هو أن تتولى الحكم وزارة يدخلها الشيوعيون والاخوان المسلمين والوفديون وكتبت مقالا أعارض فكرته وأقول أن هذه الوزارة. سلاطة روسية. وقابلنى بعد ذلك وهو يضحك ويقول. تأكد أنها سلاطة بلدى.!

ان من حق هذا الرجل أن نطلق اسمه على الشارع الذى أطلق فيه الرصاصة الأولى للثورة الرجل الذى قاد الطابور الأول الذى صنع نصر الثوار.

مصطفى أمين

٢٨ مارس ١٩٩١

فكرة!

اليوم مر على قيام ثورة ٥٢ اربعة واربعون عاما. وللثورة امجاد واخطاء ونخطىء اذا تصورنا ان الثورة لها امجاد فقط وليس فيها اخطاء، ونخطىء ايضا اذا تصورنا ان كلها اخطاء وليس فيها امجاد، يجب ان نذكر للثورة انها نفذت ارادة الشعب المصرى بالخلاص من الملك فاروق ونذكر لها انها حاربت الاستعمار لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد العربية وشمال افريقيا ونذكر لها انها حاربت الاقطاع.

ولكننا فى الوقت نفسه يجب ان نسجل انها ظلمت قائد الثورة محمد نجيب عندما انكرت دوره الكبير وعندما جرّدته من تاريخه وعندما منعت ذكر اسمه سنوات طويلة وعندما القت به فى السجن اكثر من عشرين سنة. ولم يكن هذا خطا الثورة وحدها بل كان خطؤنا جميعا عندما تحمسنا للثورة ودافعنا عن هذا الظلم. ولاول مرة بدانا نكفر عن هذا الخطا عندما قررنا ان نذكر اسم محمد نجيب لاول مرة عندما بدانا مشروع انشاء متحف لمجلس الثورة فى الجزيرة.

فى هذه المناسبة ايضا يجب ان نذكر دور يوسف صديق الذى كان احد ابطال ٢٣ يوليو ثم الغيناه من منصبه ودور عبدالمنعم امين ودور خالد محيى الدين وان نشيد بعبداللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وانور السادات وزكريا محيى الدين وجمال سالم وصلاح سالم وعبدالحكيم عامر وحسين الشافعى وحسن ابراهيم. كل هؤلاء وعلى راسهم الرئيس جمال عبدالناصر وضعوا رءوسهم على ايديهم وهم يقودون ثورة مصر التى حررت مصر من الاحتلال الاجنبى.

ومهما كانت الاخطاء التى وقعت والمظالم التى ارتكبت فإنها لا يمكن ان تنسينا الامجاد التى تحققت. وغلطة الثورة الكبرى هى حكم الفرد والديكتاتورية وغياب حقوق الانسان المصرى فترة طويلة من الزمن، والحمد لله اننا بدانا نصلح هذه الاخطاء. وصحيح ان خطواتنا بطيئة. ولكن المهم انها مستمرة وان الشعب المصرى مصر على الحرية والديموقراطية الحقيقية وحقه ان يحكم نفسه بنفسه.

مصر لن تنسى فضل اى رجل خدمها وضحى من اجلها.

وفى ميدان التضحية متسع للجميع.

مصطفى امين

فكـــــرة !

اليوم مر على قيام ثورة ٥٢ أربعة وأربعون عاما. وللثورة أمجاد وأخطاء، ونخطئ إذا تصورنا أن الثورة لها أمجاد فقط وليس فيها أخطاء، ونخطئ أيضا إذا تصورنا أن كلها أخطاء وليس فيها أمجاد، يجب أن نذكر للثورة أنها نفذت ارادة الشعب المصرى فى الخلاص من الملك فاروق ونذكر لها أنها حاربت الاستعمار لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد العربية وشمال افريقيا ونذكر لها أنها حاربت الإقطاع.

ولكننا فى الوقت نفسه يجب أن نسجل أنها ظلمت قائد الثورة محمد نجيب عندما أنكرت دوره الكبير وعندما جردته من تاريخه وعندما منعت ذكر اسمه سنوات طويلة وعندما ألقت به فى السجن أكثر من عشرين سنة. ولم يكن هذا خطأ الثورة وحدها بل كان خطؤنا جميعا عندما تحمسنا للثورة ودافعنا عن هذا الظلم. ولأول مرة بدأنا نكفر عن هذا الخطأ عندما قرنا أن نذكر اسم محمد نجيب لأول مرة عندما بدأنا مشروع إنشاء متحف لمجلس الثورة فى الجزيرة.

فى هذه المناسبة أيضا يجب أن نذكر دور يوسف صديق الذى كان أحد أبطال ٢٣ يوليو ثم أقلناه من منصبه ودور عبد المنعم أمين ودور خالد محيى الدين وأن نشيد بعبداللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وأنور السادات وزكريا محيى الدين وجمال سالم وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وحسين الشافعى وحسن إبراهيم. كل هؤلاء وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر وضعوا رءوسهم على أيديهم وهم يقودون ثورة مصر التى حررت مصر من الاحتلال الأجنبى.

ومهما كانت الأخطاء التى وقعت والمظالم التى ارتكبت فإنها لا يمكن أن تنسينا الأمجاد التى تحققت. وغلطة الثورة الكبرى هى حكم الفرد والديكتاتورية وغياب حقوق الإنسان المصرى فترة طويلة من الزمن، والحمد لله أننا بدأنا نصلح هذه الأخطاء. وصحيح أن خطواتنا بطيئة. ولكن المهم أنها مستمرة وان الشعب المصرى مصر على الحرية والديموقراطية الحقيقية وحقه أن يحكم نفسه بنفسه.

مصر لن تنسى فضل أى رجل خدمها وضحى من أجلها.

وفى ميدان التضحية متسع للجميع.

مصطفى أمين

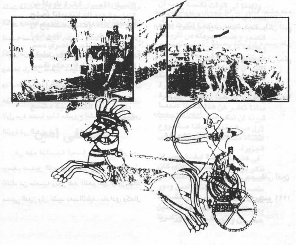
٢٣ يوليو ١٩٩٦



جمهورية مصر العربية

وزارة الدفاع

الجيش المصرى
من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن
جـزء «١»



بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الدفاع
هيئة البحوث العسكرية

الجيش المصرى
من ثـوره يوليـو ٥٢ الـى ثوره اليمـن ٦٢
الجـزء الاول

المحتويات

وثيقة رقم (١٢)

الجيش المصري من ٥٢ - ١٩٦٢ (الجزء الأول)

تقديم المركز

يسعد مركز الدراسات الاستراتيجية
للقوات المسلحة أن يواصل
إصداراته الخاصة بموسوعة
التاريخ العسكرى المصرى التى
إقترح المركز تأليفها وتم
تصديق رئاسة الأركان على
إصدارها ، حفاظا على التراث
التاريخى للعسكرية المصرية
وتتكون موسوعة التاريخ
العسكرى المصرى من خمسة
مجلدات تم تصنيفها كالآتى :

وثيقة رقم (١٢)

المجلد الاول:

تمهيد عن دراسه التاريخ العسكرى المصرى بصفة عامة ويشتمل على :

١ - عناصر ومؤثرات القدره الذاتية .

٢ - نبذه عن تاريخ بدء الحياه فى مصر .

٣ - دراسة عامة للمسارح السياسية والاقتصادية والعسكرية والدينية فى مصر

٤ - أسباب وأشكال الصراع

المجلد الثانى:

ويتضمن دراسة التاريخ العسكرى المصرى من بداية العصر الفرعونى وحتى نهاية العصر الرومانى ويشتمل على عشرة كتب .

المجلد الثالث:

ويتضمن التاريخ العسكرى المصرى فى عهد الدول الاسلامية (من الفتح العربى عام ٦٤٠م الى نهاية عصر الدولة المملوكية عام ١٨٠٥م) .

المجلد الرابع:

ويتضمن التاريخ العسكرى المصرى فى العصر الحديث.(من عصر محمد على عام ١٨٠٥ م وحتى الآن) ويشتمل على أحد عشر كتابا وقد صدر من هذا المجلد كتاب الحملة الفرنسية على مصر ، وكتاب الجيش المصرى فى عصر محمد على ، وكتاب الجيش المصرى فى عصر خلفاء محمد على، وكتاب الجيش المصرى فى عصر توفيق ، وكتاب الجيش المصرى فيما بين الحربين العالميتين ، وكتاب الجيش المصرى فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ، وهذا الكتاب (السابع) ، والذى يتناول بالدراسة تاريخ الجيش المصرى منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى ثورة اليمن ١٩٦٢.

وهو الكتاب السابع من موسوعه التاريخ العسكرى المصرى والتى صدر منها الكتب الست التى تم

(ب)

وثيقة رقم (١٢)

الإشاره إليها وفى فترة ذات أهمية بالغة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر تمت فيها الثورة المصرية ، وجلاء القوات البريطانية عن مصر ، وتأميم قناة السويس ، وتعرض مصر للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتطور الأحداث حتى ثورة اليمن ١٩٦٢، ثم ماحدث من تطور فى القوات المسلحة المصرية ، ثم ختم الكتاب بقسم عن تراجم أهم الشخصيات المؤثره والتى شهرت خلال هذه الفترة .

المجلد الخامس:

ويتضمن الدروس المستفادة من التاريخ العسكرى المصرى على المستويات المختلفة :

وإذ نسأل المولى عز وجل التوفيق وندعوه سبحانه وتعالى أن يكتب لمصر العزيزة كل المجد والفخار وأن يعيد لها مجدها السابق ولجيشها كل سؤدد وافتخار.

لواء أ.ح / أنور محمد أحمد موسى جاويش

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية ق.م

المدرعات ودخلت القاهرة وتجمع الجنود بعرباتهم المدرعة في شارع الخليفة المأمون الذي تقع فيه رئاسة الجيش ووحدات اخرى ولكن بسبب خيانة أحد الضباط عرف المسئولون من أمن القيادة خبرا بالحركة فإستعدوا للمقاومة ، ولم يكن هناك مفر من الاستيلاء على المقر بالقوه ، فمات اثنان من الجنود وجرح إثنان آخران في القاعدة الجوية بالمنطقة . (٨)

وكان سر الحركة قد تسرب الى علم الملك قبل موعدها بثلاث ساعات عن طريق العقيد طيار صانع محمود صالح وهو شقيق الملازم أول حسن محمود صالح أحد ضباط المدفعية الذى إشتركت وحدته في الحركة ، وكان الطيار المذكور محالا للاستيداع فسارع بالإتصال بضباط الحرس الملكى المنوب في قصر القبة وأبلغه باعتزام قيام بعض الضباط بإنقلاب وطلب منه سرعة ابلاغ الملك لتدارك الأمر . (٩)

في نفس الوقت قامت جماعات الأمن التابعة لزكريا محى الدين بالقبض على اللواء احمد طلعت قائد البوليس السياسى واللواء عبد المنصف محمد نائب وزير الداخلية واللواء محمد إمام رئيس قلم البوليس السياسى ، واللواء حسن حشمت قائد القوات المدرعة ، ولم يكن هناك لواء عامل واحد في الجيش لم يتم القبض عليه . والتاريخ تجمع الضباط الأحرار في مقر القيادة بعد أن إنضم إليهم اللواء محمد نجيب ، ومن المؤكد أن البكباشى يوسف صديق هو الذى نفذ عملية الإقتحام والسيطرة على مقر القيادة العامة بينما كان كلا من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بالقرب من القيادة أثناء الاستيلاء عليها . أما أنور السادات فكان أكثر منهما دهاء اذ دخل السينما وتشاجر مشاجرة مفتعلة ، وحرر محضرا بالواقعة حتى اذا فشلت الحركة نجح في الخروج من هذا المأزق .

وقد حاول وزير الداخلية الفريق محمد حيدر ورئيس الوزراء طلب تأجيل اذاعة البيان الأول للثورة مع وعد تعيين اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية ، الا أن طلبهم لم يجد أذنا صاغية .

في الوقت الذى كان فيه أحد ضباط الحركة على صبرى يقوم بشرح الأهداف العامة للحركة لملحق بالسفارة الأمريكية كان يعرفه نظرا لوجود السفير الأمريكى جيفرسون كافرى ومساعدوه في الإسكندرية مع الحكومة ، وكذلك تم الإتصال بالمستر كريزول القائم بأعمال السفارة البريطانية لغياب مستر رالف ستيفنسون كما كلف على صبرى بإيقاظ الكولونيل دافيد ايفانس مساعد الملحق

العسكري الأمريكي وابلاغة بنوايا الحركة وطلب منه أن يبلغ السفير الأمريكي والقائم بالاعمال البريطاني بأن الانقلاب مسألة داخلية بحتة ، تخص المصريين وحدهم ، وأن حياة وممتلكات الأجانب سوف تحترم ، وطالما لن يتدخل الأنجليز فسوف يعاملون معاملة الأجانب الأخرين ، وحذر علي صبري مستر إيفانس بأنه إذا تدخل الأنجليز فسوف يتحملون وحدهم مسئولية سفك الدماء . ولم يتم تبليغ خطة الضباط الأحرار بخلع الملك لأحد . (١٠)

وقد أسفرت تلك الجهود عن نتيجة إيجابية هامة تمثلت فيما أشار به القائم بالأعمال البريطاني على حكومته بضرورة التروي اذا ما طلب القصر التدخل ، فضلاً عن ذلك فإن تدخل السفير الأمريكي بنفوذه لدى السفارة البريطانية قد أدى الى إقتناع بأن الأمر ليس سوى مسألة داخلية لا تستوجب تدخل من الخارج .

وكان من الواضح أن الملك فاروق كان يعلق أمالا على الجانب البريطاني الا أن الموقف الأخير كان بطبيعة الحال من عوامل شعور الملك بالاحباط بل إن الجانب البريطاني راح يبادر باظهار حسن النوايا في مواجهة الحركة فأرسل القائم بأعمال السفير رسالة عاجلة الى أحد اعضاء السفارة البريطانية بالقاهرة طلب منه فيها أن يصطحب معه مساعد الملحق الحربي ويقابلا محمد نجيب لكي يوضحا له وجهة النظر البريطانية من أنها ترحب دائما بأي تحرك في مصر يقوم على محاربة الفساد وتحسين مستوى المعيشة للشعب المصري كأفضل سلاح لمحاربة الشيوعية ، مع مراعاة الحصول على الضمانات الكافية بأن الجيش سوف يحمي أرواح الأجانب وممتلكاتهم

وعلى هذا النحو تحدد الموقف البريطاني في مواجهة حركة الضباط ، وكانت الخطوة التالية هي توضيح إتجاهات السياسة البريطانية للملك ، حتى يمكن تقرير حساباته دون أن يعقد الآمال على تأييد بريطاني خاصة وأن فاروق قرر للسفير الأمريكي ، والذي كان على إتصال دائم به . أنه ما من سبيل يحميه سوى التدخل الأجنبي ، فما كان من القائم بأعمال السفير البريطاني الا أن ابلغ الملك من خلال السفير الأمريكي بأن بلاده ترى بأن الأمر لا يعدو سوى أن يكون مسألة داخلية وان الحكومة البريطانية لا ترغب في الزج بقواتها في مثل تلك المسائل ، ومن ثم فقد تراجع الأجانب عن تأييد الملك في مواجهة حركة الضباط الأحرار .

وثيقة رقم (١٢)

والحقيقة أن هذا التحرك من جانب الضباط الأحرار كان عملا من أعمال المهارة السياسية التي تحسب لهم في بدء حركتهم ساعد الى حد كبير على نجاح المرحلة الأولى منها ، كما ساعد على إخفاء نواياهم المقبلة ، وانعكس هذا بدوره على أوضاع قوى التغيير السياسي في مصر عشية يوم ٢٣ يوليو ، فالقصر بدا عاجزاً عن مواجهة الموقف الجديد بتحدياته . (١١)

وقبيل الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صدر أول بيان عن حركة الضباط الأحرار من خلال الإذاعة وقرأه محمد أنور السادات وكان منطوقه كما يلي :- .

" اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم إستقرار الحكم . وقد كان لكل هذه العوامل تأثيراً كبيراً على الجيش وتسبب المرتشون المغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين .

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، على ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ، ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالإبتهاج والترحيب .

أما من رأينا إعتقالهم من رجال الجيش السابقين ، فهؤلاء لن ينالهم أذى وسنطلق سراحهم في الوقت المناسب ، وأنني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردا من أية غاية ، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس في صالح مصر وأن أي عمل من هذا القبيل سوف يقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس .

وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم .. وأرواحهم .. وأموالهم .. ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم.

والله ولي التوفيق

توقيع لواء أح / محمد نجيب

القائد العام للقوات المسلحة

وكان هذا البيان يذاع كل نصف ساعه ، بينما كانت الطائرات والمقاتلات تحمى سماء القاهرة والاسكندريه وبعض مدن الدلتا كما أخذت الدبابات أماكنها أمام المبانى الهامه ، وفى الميادين الهامه بالعاصمه ، ولم تكن هناك أى مقاومه ، بل على العكس كان هناك ترحيب شعبى هائل .

وفى الساعه الثانيه حضر مصطفى صادق بك عم الملكة ناريمان - كوسيط بين الملك وحركة الضباط الاحرار ، وأبلغ الضباط بأن الملك مستعد لإجابه جميع مطالب الجيش ، كما أبلغ اللواء محمد نجيب بموافقه الملك على تشكيله لحكومه عسكريه .

وقام اللواء محمد نجيب بإختيار على ماهر باشا لتشكيل الحكومة الجديده ، فوافقه من حيث المبدأ ولكن بشرط أن يصدر التكليف من الملك .

وكان اصلح سياسى مصرى فى ذلك الوقت للقيام بهذا الدور وهذه المسئوليه ، لانه كان يعرف الملك منذ طفولته ، ثم هو الذى نصبه على العرش ، كما خدم كرئيس للديوان الملكى وكرئيس للوزراء قبل ذلك .

واتصل فريد زعلوك بمحمد نجيب لمعرفه مطالب الجيش فابلغه بهذه المطالب والتى تتلخص فى الآتى :-

١ - تكليف على ماهر باشا بتشكيل الوزاره :

٢ - تعيين اللواء محمد نجيب قائد عاما للقوات المسلحة

٣ - طرد محمد حسين وحلمى حسين وأنطوان بوللى من حاشيه الملك .

وفى الساعه الثانيه والنصف أعلن عن قبول استقاله وزاره أحمد نجيب الهلالى بعد أقل من يوم واحد فى الحكم ، فى نفس الوقت صدر الأمر من الملك لعلى ماهر بتشكيل الوزاره ، وفى ظهر ذلك اليوم وافق الملك على مطالب الحركة بعد مقابله لعلى ماهر باشا بقصر المنتزه .

وفى مساء نفس اليوم أذاع اللواء محمد نجيب أول بيان بنفسه قال فيه [1] إخوانى أبناء وادى النيل لشد ما يسرنى أن اتحدث اليكم مع ما أتحمله فى هذه اللحظات من مسئوليات جسام لا تخفى عليكم ، لقد حرصت على أن أحدثكم بنفسى لاقضى على ما ينشره خصومكم وخصومه

وثيقة رقم (١٢)

الوطنية من شائعات مغرضة ، لهذا أعلنا منذ البيان الأول أغراض حركتنا التي باركتموها من أول لحظة ذلك لأنكم لم تجدوا أنها غنما لشخص ولا كسباً لفرد بل إننا ننشد الاصلاح والتطهير في الجيش وفي جميع مرافق البلاد ، ورفع لواء الدستور - والواقع أن أشد ما أسفت عليه أن بعض ذوي النفوس الضعيفة لا يزالون ينشرون الشائعات المغرضة عن حركتنا إن حركتنا نجحت لأنها باسمكم ومن أجلكم وبهديكم وما يملأ قلوبنا بالايمان إنما هو مستمد من قلوبكم .

بني وطني

إن كل شئ يسير على ما يرام ، وقد أعددنا لكل شئ عدته فاطمئنوا الى نجاح حركتنا المباركة ولا تنصتوا الى الشائعات واتجهوا بقلوبكم الى الله العلي القدير وسيروا خلفنا إلى الأمام ، الى رفعة الجيش ، وعزة البلاد ، والله نسأل أن يسدد خطانا وأن يطهر نفوسنا . وانتهز الفرصة لأذكر لكم أن كل شئ يسير على ما يرام مرة إخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفي يوم ٢٤ يوليو تم الإفراج عن جميع الضباط المقبوض عليهم جميعها عدا ٣٤ شخصا كانوا من ذوي الميول الشيوعية .

وأرسلت الحركة بعض المدرعات وقطع المدفعية الى الاسكندرية تمهيداً لعزل الملك وتحركت القوات ومعها القائمقام أحمد شوقي والبكباشي يوسف صديق والبكباشي حسين الشافعي والبكباشي عبد المنعم أمين ، وكانت الخطة تتلخص في

حصار قصري رأس التين والمنتزه بالدبابات وأن تقوم القوات البحرية بدوريات مستمرة ، وكذلك الطيران والمشاة

وشلت جميع إتصالات الملك مع الأمريكيين والانجليز لحمايته أو التدخل العسكري لحمايته ، وتكفيه وعدوه بحمايته و حماية أرواح عائلته إذا تطلب الأمر ذلك .

وفي يوم ٢٥ يوليه سافر اللواء محمد نجيب وعدد من الضباط الأحرار الى الاسكندرية لتنفيذ مهمة عزل الملك ، وتأجلت العملية الى يوم ٢٦ يوليو ، وكانت هناك مشكلة أمام الضباط في تقرير مصير الملك هل سيحاكم أم يطلق سراحه أم ينفى وحسم جمال عبد الناصر المشكلة برسالة بعث بها الى اللواء محمد نجيب جاء فيها :-

الوثيقة رقم (٣)
اعضاء مجلس قيادة الثورة

م	رتبة	الاسم	مجلس قيادة الثورة	اللجنة التنفيذية	السلاح	تاريخ العزل
١	بكباشي	جمال عبد الناصر	١	١	المشاه	ـــــ
٢	لـواء	محمد نجيب	١	ـــ	ـــــ	١٩٥٤
٣	صاغ	عبد الحكيم عامر	١	١	القيادة العامة	١٩٦٧
٤	بكباشي	عبد المنعم عبد الرؤوف	١	ـــ	المدفعية	١٩٥٣
٥	قائد جناح	عبد اللطيف البغدادي	١	١	الطيران	١٩٦٤
٦	صاغ	كمال الدين حسين	١	١	المدفعية	١٩٦٢
٧	قائد سرب	حسن ابراهيم	١	١	الطيران	١٩٦٦
٨	صاغ	خالد محيي الدين	١	١	الفرسان	١٩٥٢
٩	بكباشي	زكريا محيي الدين	١	١	المشاه	١٩٦٨
١٠	قائد جناح	جمال سالم	١	١	الطيران	١٩٥٦
١١	صاغ	صلاح سالم	١	١	القيادة العامة	١٩٥٥
١٢	بكباشي	يوسف صديق	١	ـــ	المشاه	١٩٥٤
١٣	بكباشي	حسين الشافعي	١	١	الفرسان	١٩٧٢
١٤	بكباشي	أنور السادات	١	١	الاشارة	ـــــ

جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع

الجيش المصرى
من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن
جـزء «١»

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الدفاع
هيئة البحوث العسكرية

الجيش المصرى
من ثورة يوليو ٥٢ إلى ثورة اليمن ٦٢
الجـــزء الأول

المحتويات

تقديـــم المركـــز

يسعد مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة أن يواصل إصداراته الخاصة بموسوعة التاريخ العسكرى المصرى التى اقترح المركز تأليفها وتم تصديق رئاسة الأركان على إصدارها، حـفـاظا على الـتـراث الـتـاريخى للعسكرية المصرية وتتكون موسوعة التاريخ العسكرى المصرى من خمسة مـجلدات تم تصنيـفـهـا كـالآتى :

المجلد الأول :

تمهيد عن دراسة التاريخ العسكرى المصرى بصفة عامة ويشتمل على :

١ ـ عناصر ومؤثرات القدرة الذاتية.

٢ ـ نبذة عن تاريخ بدء الحياة فى مصر.

٣ ـ دراسة عامة للمسارح السياسية والاقتصادية والعسكرية والدينية فى مصر

٤ ـ أسباب وأشكال الصراع.

المجلد الثانى :

ويتضمن دراسة التاريخ العسكرى المصرى من بداية العصر الفرعونى وحتى نهاية العصر الرومانى ويشتمل على عشرة كتب.

المجلد الثالث :

ويتضمن التاريخ العسكرى المصرى فى عهد الدولة الاسلامية (من الفتح العربى عام ٦٤٠م إلى نهاية عصر الدولة المملوكية عام ١٨٠٥م).

المجلد الرابع :

ويتضمن التاريخ العسكرى المصرى فى العصر الحديث (من عصر محمد على عام ١٨٠٥ م وحتى الآن) ويشتمل على أحد عشر كتابا وقد صدر من هذا المجلد كتاب الحملة الفرنسية على مصر، وكتاب الجيش المصرى فى عصر محمد على، وكتاب الجيش المصرى فى عصر خلفاء محمد على، وكتاب الجيش المصرى فى عصر توفيق، وكتاب الجيش المصرى فيما بين الحربين العالميتين، وكتاب الجيش المصرى فى حرب فلسطين ١٩٤٨. وهذا الكتاب (السابع)، والذى يتناول بالدراسة تاريخ الجيش المصرى منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى ثورة اليمن ١٩٦٢. وهو الكتاب السابع من موسوعة التاريخ العسكرى المصرى والتى صدر منها الكتب الست التى تم الإشارة إليها. وهى فترة ذات أهمية بالغة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر تمت فيها الثورة المصرية، وجلاء القوات البريطانية عن مصر، وتاميم قناة السويس، وتعرض مصر للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وتطور الأحداث حتى ثورة اليمن ١٩٦٢، ثم ما حدث من تطور فى القوات المسلحة المصرية، ثم ختم الكتاب بقسم عن تراجم أهم الشخصيات المؤثرة والتى ظهرت خلال هذه الفترة.

المجلد الخامس :

ويتضمن الدروس المستفادة من التاريخ العسكرى المصرى على المستويات المختلفة.

وإذ نسأل المولى عز وجل التوفيق وندعوه سبحانه وتعالى أن يكتب لمصر العزيزة كل المجد والفخار وأن يعيد لها مجدها السابق ولجيشها كل سؤدد وافتخار.

لواء أ.ح. / أنور محمد أحمد موسى جاويش

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية ق.م

المدرعات ودخلت القاهرة وتجمع الجنود بعرباتهم المدرعة فى شارع الخليفة المأمون الذى تقع فيه رئاسة الجيش ووحدات أخرى ولكن بسبب خيانة أحد الضباط عرف المسئولون من أمن القيادة خبرا بالحركة فاستعدوا للمقاومة، ولم يكن هناك مفر من الاستيلاء على المقر بالقوة، فمات اثنان من الجنود وجرح اثنان آخران فى القاعدة الجوية بألماظة.(٨)

وكان سر الحركة قد تسرب إلى علم الملك قبل موعدها بثلاث ساعات عن طريق العقيد طيار صالح محمود صالح وهو شقيق الملازم أول حسن محمود صالح أحد ضباط المدفعية الذى اشترك وحدته فى الحركة، وكان الطيار المذكور محالا للاستيداع فسارع بالاتصال بضباط الحرس الملكى المنوب فى قصر القبة وأبلغه باعتزام قيام بعض الضباط بانقلاب وطلب منه سرعة إبلاغ الملك لتدارك الأمر.(٩)

فى نفس الوقت قامت جماعات الأمن التابعة لزكريا محيى الدين بالقبض على اللواء أحمد طلعت قائد البوليس السياسى واللواء عبدالمنصف محمد نائب وزير الداخلية واللواء محمد إمام رئيس قسم البوليس السياسى، واللواء حسن حشمت قائد القوات المدرعة، ولم يكن هناك لواء عامل واحد فى الجيش لم يتم القبض عليه. وللتاريخ تجمع الضباط الأحرار فى مقر القيادة بعد أن انضم اليهم اللواء محمد نجيب، ومن المؤكد أن البكباشى يوسف صديق هو الذى نفذ عملية الإقتحام والسيطرة على مقر القيادة العامة بينما كان كلا من جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر بالقرب من القيادة أثناء الاستيلاء عليها، أما أنور السادات فكان أكثر منهما دهاء إذ دخل ليلتها السينما، وتشاجر مشاجرة مفتعلة، وحرر محضرا بالواقعة حتى إذا فشلت الحركة نجح فى الخروج من هذا المأزق.

وقد حاول وزير الداخلية الفريق محمد حيدر ورئيس الوزراء طلب تأجيل إذاعة البيان الأول للثورة مع وعد تعيين اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية، إلا أن طلبهم لم يجد أذنا صاغية.

فى الوقت الذى كان فيه أحد ضباط الحركة على صبرى يقوم بشرح الأهداف العامة للحركة للملحق بالسفارة الأمريكية كان يعرفه نظرا لوجود السفير الأمريكى جيفرسون كافرى ومساعدوه فى الإسكندرية مع الحكومة، وكذلك تم الاتصال بالمستر كرزويل القائم بأعمال السفارة البريطانية، لغياب مستر رالف ستيفنسون كما كلف على صبرى بإيقاظ الكولونيل دافيد ايفانس مساعد الملحق العسكرى الأمريكى وإبلاغه بنوايا الحركة وطلب منه أن يبلغ السفير الأمريكى والقائم بالأعمال البريطانى بأن الانقلاب مسألة داخلية بحتة، تخص المصريين وحدهم، وأن حياة وممتلكات الأجانب سوف تحترم، وطالما لن يتدخل الانجليز فسوف يعاملون معاملة الأجانب الآخرين، وحذر على صبرى مستر إيفانس بانه إذا تدخل الإنجليز فسوف يتحملون وحدهم مسئولية سفك الدماء. ولم يتم تبليغ خطة الضباط الأحرار بخلع الملك لأحد.(١٠)

وقد أسفرت تلك الجهود عن نتيجة إيجابية هامة تمثلت فيما أشار به القائم بالأعمال البريطانى على حكومته بضرورة التروى إذا ما طلب القصر التدخل، فضلا عن ذلك فإن تدخل السفير الأمريكى بنفوذه لدى السفارة البريطانية قد أدى إلى اقتناع بان الامر ليس سوى مسألة داخلية لا تستوجب تدخل من الخارج.

وكان من الواضح أن الملك فاروق كان يعلق آمالا على الجانب البريطانى إلا أن الموقف الأخير كان بطبيعة الحال من عوامل شعور الملك بالإحباط بل إن الجانب البريطانى راح يبادر باظهار حسن النوايا فى مواجهة الحركة فارسل القائم بأعمال السفير رسالة عاجلة إلى أحد أعضاء السفارة البريطانية بالقاهرة

طلب منه فيها أن يصطحب معه مساعد الملحق الحربي ويقابلا محمد نجيب لكي يوضحا له وجهة النظر البريطانية من أنها ترحب دائما بأي تحرك في مصر يقوم على محاربة الفساد وتحسين مستوى المعيشة للشعب المصري كأفضل سلاح لمحاربة الشيوعية، مع مراعاة الحصول على الضمانات الكافية بأن الجيش سوف يحمي أرواح الأجانب وممتلكاتهم.

وعلى هذا النحو تحدد الموقف البريطاني في مواجهة حركة الضباط، وكانت الخطوة التالية هي توضيح اتجاهات السياسة البريطانية للملك، حتى يمكن تقرير حساباته دون أن يعقد الأماني على تأييد بريطاني خاصة وأن فاروق قرر للسفير الأمريكي، والذي كان على اتصال دائم به، انه ما من سبيل يحميه سوى التدخل الأجنبي، فما كان من القائم بأعمال السفير البريطاني إلا أن أبلغ الملك من خلال السفير الأمريكي بأن بلاده ترى بأن الأمر لا يعدو سوى أن يكون مسألة داخلية وأن الحكومة البريطانية لا ترغب في الزج بقواتها في مثل تلك المسائل، ومن ثم فقد تراجع الأجانب عن تأييد الملك في مواجهة حركة الضباط الأحرار.

والحقيقة أن هذا التحرك من جانب الضباط الأحرار كان عملا من أعمال المهارة السياسية التي تحسب لهم في بدء حركتهم ساعد إلى حد كبير على نجاح المرحلة الأولى منها، كما ساعد على إخفاء نواياهم المقبلة، وانعكس هذا بدوره على أوضاع قوى التأثير السياسي في مصر عشية يوم ٢٣ يوليو، فالقصر بدا عاجزاً عن مواجهة الموقف الجديد بتحدياته.[١١]

وقبيل الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صدر أول بيان عن حركة الضباط الأحرار من خلال الإذاعة وقرأه محمد أنور السادات وكان منطوقه كما يلي:-

اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثيراً كبيراً على الجيش وتسبب المرتشون المغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين.

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، على ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا، وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم، ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالإبتهاج والترحيب.

أما من رأينا إعتقالهم من رجال الجيش السابقين، فهؤلاء لن ينالهم أذى وسنطلق سراحهم في الوقت المناسب، وإنني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردا عن أية غاية، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف، لأن هذا ليس في صالح مصر وأن أي عمل من هذا القبيل سوف يقابل بشدة لم يسبق لها مثيل، وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس.

وإني أطمئن اخواننا الأجانب على مصالحهم.. وأرواحهم.. وأموالهم.. ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم.

والله ولي التوفيق

توقيع لواء أ.ح./ محمد نجيب
القائد العام للقوات المسلحة

وكان هذا البيان يذاع كل نصف ساعة، بينما كانت الطائرات والمقاتلات تحمى سماء القاهرة والاسكندرية وبعض مدن الدلتا كما أخذت الدبابات أماكنها أمام المبانى العامة، وفى الميادين الهامة بالعاصمة، ولم تكن هناك أى مقاومة، بل على العكس كان هناك ترحيب شعبى هائل.

وفى الساعة الثانية حضر مصطفى صادق بك عم الملكة ناريمان ـ كوسيط بين الملك وحركة الضباط الأحرار، وأبلغ الضباط بأن الملك مستعد لإجابة جميع مطالب الجيش، كما أبلغ اللواء محمد نجيب بموافقة الملك على تشكيله لحكومة عسكرية.

وقام اللواء محمد نجيب باختيار على ماهر باشا لتشكيل الحكومة الجديدة، فوافقه من حيث المبدأ ولكن بشرط أن يصدر التكليف من الملك.

وكان أصلح سياسى مصرى فى ذلك الوقت للقيام بهذا الدور وهذه المسئولية، لانه كان يعرف الملك منذ طفولته، ثم هو الذى نصبه على العرش، كما خدم كرئيس للديوان الملكى وكرئيس للوزراء قبل ذلك.

واتصل فريد زغلول بمحمد نجيب لمعرفة مطالب الجيش فأبلغه بهذه المطالب والتى تلخصت فى الآتى :

١ ـ تكليف على ماهر باشا بتشكيل الوزارة.

٢ ـ تعيين اللواء محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المسلحة.

٣ ـ طرد محمد حسين وحلمى حسين وأنطوان بوللى من حاشية الملك.

وفى الساعة الثانية والنصف أعلن عن قبول استقالة وزارة أحمد نجيب الهلالى بعد أقل من يوم واحد فى الحكم، فى نفس الوقت صدر الأمر من الملك لعلى ماهر بتشكيل الوزارة. وفى ظهر ذلك اليوم وافق الملك على مطالب الحركة بعد مقابلة لعلى ماهر باشا بقصر المنتزه.

وفى مساء نفس اليوم أذاع اللواء محمد نجيب أول بيان بنفسه قال فيه[1] : إخوانى أبناء وادى النيل لشدة ما يسرنى أن أتحدث إليكم مع ما أتحمله فى هذه اللحظات من مسئوليات جسام لا تخفى عليكم، فقد حرصت على أن أحدثكم بنفسى لاقضى على ما ينشره خصومكم وخصوم الوطنية من شائعات مغرضة، لهذا أعلنا منذ البيان الأول أغراض حركتنا التى باركتموها من أول لحظة ذلك لأنكم لم تجدوا أنها غنما لشخص ولا كسباً لفرد بل إننا ننشد الإصلاح والتطهير فى الجيش وفى جميع مرافق البلاد، ورفع لواء الدستور ـ والواقع أن أشد ما أسفت عليه أن بعض ذوى النفوس الضعيفة لا يزالون ينشرون الشائعات المغرضة عن حركتنا إن حركتنا نجحت لأنها بإسمكم ومن أجلكم وبهديكم وما يملأ قلوبنا بالإيمان إنما هو مستمد من قلوبكم.

بنى وطنى ..

إن كل شىء يسير على ما يرام، وقد أعددنا لكل شىء عدته فاطمئنوا إلى نجاح حركتنا المباركة ولا تنصتوا إلى الشائعات واتجهوا بقلوبكم إلى الله العلىّ القدير وسيروا خلفنا إلى الأمام، إلى رفعة الجيش،

وعزة البلاد، والله نسأل أن يسدد خطانا وأن يطهر نفوسنا، وأنتهز الفرصة لأذكر لكم أن كل شيء يسير على ما يرام مرة أخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي يوم ٢٤ يوليو تم الإفراج عن جميع الضباط المقبوض عليهم جميعا عدا ٣٤ شخصا كانوا من ذوى الميول الشيوعية.

وأرسلت الحركة بعض المدرعات وقطع المدفعية إلى الإسكندرية تمهيداً لعزل الملك وتحركت القوات ومعها القائمقام أحمد شوقي والبكباشي يوسف صديق والبكباشي حسين الشافعي والبكباشي عبدالمنعم أمين، وكانت الخطة تتلخص في:

حصار قصرى راس التين والمنتزه بالدبابات وأن تقوم القوات البحرية بدوريات مستمرة، وكذلك الطيران والمشاه.

وفشلت جميع إتصالات الملك مع الأمريكيين والإنجليز لحمايته أو التدخل العسكرى لحمايته، ولكنهم وعدوه بحمايته وحماية أرواح عائلته إذا تطلب الأمر ذلك.

وفي يوم ٢٥ يولية سافر اللواء محمد نجيب وعدد من الضباط الأحرار إلى الإسكندرية لتنفيذ مهمة عزل الملك، وتأجلت العملية إلى يوم ٢٦ يوليو، وكانت هناك مشكلة أمام الضباط هي تقرير مصير الملك هل سيحاكم أم يطلق سراحه أم ينفى وحسم جمال عبد الناصر المشكلة برسالة بعث بها إلى اللواء محمد نجيب جاء فيها:-

الوثيقة رقم (٣)
أعضاء مجلس قيادة الثورة

م	رتبة	الاسم	مجلس قيادة الثورة	اللجنة التنفيذية	السلاح	تاريخ العزل
١	بكباشى	جمال عبد الناصر	١	١	المشاه	-
٢	لواء	محمد نجيب	١	-	-	١٩٥٤
٣	صاغ	عبد الحكيم عامر	١	١	القيادة العامة	١٩٦٧
٤	بكباشى	عبد المنعم عبد الرؤوف	١	-	المدفعية	١٩٥٣
٥	قائد جناح	عبد اللطيف البغدادى	١	١	الطيران	١٩٦٤
٦	صاغ	كمال الدين حسين	١	١	المدفعية	١٩٦٢
٧	قائد سرب	حسن إبراهيم	١	١	الطيران	١٩٦٦
٨	صاغ	خالد محيى الدين	١	١	الفرسان	١٩٥٢
٩	بكباشى	زكريا محيى الدين	١	١	المشاه	١٩٦٨
١٠	قائد جناح	جمال سالم	١	١	الطيران	١٩٥٦
١١	صاغ	صلاح سالم	١	١	القيادة العامة	١٩٥٥
١٢	بكباشى	يوسف صديق	١	-	المشاه	١٩٥٤
١٣	بكباشى	حسين الشافعى	١	١	الفرسان	١٩٧٢
١٤	بكباشى	أنور السادات	١	١	الإشارة	-

رقم الإيداع ١٤٨٤٤ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-320-050-7

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



ما هى حقيقة علاقات يوسف صديق قبل الثورة بالوفد والاخوان والشيوعيين؟

لماذا تخطوه فى الترقية وهو يقاتل فى فلسطين رغم الاشادة الرسمية به؟

لماذا فقد يوسف صديق الثقة فى الشيوعيين؟ ما سر الرسالة المجهولة التى حذرته من كمين للحرس الحديدى؟

لماذا فكر فى ١٩٥٠ فى التحرك بقواته من منقباد لاحتلال رئاسة الجيش؟ كيف انضم للضباط الأحرار ومتى التقى بعبد الناصر؟ من المسئول عن الخطأ فى تحديد ساعة الصفر والذى أدى لنجاح الثورة؟ لماذا قال صديق: «خطة الضباط الاحرار لم تنفذ. ولو كانت نفذت لفشلت الثورة. ولكن ما نفذ خطة أخرى وضعها الله سبحانه وتعالى وأناط بى تنفيذها». لماذا تباينت روايات عبد الناصر عما حدث ليلة الثورة؟

ما الأسباب الثمانية الحقيقية للخلاف مع عبد الناصر؟ لماذا كلف عبد الناصر تلميذ يوسف صديق باعتقال أستاذه؟ لماذا اتهمت زوجته بتدبير انقلاب واعتقلت؟

لماذا تم نفى يوسف صديق وكيف تم تهريبه للقاهرة؟ كيف تطورت العلاقات مع عبد الناصر فى النهاية؟

على هذه الأسئلة وكثير غيرها تجيب السيدة علية توفيق زوجة يوسف صديق التى شاركت فى التنظيمات السرية قبل الثورة. وقامت بدور فى مساعدة تنظيم الضباط الأحرار. وتعرضت لغضب عبد الناصر لتمسكها برأيها المستقل.

الناشر

الأهرام

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج - وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر